جامعة القاهرة

اليوبيل الذهبى

لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية

١٩٤٧ ـ ١٩٩٧

الموسوعة الأفريقية



المجلد الرابع

الأنثروبولوجيا

مايو ١٩٩٧

جامعة القاهرة
اليوبيل الذهبى
لمعهد البحوث والدراسات الأفريقية
(١٩٤٧ ـ ١٩٩٧)

الموسوعة الأفريقية

المجلد الرابع

الأنثروبولوجيا

إعــداد

أ.د .فاروق عبد الجواد شويقة
د. توفيق الحسينى عبده
د. سلوى يوسف درويش
أ.د. سعاد على شعبان
د. عادل على مصطفى
د. سعد عبد المنعم بركة

مايو ١٩٩٧

الفهـــرس

الجزء الثالث

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الجزء الرابع

الجزء الخامس

الجـزء السـادس
مساهمة معهد الدراسات الإفريقية
في مجال الانثروبولوجيا الطبيعية
في مصر الحاضر/والمستقبل

مدخـــل
ومقـدمـة

الأنثروبولوجيا هي العلم الذى يدرس الإنسان وأعماله Anthropology is Science of man and his works لذلك فهى ذات صلة تتفاوت قربا وبعدا بكافة العلوم التى يحويها محيط المعرفة الأنسانية كله، كيف لا؟ وكل المعارف الإنسانية - التى تحتويها جداول مليفل ديوى .Dewey, M ذات الألف رقم وتفريعاتها العديدة صنعها الإنسان كى يعرف نفسه وبيئته وماضيه ومستقبله، بنفسه ولنفسه.

فالأنثروبولوجيا تتسع لتضم كل ما يخدم الإنسان وطموحاته فى المستقبل القريب والبعيد وحيثما يحيا، وعلى ذلك فهذا المجلد الخامس من الموسوعة الأفريقية كان عليه أن يتضمن دراسات وبحوثا عن كل ما يتعلق بالإنسان الفرد والمجتمع، فى المجالات الطبيعية والثقافية والإجتماعية، وهى المجالات الثلاث الرئيسية التى إصطلحت المدرسة المصرية، على الأخذ بها، والتى تندرج تحتها دراسة الكيان المادى للإنسان (الأنثروبولوجيا الطبيعية)، والأنشطة الثقافية للإنسان (الأنثروبولوجيا الثقافية) ثم التنظيم والعلاقات الإجتماعية للإنسان (الأنثروبولوجيا الإجتماعية).

وتكاد لا تخرج كل البحوث والدراسات التى أجريت منذ ظهور الأنثروبولوجيا فى منتصف القرن التاسع عشر عن هذه المجالات الثلاث الرئيسية، ولقد كانت القارة الأفريقية هى المجال الجغرافى الرئيسى الذى عنى به الأسلاف الرواد الأوائل من بين الأنثروبولوجيين على تباين إهتماماتها المختلفة ولقد تبعهم فى ذلك من سار على دربهم من الأخلاف فكانت أن ظهرت بحوثا عديدة فى كل فروع الأنثروبولوجيا، قام بها متخصصون علميون فى سائر المعارف الإنسانية المختلفة، وهم الذين سرعان ما تحولوا إلى الأنثروبولوجيا تاركين تخصصاتهم

الأصليـة، مـا ذلك إلا بفـعل الجـاذبيـة السـحـرية التى تتـمـتع بهـا العلوم الأنثروبولوجية تلك التى تعمل جاهدة على كشف مكنون ذلك الكائن الذى كرمه الله وجعله خليفته فى أرضه.

والحقيقة أن سحر وجاذبية الأنثروبولوجيا تكمن فى شموليتها فهى تدخل فى نطاق كل من العلم والفن والفلسفة والأخلاق والدين، فهى تدخل فى نطاق العلم لأنها تعتمد على كل من المشاهدة العلمية (خاصة الإقامة الميدانية الطويلة) وعلى التجربة المعملية (خاصة فى مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية) وعلى الأستقراء العقلى (خاصة فى مجال الثقافات القديمة والبدائية).

كما تدخل فى مجال الفن، وذلك بإعتبار أن كل ما ينتجه عقل الإنسان ويده من أفكار وأدوات ليستعين بها فى إنجاز أعماله ولتسهيل أمور حياته اليومية تعد عناصر ثقافية، فاذا ما أضيفت إليها بعض اللمسات الجمالية تحولت الى فلكلور (فن شعبى)، والأنثروبولوجيا تدخل كذلك فى مجال الفلسفة (العقل) ومجال الأخلاق (القيم) وأيضا فى مجال الدين (الغيبيات).

وفى ضوء ذلك نجد أن كثيراً ما تحول علماء تجريبيون معمليون وغيرهم من الفلاسفة والأطباء والفنانين إلى مجال الأنثروبولجيا، فهذا توماس هكسلى Hwxley, T.H (١٨٢٥-١٨٩٥) عالم التشريح المقارن والتطور البريطانى، وجرافتون إليوت سميث Elliot-Smith, G (١٨٧١-١٩٢٨) إستاذ التشريح فى طب قصر العينى وصاحب نظرية إنتشارية الثقافة من مصر الفرعونية، وسيجموند فرويد Freud, S. (١٨٥٦-١٩٣٦) صاحب مدرسة التحليل النفسى ونظرية المحرم والطوطم، وبيير تلهارد دى شاردن Teilhard de Chardin,P. (١٨٨١-١٩٥٥) ذلك البانيونتولوجيست والراهب صاحب كشف إنسان الصين القديم وصاحب نظرية الوعى والذى أصبح علما من أعلام وعلماء المدرسة الفرنسية، على ذات درجة كلود ليڤى شتراوس Levi-Strauss, C. (١٩٠٨-) صاحب النظرية البنائية والعقل البدائى، والمثل يقال عن كل من هنرى برجسون Borgson,H. (١٨٥٩-١٩٤١) وألكسيس كاريل

Carrel,Alexis (١٨٧٣-١٩٤٤) وهكذا كثيرون من أمثالهم الذين تحولوا -هنا وهناك- من تخصصاتهم العلمية الأصلية إلى مجال الانثروبولوجيا العامة الواسع كله، أو إلى أحد مجالات إهتمامه.

وكما شهدت آسيا واستراليشيا إقامات ميدانية أنثروبولوجية-عديدة إبتعثت من جامعة اكسفورد الى أهالى جزر الاندامان (١٩٠٦-١٩٠٨) والى بعض قبائل استراليا الاصليين (١٩١٠-١٩١٢) والى جزر ترويرياند (١٩١٤-١٩١٨) حيث اشترك فيها كثيرين أمثال ألفرد ريجنلد رادكليفبراون .Radcliffr-Broun, A.R (١٨٨١-١٩٥٥) وبرونسلاو مالينوفسكى Malinovesk,B.K (١٨٨٤-١٩٤٢) وادوارد ايفانز برتشارد .Evans-Pritchard, E.E (١٩٠٢-١٩٧٣).

كما إبتعثت بعثات أخرى من جامعة كامبردج الى جزر مضيق تورس Torres (١٨٩٨-١٨٩٩) تلك التى اشترك فيها ألفرد كورت هارون Haddon,A,C (١٨٥٥-١٩٤٠) وغيره من الأنثروبولجيين.

كما أن القارة الأفريقية قد شهدت أيضا إقامات ميدانية أنثروبولجية كثيرة لعل أهمها وأشهرها البحوث التى قامت بها أسرة كيكى Leakey Family فى كينيا وشرق أفريقيا تلك الأسرة المكونة من الآب لويس سيمور بازت ليكى Louis Seymour Bazett والزوجة مارى دوجلاس ليكى Mary Douglas Leakey والابن ريتشارد اسكين فرير ليكى Rich-ard Eskine Frere Leakey وكذا الإقامة والدراسة التى أنجزها شارل سليجمان .Seligman,C.G (١١٨٧٣-١٩٤٠) فى وسط أفريقيا السوداء خاصة فى جنوب سودان وادى النيل.

أما بعثة جامعة هارفارد Harvard (١٩٤٦-١٩٥٠) فى منطقة ويتواترز راند Witwatesrand (الى الغرب من جوهانسبرج في جنوب أفريقيا) والتى شارك فيها من مصر الجغرافى محمد متولى موسى حيث جمعت

العديد من القياسات الأنثروبومترية من السلالات والجماعات الوطنية الأفريقية، وأيضا دراسة ذات الجامعة (هارفارد) على منطقة أهالى الريف المغربى Tribes of the Rif فتعد من معالم الدراسات الأنثروبولوجية الأمريكية المرموقة.

هذا ولم يكن الأفارقة بمعزل عن هذا المجال فبالإضافة الى مساهمة المصريين أمثال أحمد البطراوى وعلى عيسى وأحمد أبوزيد المستمرة حتى اللحظة والإقامات الميدانية العديدة خاصة فى بواتسوانا لاند (بواتسوانا) وأيضا مونيكا ولسن .Wilson,M (١٩٠٨-١٩٨٢) التى عرفت بدراساتها الشاملة العميقة عن التغير الإجتماعى خاصة فى مجتمع قبيلة النياكوسا Nyakusa فى جنوب غرب تنزانيا.

هذا وتتركز قيمة الأنثروبولوجيا أكثر من أي مجال علمى أخر فى العائد النفسى البرجماتى العلمى منها على الإنسان، كيانه وأعماله، أي صحته وسلوكه فى حياته اليومية الجارية وأيضا فى القابل من الأيام، ذلك هو مجال الأنثروبولوجيا التطبيقية، وهى تلك التى يمكن ان تتضمن المجالات التالية وما يتفرع منها: الأنثروبولوجيا الطبية-أنثروبولوجيا القيم-أنثروبولوجيا التخطيط-أنثروبولوجيا التنمية..ألخ.

أما هذا العمل (مجلد الأنثروبولوجيا من الموسوعة الأفريقية) فقد إنعكست الحرية على خطة بنائه وتنفيذه، حيث أصبحت الدراسات الست المعروضة فيه تمثل عملية فكرية هامة جيدة وجديدة وإن كان هناك من رابطة بينها فلا يكون إلا الإنسان ذاته وأعماله.

هذا وقد جاء الجزء الأول من هذا المجلد بعنوان الأنثروبولوجيا الإجتماعية فى أفريقيا حيث عرض الموضوع فى خمسة فصول كانت؛ بعد المقدمة التى جاءت عن أهمية أفريقيا فى تطور وتقدم الانثروبولجيا؛ كالاتى:

مفاهيم ومصطلحات وفروع الأنثروبولجيا العامة

المدخل الإيكولوجى

المدخل الاقتصادى

المدخل السياسى

المدخل الدينى

ثم جاءت الملحقات متضمنة مصادر الدراسة والبحث فى أنثروبولوجية أفريقية، ومراجع الدراسة.

وقد استغرقت هذه الدراسة الصفحات من ٣-٩٨.

أما الجزء الثانى فقد جاء بعنوان "العلاقات القرابية فى أفريقيا، دراسة فى الأنثروبولوجيا الاجتماعية"، حيث عرض الموضوع من خلال عدة نقاط للبحث، ناقشت بعمق شبكة القرابة ونتائج وآثار علاقات أفرادها ومكانتهم الإجتماعية، وترد تفاصيل هذه الدراسة الجادة فى الصفحات من ٩٩ الى ١٥٢.

وكان الجزء الثالث بعنوان: الثقافة الأفريقية، حيث تضمن بعد مقدمة الفصل الأول-الفن، الفصل الثانى-الملبس والزينة، الفصل الثالث-المساكن، الهوامش، المراجع العربية، المراجع الأجنبية، وقد غطى هذا الجزء الثالث من المجلد الصفحات من ١٥٣ حتى ٢٧٨.

هذا بينما كان الجزء الرابع بعنوان:"الطب التقليدى فى أفريقيا؛ دراسة أنثروبولوجية" وقد تضمن بعد المقدمة نقاط البحث التالية: هدف الدراسة-مفهوم الطب التقليدى-الأهمية الاجتماعية للطب التقليدى-مظاهر الطب التقليدى فى بعض المجتمعات الأفريقية-أهمية التكامل بين الطب التقليدى والطب الحديث-فهرس المراجع. وقد وردت الدراسة فيما بين الصفحات ٢٧٩ و ٣٠٨.

ويأتى الجزء الخامس ليعرض موضوعا بعنوان خريطة رقمية للسلالات والشعوب فى القارة الأفريقية، حيث تضمن بعد المقدمة، الجدول الأول للخطة الرقمية المقترحة وهو الخاص بالسلالات البشرية والشعوب فى القارة الأفريقية، ثم الجدول الثانى وهو الخاص بالمجموعات الثقافية، ثم الجدول الثالث الخاص بالجماعات القبلية، وتأتى بعد ذلك الخاتمة تليها الخرائط والحواشى وبيبليوجرافية مختارة، هذا وقد شغل هذا الجزء الخامس الصفحات من ٣٠٩ الى ٣٩٤.

ويأتى الجزء السادس ليعرض موضوعا بعنوان: مساهمة معهد الدراسات الأفريقية فى مجال الأنثروبولجيا الطبيعية فى مصر الحاضر والمستقبل، حيث تضمن بعد المقدمة الموضوعات التالية: دخول الأنثروبولوجيا الطبيعية مصر-الأنثروبولوجيا الطبيعية فى المعهد-رأى المدرسة المصرية فى تقسيمات الأنثروبولوجيا الطبيعية العامة-أمل المستقبل-بيبليوجرافية مختارة.

وقد جاءت تفاصيل هذا الجزء السادس فى الصفحات من ٣٩٥-

وأخيرا نأتى الى المحصلة النهائية التى يمكن أن تضيف الى النتائج العلمية الموضوعية المذكورة فى كل من الدراسات المعروضة فى هذا المجلد الآتى:-

١ - أن الأنثروبولوجيا، وإن كانت تأخذ مادتها العلمية من مجالات علمية أخرى كثيرة، إلا أنها تعيد صياغتها وإذابتها فى بوتقة واحدة، هى: الكيان الإنسانى الفردى الزاحد، وفى ذات الوقت وعلى نفس المستوى؛ فى "المجتمع" على تفاوت حجمه، وهذا يمثل فارقا رئيسيا بين الدراسات الأنثروبولوجية وبين الدراسات الإجتماعية.

٢ - أن الأنثروبولوجيا هى تلك الدراسات التى يصعب-بل يضر- الإنغلاق والإستغراق فى أحد تخصصاتها الفرعية لسبب أساسى؛ هو أن الانسان- وهو الفاعل والمفعول به فى آن واحد يصعب-بل يستحيل- فصل مكوناته

بعضها عن بعض، لذا فالأنثروبولوجى بحق هو الممارس العام لأحوال-ولا أقول لأمراض-الإنسان (الفرد والمجتمع).

٣ - أن دراسات علم الإنسان The Study of Man ليست هى الدراسات الأنثروبولوجية، ذلك لأنه إذا كانت الأنثروبولوجيا ودراساتها تهدف الى دراسة الإنسان بأنساقه المتعددة، فإن دراسات علم الإنسان تهدف الى استعادة الإنسان لإنسانيته..!.

والآن..، ندخل الى الموضوعات العلمية.. كى نسعد بها فى زماننا هذا السعيد المبارك، من عمر معهدنا هذا العتيد العريق.

وأخيراً، ودائما ندعو الله سبحانه ان ينفعنا وينفع بنا، وبأن يجعلنا مصدر خير لنا ولمن حولنا، وعليه فإن أخر دعوانا، أن الحمد لله رب العالمين.

الجمعة ٢١ مارس ١٩٩٧
فى الجيزة

أ. د. فاروق عبد الجواد شويقة

الجـــزء الأول

الانثروبولوچيا الاجتماعية فى أفريقيا

إعداد

دكتــور توفيــق الحســينى عبــده

استاذ الانثروبولوچيا المتفرغ بالمعهد

محتويات الدراسة

مقـــدمــه

اهمية افريقيا فى تطور وتقدم الانثروبولوجيا الاجتماعيه:-

لعبت القارة الافريقية دوراً بالغ الاهمية فى تقدم الانثروبولوچيا الاجتماعية منذ بداية القرن العشرين، وذلك عندما اتجه كثير من علماء الانثروبولوچيا الى القيام بدراساتهم الحقليه فى المجتمعات صغيرة الحجم قليلة السكان كوسيلة لفهم المجتمع الانساني، فكانت المجتمعات الافريقية تعد بمثابة النماذج المثالية لهذه الدراسات الحقلية. وزاد من قوة هذه العلاقة اللصيقة بين أفريقيا والانثروبولوچيا الاجتماعية، استقرار الاستيطان البريطانى فى جنوب أفريقيا وكينيا وبداية الاستعمار الاوروبى لمعظم المجتمعات الافريقية. مما أدى الى التعرف على كثير من المعلومات التى لم تكن معروفة من قبل، كما نشط الحكام والمبشرون فى ارسال التقارير والمعلومات عن المجتمعات المحلية والشعوب الافريقية. ولقد استفاد علماء الانثروبولوچيا فى بريطانيا من هذه المعلومات وعكفوا على دراستها ثم قام معهد الانثروبولوچيا الملكى بتنظيم سلسلة من الدراسات الميدانية على المجتمعات المحلية فى أفريقيا.

وحتى بعد أن تطورت الابحاث الأنثروبولوچيه ووسع العلم من ميدان دراسته بحيث شمل انماط الحياة الاكثر تعقدا، فانها ظلت محتفظه بأسلوبها التقليديي الذى يتمثل فى الاهتمام بدراسة المجتمعات الصغيرة مثل المدينة الصغيرة أو المتجر أو المصنع. وهذه كلها مجتمعات يمكن بسهولة تحديد ملامحها الاجتماعية والاحاطة بكل ما فيها من نظم وعلاقات والتعرف على وظيفة كل منها فى الحياة الاجتماعية ككل.

ولقد كان لاتجاه العلماء البريطانيين الاوائل الى دراسة المجتمعات التقليدية فى أفريقيا بالذات اثره الذى لا ينكر فى تبلور فكرة البناء الاجتماعي. ذلك أن القبيلة هناك تؤلف وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية متكاملة، بل أنها تكاد تكون مجتمعا مغلقا على نفسه، ولا يتصل اتصالا وثيقا بالعالم الخارجى ولا حتى بالقبائل المجاورة التى تنتمى الى نفس مجموعتها السلالية الا فى أضيق الحدود.

ولا تقتصر أهمية افريقيا على التفرقة بين دراسة البناء الاجتماعى للمجتمع وبين دراسة الثقافه، بل انها ساهمت فى توجيه إنتباه الباحثين الى موضوعات جديده لم تنل حظها من الدراسة والبحث. ويذكر ايفانز بريتشارد ان الدراسات الانثروبولوجية التى تمت فى بداية القرن العشرين كانت تجرى على مجتمعات تؤلف وحدات سياسية صغيرة جدا، مثل الزمر الاستراليه ومجتمعات الاندمان فى المحيط الهادى والقرى الميلانيزيه، وقد ادى ذلك الى الاهتمام بدراسة بعض نواحى الحياة الاجتماعية وبخاصةنظام القرابة والحياه الشعائريه وإهمال البعض الاخر وبخاصة البناء السياسي، الذى لم يحظ فى الحقيقة بما يستحق من الاهتمام الا بعد أن بدأ العلماء يدرسون المجتمعات الافريقية. ففى أفريقيا كثيرا ما تتألف المجتمعات المتمايزة سياسيا من عدة آلاف من الناس، وقد اضطر الباحثون ازاء تنظيمها السياسى الداخلى وازاء العلاقات المتبادلة بينها الى الاهتمام بالنواحى السياسية الخالصة فيها، وهذا تطور حديث جدا لان الابحاث العلمية الصحيحة لم تبدأ فى أفريقيا الا بعد زيارة الاستاذ سلجمان وزوجته للسودان «المصرى الانجليزي» فى عامى ١٩٠٩، ١٩١٠، وكانت أول دراسة مركزة قام بها أحد الانثروبولوجيين الاجتماعيين فى أفريقيا هى تلك التى قمت بها (إيفانز) بين الازاندى فى السودان ابتداء من عام ١٩٢٧. ومنذ ذلك الحين

انحصرت معظم الدراسات المركزة للشعوب البدائية فى أفريقيا. وحظيت النظم السياسية بالاهتمام المنشود(١).

وقد يكفي للتدليل على ذلك أن نذكر أن تصنيف القبائل الافريقية التى تنحدر من سلالة واحدة يتم فى العادة على أساس اختلاف المجموعة اللغوية التى ينتمى اليها.... وتضم كل مجموعة من هذه المجموعات عددا من القبائل التى تختلف فى لهجاتها، كما أن كل قبيلة من القبائل التى تنتمى الى المجموعة الواحدة تؤلف وحده اجتماعيه متمايزه ليس من الناحية السياسية والاقتصادية فحسب، بل وأيضا من حيث العادات والتقاليد وأنماط السلوك. وقد أضطر الباحث الانثروبولوجى ازاء ذلك الى أن يقصر دراسته فى معظم الاحوال على قبيلة واحدة يحاول أن يحيط فيها بكل ملامح حياتها وكل نظمها وما يقوم بين هذه النظم من تساند وظيفي، وهذا فى مجمله هو مضمون البناء الاجتماعي.

ويختلف هذا الاتجاه اختلافا شديدا عن الاتجاه الذى يسود الدراسات الانثروبولوجية فى امريكا، اذ يهتم العلماء هناك بدراسة الثقافة أكثر مما يهتمون بدراسة البناء الاجتماعي، ويبدو أن هذا الاتجاه كان متأثراً الى حد كبير بالبداية الاولى للانثروبولوجيا هناك. فحين ظهرت الانثروبولوجيا كعلم مستقل فى أمريكا نتيجة لاهتمام علماء القرن التاسع عشر بالمجتمعات البدائية. كان من الطبيعى ان يتجه هؤلاء العلماء الى مجتمعات الهنود الحمر فى سهول أمريكا وتداخل قبائلهم بالتالى بعضها فى بعض مما يجعل دراسه ثقافتها أسهل بكثير من دراسة بنيتها الاجتماعية(٢)

ولذلك كانت القارة الافريقية سببا مباشرا فى تمييز الانثروبولوجيا الاجتماعية عن الانثروبولوجيا الثقافية، وأصبح الفرق واضحا بين هذين الفرعين

من فروع الانثروبولوجيا العامه، وأدى ذلك التطور فى الفكر الانثروبولوچى الى وجود عدد من المصطلحات المتقاربه المعنى تستخدم بكثرة فى الكتابات الانثروبولوچيه للاشارة الى مجال معين من مجالات الدراسة والبحث، والتى أصبحت الان محددة تمام التحديد والتى نود الاشارة اليها باختصار فى علاقاتها بالانثروبولوچيا العامه.

الفصل الأول

مفاهيم ومصطلحات وفروع الانثروبولوجيا

١ ـ الاثنوجرافيا Ethnography

تعريفها:ـ

هى دراسة الحياة الاجتماعيه فى المجتمعات البسيطة على مستوى السرد الوصفى فقط، دون أن تستند الى أى نظريه اجتماعيه تحاول فى ضوئها تحليل مظاهر النشاط الاجتماعى والنظم والانساق الاجتماعيه.

وبذلك فهى تعنى حصول الباحث على معلومات وبيانات أوليه Data عن المجتمع الذى يدرسه بعد أن يعيش فيه فتره من الزمن، ويتعلم أسلوب حياة الناس وطرق معيشتهم ويتعلم لغتهم، ويشعر بنفس القيم السائدة عندهم.

وبعد الحصول على هذه المعلومات الاوليه، يحاول الباحث ترتيبها وتصنيفها طبقا لاسس منهجيه منظمة دون أية محاوله للتحليل أو التأويل أو التفسير أو المقارنه.

وهناك عدة طرق وأدوات وأساليب يتبعها الباحث للحصول على هذه المعلومات الأولية بالاضافة الى المعيشة فى المجتمع، مثل الملاحظه البسيطه والملاحظة بالمشاركة والمقابلة بأنواعها ودراسة الحاله وتحليل المضمون وغيرها.

ويتوقف أستخدام أى من هذه الادوات والاساليب على طبيعة المجتمع

المدروس من ناحية، وعلى هدف ونوع البحث من ناحية أخري، كما يمكن المزاوجه والجمع بين أكثر من أداة أو أسلوب فى بحث واحد.

٢ ـ الاثنولوجيا Ethnology

تعريفها:ـ

هى علم دراسة الشعوب والثقافات وتصنيفها على أساس خصائصها ومميزاتها السلالية والثقافية، وتفسير توزيعها فى الوقت الحاضر ـ أو فى الماضى ـ كنتيجة لتحرك هذه الشعوب وانتقالها من مكان لاخر، وما يترتب على هذا الانتقال من الاختلاط والاندماج مع شعوب أخري، وكيفية الانتشار الثقافي.

ويعتبر تصنيف الشعوب والثقافات خطوة تمهيدية لازمة للقيام بالمقارنات التى يعقدها علماء الانثروبولوجيا بين المجتمعات البدائية، اذ من المفيد البدء بمقارنة الشعوب التى تنتمى الى نمط ثقافى واحد والتعرف على الخصائص المشتركة فى هذا النمط أو ذاك. أى مقارنة الشعوب على أساس المناطق الجغرفيه التى تعيش فيها أو التى كانت تعيش فيها من قبل.

ويمكن القول بصفه عامه أن موضوع الاثنولوجيا هو الثقافه، أى أنها تركز على دراسة سلوك الانسان اينما وجد، ومن ثم فإن الاثنولوچيين يستهدفون تسجيل الاشكال والانماط السلوكيه فى أى مكان سواء اكان المجتمع بدائيا أم متحضرا بغية الوصول الى الخصائص الثقافية للجماعات البشرية المختلفة.

ويعتبر علم اثار ما قبل التاريخ Pre-Historic Archaeology فرعاً من الاثنولوچيا من حيث انه يحاول مثلها اعادة تركيب تاريخ الشعوب والثقافات

بالاستعانة بالبقايا والمخلفات البشرية والثقافيه التى تكشف عنها عمليات الحفر والتنقيب فى الرواسب الجيولوجيه.(٢)

٣ ـ الانثروبولوجيا العامه General Anthropology

يرجع تاريخ اصطلاح انثروبولوچيا الى العصر اليوناني، عندما استخدم أرسطو هذا الاصطلاح للاشارة الى الشخص الذى يتحدث عن نفسه، وكذلك يتألف اصطلاح Anthropology المستخدم فى اللغة الانجليزية واصطلاح Anthropologie المستخدم فى اللغة الفرنسية من الكلمتين اليونانيتين Anthropos ومعناها الانسان، Logia ومعناها العلم أو الدراسة. لذلك فموضوع هذا العلم هو الانسان، والانسان المشتغل به هو الذى يحدد الموضوعات التى يدرسها، أما الزمان والمكان فلا يقيدان المجالات التى تدخل فى نطاقه، ويعنى ذلك انه العلم الذى يدرس الانسان وأصوله وفروعه منذ اقدم العصور والازمنه حتى يومنا هذا.

وبما أن الانسان كائن فيزيقى أو طبيعى يتألف من أعضاء جسميه لها وظائف فسيولوچيه متعدده، كما ينتج ثقافه ماديه وغير مادية يتوارثها الخلف عن السلف، فان لكل انسان ثقافه ولا توجد ثقافه بغير انسان. وهذا الانسان الفيزيقى ذو الثقافة لا يعيش منعزلا أو منفردا، بل يعيش ويتعامل داخل اطار من العلاقات الاجتماعيه مع غيره من بنى البشر، وتشكل هذه العلاقات فى مجموعها كل النظم والانساق الاجتماعية التى تميز المجتمعات الانسانيه.

ونتيجه لهذه الجوانب الثلاثه التى تهتم الانثروبولوچيا بدراستها، ورغم أن هناك صلات وروابط بين هذه الجوانب الثلاثه التى تدرس الانسان، فقد أجمع العلماء على ضرورة أن يتخصص الباحث الانثروبولوچى فى أحد هذه الجوانب

على أن يلم بالجانبين الاخرين. لذلك تفرعت الانثروبولوجيا العامه الى ثلاثه فروع رئيسيه وهي:

١ـ الانثروبولوجيا الطبيعيه Physical Anthropology

تعريفها:ـ

هى دراسة الانسان من حيث هو كائن فيزيقى طبيعى يتألف من اعضاء جسديه لكل منها وظائف فسيولوچيه، ودراسة تطوره العضوى عبر العصور ومختلف السمات الفيزيقيه مثل حجم وشكل الانف ولون العينين وفصائل الدم وبصمات الاصابع وما إليها، كما تهتم أيضا بتصنيف وتوزيع هذه السمات لدى مختلف الشعوب والسلالات.

وترتبط الانثروبولوجيا الطبيعية بعدد من العلوم المعاونه مثل البيولوجيا البشرية والطب البشرى وطب الاسنان وعلم التشريح Anatomy، ويعد علم الانثروبومترى Anthropometry فرعا من ا لانثروبولوچيا الطبيعية لانه يهتم بدراسة ملامح وأعضاء الانسان بالمقاييس التشريحيه مستخدما الدراسات الكميه والاختبارات المعمليه.

ولقد حققت الانثروبولوچيا الطبيعية تقدما ملحوظاً فى الاونه الاخيره بسبب إهتمام العلماء باجراء سلسلة من الحفريات فى مناطق متعدده من العالم القديم والحديث. وباستخدام كربون ١٤ المشع وأدوات أخرى أمكن الكشف عن التاريخ التقريبى للاشكال المبكره للانسان واسباب التنوع السلالى واختلاف السمات الطبيعية، والقاء الضوء على العلاقه بين الانسان الحديث وما سبقه من أشكال انسانيه ظهرت خلال حقب وعصور تاريخيه سابقه. كما تهتم الانثرولوچيا

الطبيعيه بدراسة التأثير المتبادل بين الانسان والبيئة التى يعيش فيها وتأثير هذه العلاقه على تطور ونمو الانسان وثقافته ومختلف سماته الفيزيقية.

ب ـ الانثروبولوجيا الثقافيه Cultural Anthropology

تعريفها:ـ

يعرف تايلور Tylor الثقافه بأنها «ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفه والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل المعتقدات والعادات الاخرى التى يكتسبها الانسان من حيث هو عضو فى المجتمع»

وهناك تعريفات كثيره للثقافه لاداعى لذكرها كلها، ونكتفى بالاشارة الى بعضها فقط على سبيل المثال لا الحصر، فالعالم البريطانى والاس Wallas يعرف الثقافه بأنها «تراكم الافكار والقيم والاشياء» أى أنها التراث الذى يكتسبه الناس من الاجيال السابقه عن طريق التعلم، وعلى ذلك فهى تتميز عن التراث البيولوچى الذى ينتقل الينا عن طريق الجينات والموروثات. وهذا الموقف نفسه الذى ينص على تراكم الثقافه واكتسابها عن طريق التعلم نجده فى معظم تعريفات العلماء الاخرين.

فيذكر هوبل Hoebel أن عامل السلوك المتعلم يعد ركنا اساسيا فى تعريف الثقافه وأنه من الضرورى ان نبعد كل ما هو غريزى وفطرى وكل صور السلوك الموروثه بيولوجيا من مفهوم الثقافه، لذلك فالثقافه فى نظره هى حصيلة الابتكار الاجتماعى فقط، ولذا يمكن اعتبارها بمثابة التراث الاجتماعى الذى ينتقل من جيل الى جيل عن طريق التعلم والتلقين(٤)

وعلى أى حال، فحين يتكلم علماء الانثروبولوچيا والاجتماع عن ثقافة شعب من الشعوب، فانهم يقصدون على العموم طرق المعيشه وأنماط السلوك وقواعد العرف والتقاليد والفنون التكنولوچيه السائده والتى يكتسبها الاعضاء ويلتزمون بها فى سلوكهم وفى حياتهم.

ونظرا للارتباط الوثيق بين هذا الفرع من فروع الانثروبولوجيا وبين مختلف المظاهر الثقافيه فى المجتمع، فان علماء الانثروبولوجيا الثقافيه يستخدمون المدخل الثقافى Cultural Approach فى دراستهم لثقافة المجتمع والتى يقسمونها الى سمات ثقافيه C. Traits وعناصر ثقافيه C. Factors ومركبات ثقافيه C. complex

جـ- الانثروبولوجيا الاجتماعيه Social Anthropology

تعريفها:-

يعرف العلامه ايفانز بريتشارد(٥) Evans - Pritchard الانثروبولوچيا الاجتماعيه بأنها «العلم الذى يدرس السلوك الاجتماعى الذى يتخذ فى العادة شكل نظم اجتماعيه مقرره، كالنظام العائلى أو القرابي، والنظام السياسى والنظام الدينى والنظام الاقتصادى وغيره، كما يدرس العلاقه بين هذه النظم سواء فى المجتمعات المعاصرة أو المجتمعات التاريخية التى يوجد لدينا عنها معلومات مناسبه».

ولم يستخدم تعبير «الانثروبولوچيا الاجتماعية» الا منذ عهد حديث جدا، فقد كان الموضوع يدرس تحت اسم الانثروبولوچيا أو الاثنولوچيا منذ عام ١٨٨٤

فى إكسفورد، ومنذ عام ١٩٠٠ فى كمبردج، ومنذ عام ١٩٠٨ فى جامعة لندن وأول كرسى جامعى حمل أسم «الانثروبولوچيا الاجتماعية» كان هو كرسى الاستاذية الشرفية التى تقلدها سير جيمس فريزر بجامعة ليفربول عام ١٩٠٨، ثم لم يلبث الموضوع ان أعترف به على نطاق واسع بعد ذلك حتى أصبحت الانثروبولوچيا الاجتماعيه تدرس الان تحت هذا الاسم فى عدد من الجامعات فى بريطانيا وغيرها من الجامعات.

والبناء الاجتماعى S. structure هو موضوع الانثروبولوجيا الاجتماعية الرئيسي، وعلى الباحث فى هذا العلم أن ينظر الى المجتمع الذى يدرسه كوحده كليه متبادلة التأثير والتأثر، وعليه أيضا أن يحلل تحليلا منهجيا كل الانساق الاجتماعية S.systems والنظم الاجتماعية S. institutions التى يتألف منها هذا البناء، والتعرف أيضا على الوظائف الاجتماعيه S. functions التى تؤديها الانساق والنظم فى الحفاظ على استمرار وتماسك البناء الاجتماعى الكلي.

وتتبع الانثروبولوچيا الاجتماعيه المنهج التحليلى التكاملى الذى يدرس على مستوى بنائى وعلى درجه من التجريد Abstruction لاتتوفر فى الدراسات الاخرى ويهدف هذا التحليل الى فهم المجتمع المدروس من ناحيه، كما ييسر الوصول الى نظرية عامه من ناحيه أخري. ونظرا للاهتمام الواضح للعلاقة الوثيقه بين البناء والوظيفة فان المدخل الذى يستخدمه الانثروبولوچيون الاجتماعيون فى دراسة المجتمعات المختلفة يعرف بالمدخل البنائى الوظيفى Structural functional approach.

ومن خصائص الدراسة الحديثة فى الانثروبولوچيا الاجتماعية دراسة المشكلات من خلال اطار نظرى واضح، كأن يناقش الباحث مثلا موضوع دراسته من خلال نظرية انثروبولوچيه سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم قرابيه أو جانب منها. ويستخدم المنهج المقارن Comparative method لمقارنة دراسته وهذه النظرية أو تلك، محاولا تحقيق الفروض التى وضعها الباحث لدراسته. وبدون النظريات والفروض لا يمكن انجاز دراسه انثروبولوچيه جيدة المستوى.

وتشترط الدراسه الحديثه أيضا أن تكون لها اتجاه محدد تسير فيه، فالباحث الذى يدرس مشكله اقتصادية مثلا كنظام التبادل أو العمل أو الملكيه عليه أن يناقش كل انساق ونظم المجتمع فى علاقتها بهذه المشكلة التى أثارتها الدراسة.

٤ ـ الرموز والاشكال التوضيحية:

وتستخدم الانثروبولوجيا بعض المصطلحات الاخرى على شكل رموز وأشكال توضيحيه للاشارة الى الاشخاص أو العلاقات الاجتماعيه ولاسيما فى مجال القرابة والزواج.

١ـ الرموز Symbols

△ ذكور مثل الابناء ـ الاباء ـ الاجداد...

○ اناث قبل سن البلوغ أو فى مرحلة الشيخوخه

اناث بعد سن البلوغ أو فى مرحلة الخصوبه

◊ اشخاص بين الذكور والانوثة ـ غير محددى الجنس

= علاقة زواج شرعى أو مقبول اجتماعيا

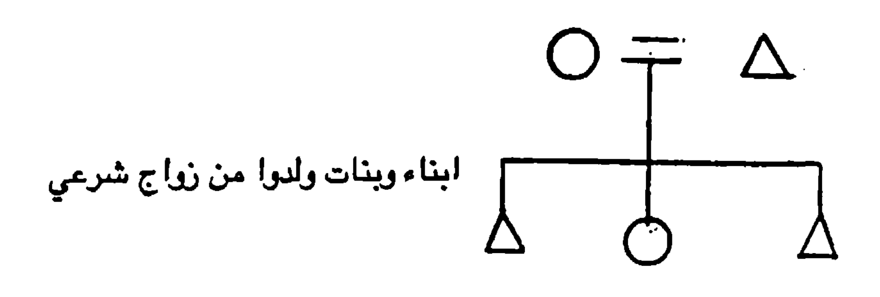
ذكور ماتوا

Ø نساء ماتوا

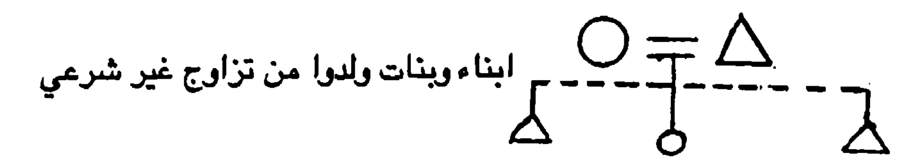
▲ ● الاشخاص الذين تنسب اليهم العلاقة الاجتماعية

أى الانا أو Ego فى النظام

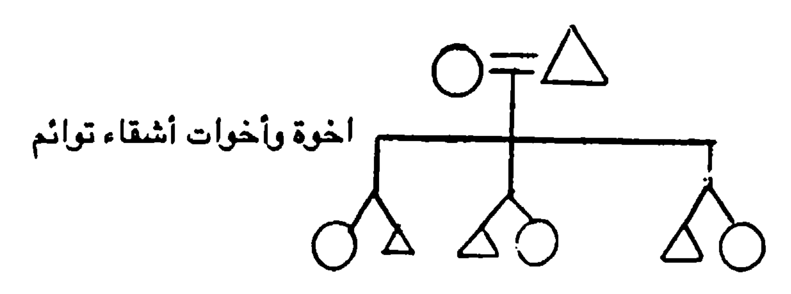
ب ـ الاشكال التوضيحية Diagrams



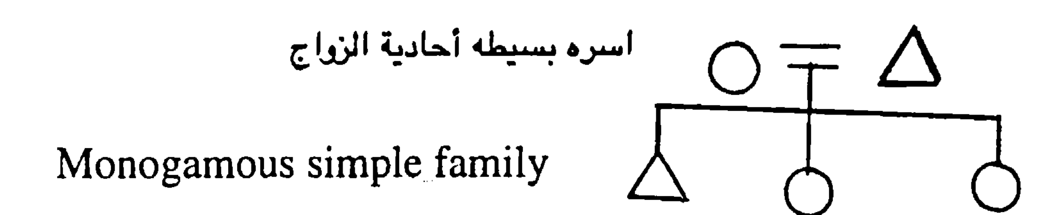
ابناء وبنات ولدوا من زواج شرعي



ابناء وبنات ولدوا من تزاوج غير شرعي

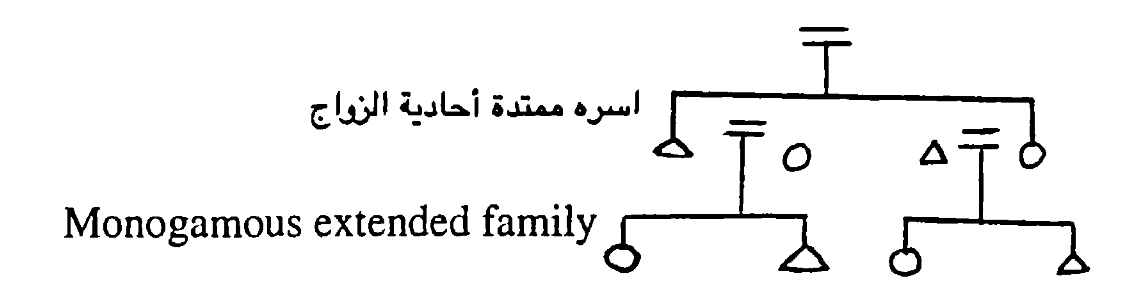


اخوة وأخوات أشقاء توائم



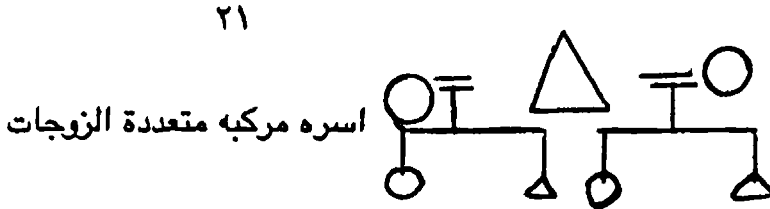
اسره بسيطه أحادية الزواج

Monogamous simple family



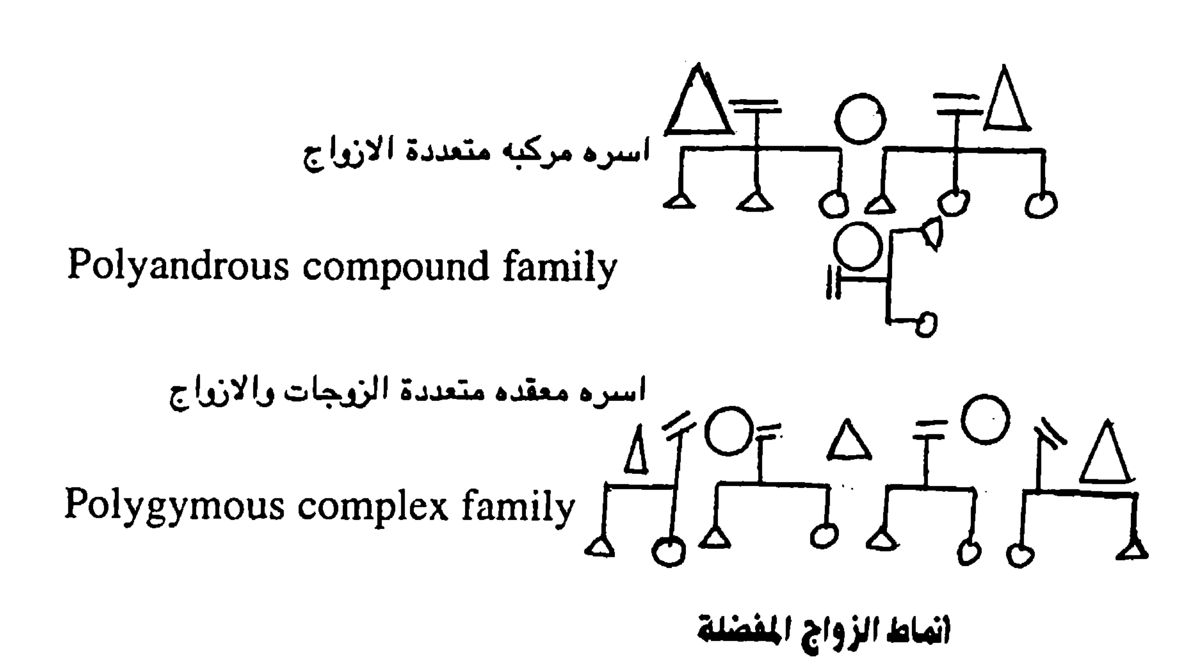
اسره ممتدة أحادية الزواج

Monogamous extended family



اسره مركبه متعددة الزوجات

Polygynous compound family



اسره مركبه متعددة الازواج

Polyandrous compound family

اسره معقده متعددة الزوجات والازواج

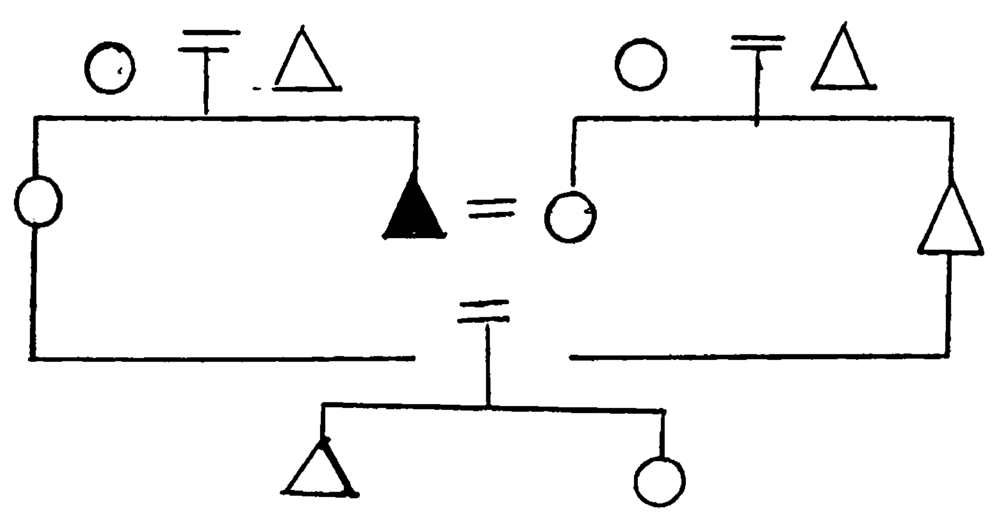
Polygymous complex family

انماط الزواج المفضلة

الزواج التبادلى　　　Exchange Marriage

وينتج هذا النمط عندما يتزوج الشخص من أخت شخص آخر على أن يزوج هذا الشخص أخته من شقيق زوجته.

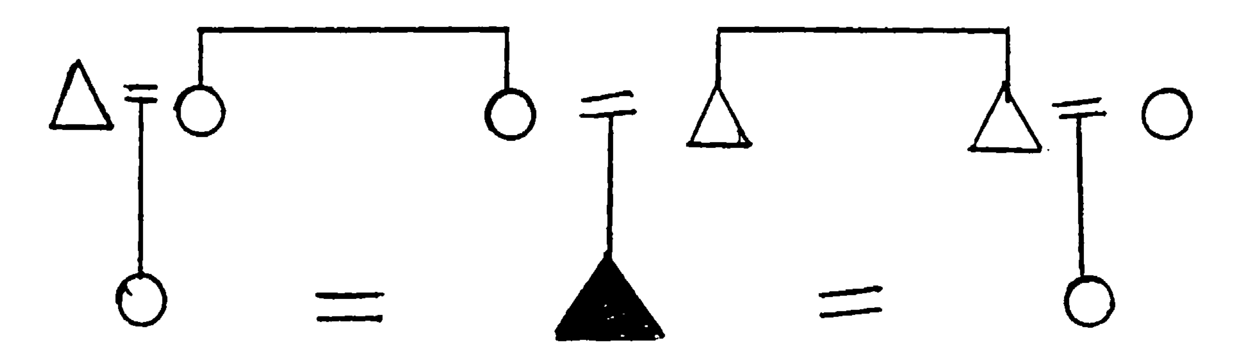
ويترتب على هذه العلاقه الزواجيه الشكل التالى :-



الزواج بين أبناء وبنات العمومة أو الخؤولة المتوازية

Parallel - cousin Marriage

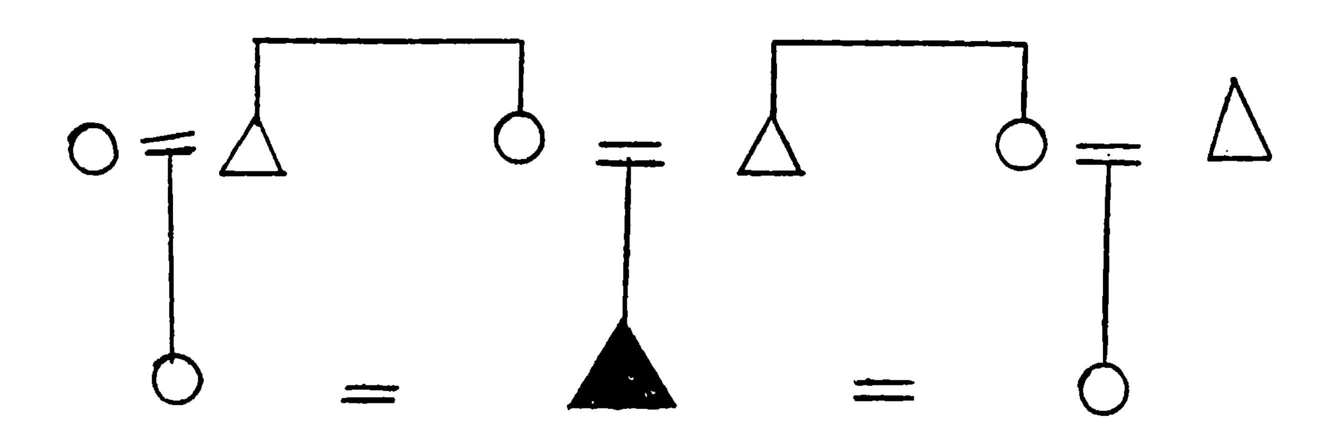
عندما يتزوج الرجل من ابنة عمه من ناحية أو أبنة خالته من ناحيه أخرى وينتج عن هذا النمط الشكل التوضيحى التالى : -



الزواج بين أبناء وبنات العمومه أو الخؤولة المتقاطعة

Cross - cousin marriage

وذلك عندما يتزوج الرجل من ابنة عمته من ناحيه أو أبنة خاله من ناحيه أخري، وينتج عن ذلك الشكل الاتي: -



ويمكن دراسة الانثروبولوچيا الاجتماعيه فى المجال الافريقى من عدة زوايا أو مداخل بحيثيه. approaches، وحيث أن البناء الاجتماعى لاى مجتمع يتألف من عدد من الانساق كالنسق الايكولوچى والنسق الاقتصادى والنسق القرابى والنسق السياسى والنسق الدينى وغيرها، وتتطلب دراسة أى من هذه الانساق التعرف على العلاقة المتبادلة بين هذا النسق وغيره من الانساق، ولذلك فسوف نتناول المداخل المختلفة التى يتبعها الباحث عند دراسته لاحد أشكال الحياة الافريقية سواء فى جانبها الاقتصادى أو السياسى أو القرابى أو غيرها.

الفصـل الثاني

المدخل الايكولوجى لدراسة انثروبولوجية افريقيا

أن أبسط تعريف للايكولوجيا Ecology هو «دراسة العلاقات المتبادله بين الانسـان والبيـئة التى يعيش فيـها» ولقد شـغل موضـوع العـلاقة بين الانسـان والبيئة حيزا كبيرا من اهتمام المفكرين والفلاسفة منذ زمن بعيد، وذلك للتعرف على تـأثير البيـئة الطبيـعية فى العناصـر البـشرية التى تـعيش فى مـجـالها، وكمـحاوله لتفسير اختلاف الخصائص البشرية تبعا لتنوع واختلاف البيئات فى المجتمعات الانسانيه.

١ ـ اهمية المدخل الايكولوجى فى دراسة الانثروبولوجيا:

افـترضت الاتجـاهات الفكرية القديمة[٦] ان الاخـتـلافـات فى طرق مـعيشـه الناس وتشكيل خصائصـهم البشرية انما ترجع أو ترتبط بالاختلافات فى البيئة المحيطه بهم، وعلى سبيل المثال يحلل أبو قراط Hippocrates أحد مفكرى اليـونان القدامى فى كتابه «الاجواء والمياه والامكنه» أثر الوسط الفيزيقى على سكان المجتمعات، ويذكر ان الصفات الجسمية والعقليه للشعوب الاسيوية والاوربيه ليست الا نتيجة ضرورية للظروف المناخية والتضاريسية. أما فى الفكر الرومانى القديم فيذهب فيترفيوس Viturvius الى تأكيد الفكره القديمة الى كانت تقـول بضـعف سكان المناطق الجنوبية جـسـميـا وعـقليـا وغبـاء الشـعوب الشمالية ثم تفوق سكان المناطق المعتدله.

وفى القرن الثامن عشر ربط مونتسكيو Montesquie بين الظروف الطبيعية والمناخية وبين النظم الاجتماعيه، ومن أطرف ما قاله فى هذا الشأن «أن الدين الاسلامى يتفق مع الشعوب المدارية، والكاثوليكية تتفق مع المناطق المعتدلة، بينما تتناسب البروتستانتيه شعوب المناطق الباردة، كما أن نظام تعدد الزوجات يلائم المناطق المدارية، والزواج الاحادى يلائم المناطق المعتدلة والباردة».

وهكذا افترض هؤلاء المفكرون القدماء - بشكل أو آخر - أن الخصائص الطبيعية لاقليم ما وبخاصة الظروف والاحوال المناخيه تعمل على تشكيل حياة الناس وتحديد أساليب وطرق معيشتهم وترسم أنماط سلوكهم وتصرفاتهم وتجبرهم على اتخاذ نماذج معينة من النظم الاجتماعية والثقافيه. كما تزيل أو تمحو أولئك الذين لا يتوافقون أو يتكيفون مع تلك الظروف البيئية السائدة.

ولذلك بالغ بعض العلماء فى تأثير العامل الجغرافى وحده فى العلاقة بين الانسان والبيئة التى يعش فيها، أى خضوع سكان أى مجتمع خضوعا كاملا للظروف الجغرافية السائدة بحيث تترك بصماتها واضحة على العناصر البشرية نفسها، وكذلك على النظم الاجتماعية والسمات الثقافيه، وأن خروج الانسان من هذه السيطرة البيئية يعد من المستحيلات. وأنتهوا بصياغة ما أسموه «الحتمية الجغرافيه» للاشارة الى تلك العلاقة اللصيقة التى تربط الانسان بالبيئة وتطبعه بطابعها المميز.

أما الان فقد أصبح العلماء المحدثين أكثر ادراكا للدور الذى يقوم به الانسان للتحرر من سيطرة الظروف الطبيعية المحيطة به، وتمكنه من تحقيق قدر من النجاح للتغلب على الظروف البيئية المناوئة التى تعوق تقدمه نحو حياة أفضل.

ويرجع الفضل الى علماء الانثروبولوجيا الذين لم يقبلوا هذه الاراء والنظريات التى سادت فترة طويلة من الزمان، والتى كانت تصور الانسان ككائن سلبى تفعل به البيئه كما تشاء، وذلك من خلال الدراسات الميدانية التى قاموا بها فى مختلف المجتمعات البشرية بدائية أو حضريه وأثبتوا بما لا يدع مجالا للشك أن العامل الجغرافى ـ رغم أهميته التى لا تنكر ـ ليس وحده المسئول عن تشكيل حياة الناس وتحديد طرق معيشتهم بل ان هناك عوامل أخرى يجب ان تؤخذ فى الاعتبار عند تفسير العلاقات المتبادلة بين الانسان والبيئة التى يعيش فيها.

وأوضح دليل على ذلك ما تقوم به الشعوب الأفريقية وما تبتكره من وسائل وأساليب للتغلب على الظروف البيئية القاسية التى يعيشون فيها، فقد استطاعت هذه الشعوب فى أرجاء القارة المختلفة من تنويع مصادر انتاج القوات والطعام بوسائل محليه قد لا توجد فى غير أفريقيا، مثلما أزال الافريقيون النباتات البريه غير المفيده وحولوها الى أراضى صالحه للزراعة باستخدام أسلوب الزراعة المتنقلة Shifting Cultivation للتغلب على مشكلة خصوبة التربة، وابتكروا الادوات الزراعية الملائمة للبيئة مثل عصا الحفر وغيرها لتحقيق أقصى معدل للانتاج تسمح به الظروف. وعن طريق النظم الاجتماعية المختلفة أمكن تقسيم العمل بين أعضاء العائلة كأن تختص النساء بزراعة الارض بينما يتفرغ الرجال لمهنة الرعى أو الصيد وهكذا. وبذلك يعتمد الاقتصاد الافريقى على أكثر من مصدر سواء للانتاج المعيشى أو النقدي. كما تلعب الانماط الثقافية دورا بالغ الاهمية للتكيف مع ظروف البيئة مثل ارتداء ملابس وأدوات من عناصر مادية متوفرة، واقامة مساكن تناسب الاجواء الحارة أو المطيرة أو الباردة.

ويعد المدخل الايكولوجى لدراسة المجتمعات الافريقية ـ وأى مجتمعات أخرى ـ من أنسب الوسائل لفهم طبيعة الدور الهام الذى تلعبه البيئة فى حياة سكان

المجتمع، ولذلك فان أى دراسة انثروبولوجية للمجتمع لن تكون كاملة دون دراسة موقعه الجغرافي وبيئته الطبيعيه لمعرفه العلاقات المتبادله بين الانسان والبيئه ومدى تاثره بها والى أى حد أمكن تاثيره فيها، وسيطر هذا الاستهلال الايكولوجي على كل الدراسات الانثروبولوجية الحديثة حتى كاد ان يكون قاعدة منهجيه رئيسية، بل ذهب بعض علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الى اعتبار النسق الايكولوجى كأحد الانساق الهامه فى البناء الا جتماعى وذلك لادراكهم الكامل بالتفاعل والتساند الوظيفى المتبادل بين الظواهر الايكولوجية التى يتضمنها النسق الايكولوجي وباقى الانساق الاجتماعية الاخرى التى تؤلف فى مجموعها البناء الاجتماعي.

٢ ـ علاقة الظواهر الايكولوجية بالظواهر الاجتماعية

ونتيجة لهذا الاهتمام المتزايد بدراسة الظواهر الايكولوجية وعلاقتها بالنظم الاجتماعية، أثبتت الدراسات الانثروبولوجية الميدانية تأثر العلاقات الاجتماعية بالبيئة الطبيعية لدى الشعوب والمجتمعات التى تعتمد ـ بطريقة مباشرة ـ على ما تجود به الطبيعة من موارد معيشية، فقد يؤدى سقوط الامطار بغزارة شديدة الى فساد المحصولات الزراعية، وقد يؤدى عدم سقوط الامطار إلى قحط وجدب مما يدفع افراد المجتمع أو معظمه الى الهجرة من أماكن اقامتهم ليعشوا فى كنف جماعة أخري. وهنا تقوم النظم الاجتماعية بتنظيم العلاقات المتبادلة بين تلك الجماعات. وهناك جماعات أفريقية كثيرة وبخاصة الجماعات الرعوية فى شرق أفريقا يقوم نظامها الاجتماعى على مثل هذه الهجرات الموسمية، والتى يسميها علماء الانثروبولوجيا بظاهرة الانشقاق والالتحام وغيرها من النظم الاجتماعية الاخرى التى تسمح بمثل هذه التنقلات والهجرات بشكل يحقق الضبط الاجتماعى ويمنع الصراعات والخلافات بين هذه الجماعات

المختلفة. ولذلك فان الانثروبولوجيا الاجتماعية عند تناولها للجانب الايكولوجى تهتم اساسا بالتعرف على العلاقات المتبادلة بين الظواهر الايكولوجية والنظم الاجتماعية فى أى مجتمع بشرى ودور الانسان فى هذه العلاقات المتبادله، ومع أهمية الوصف الجغرافى للاقليم الذى يعيش فيه السكان كالتضاريس أو المناخ أو الحدود الادارية والسياسية أو كمية الامطار ووجود أو عدم وجود أنهار أو بحار أو بحيرات، وغير ذلك من معلومات جغرافيه هامه تشكل الاساس المادى للظواهر الايكولوجيه الذى يقوم عليه التحليل الانثروبولوجي، فلابد من ابراز الدور الهام الذى يقوم به العنصر البشرى فى مواجهة هذه الظروف الطبيعية وطبيعة النظم الاجتماعية والثقافية التى تعمل على التغلب على هذه الظروف، والتى تتمثل فى الطرق والاساليب التى يتخذها الناس لمواجهة الظواهر الطبيعية المناوئة كالكوارث المفاجئة مثل السيول أو الفيضانات أو العواصف الرعدية وغيرها، وطبيعة التكيف والتعامل مع كل ظرف من هذه الظروف وكيفية التغلب عليها لان استجابة السكان للظروف الطبيعية تختلف من مجتمع لاخر.(٧)

وليس أدل على ذلك من اننا نجد بيئات متماثلة بينما يسود فيها نظم اجتماعية مختلفة، ففى معظم المجتمعات الافريقية يوجد كثير من أنماط الحياة جنبا الى جنب، بحيث يمارس بعض الاهالى مهنة الزراعة بينما تمارس جماعات أخرى فى نفس المجتمع حرفا أخرى كالرعى أو الصيد مثلا، وقد تمارس جماعة ثالثة نمط الاقتصاد المزدوج الذى يجمع بين الزراعة والرعي، رغم أن الجميع يعيش فى ظروف طبيعية واحدة، وهذا يعنى أن البيئة لا تمارس ضغطا شاملا على السكان أو تجبرهم على ممارسة حرفة أو مهنة أو نشاط إقتصادى معين.

وعندما تبين أن الظروف الطبيعية أو البيئية ليست وحدها المسئولة عن تشكيل حياة الناس وتحديد طرق معيشتهم، قام علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية

بتفسير العلاقة بين العوامل البيئية والسكان، وكذلك دور البيئة فى الحياة الاجتماعية والثقافيه فى أى مجتمع، ويحدد ريموند فيرث[٨] R. Firth أربع نقاط أساسية تفسر هذه العلاقة هى : ـ

١ ـ تقدم البيئة بصفة عامة حدودا عريضه لامكانيات الحياة البشرية، وبما أن الانسان حيوان عبقرى فقد استطاعت جماعات بشرية ان تكيف نفسها للظروف القاسية جدا التى تبدو لاول وهلة مستحيلة بالنسبة للوجود الانساني، فسكان أستراليا الاصليين وقبائل البشمن فى صحراء كلهارى وأقزام الكونغو فى أفريقيا يعيشون فى ظل ظروف بيئية بالغة القسوة، ومع ذلك فان تنظيمهم الاجتماعى يقوم على شكل زمر وجماعات صغيرة متعاونة وتتحرك على مساحة واسعة من الاراضى وتتعاون كل زمرة مع أعضائها فى نظام بديع لتقسيم العمل كما تتعاون مع الزمر الاخرى فى نفس الاقليم، وبذلك يتم تدبير وسائل العيش والاقامة وكافة مستلزمات الحياة.

٢ ـ ان قسوة الظروف البيئية لم تمنع الناس من ابتكار اساليب ثقافيه مختلفة تمكنهم من العيش فى هذه البيئة، فسكان المنطقة الاستوائية من أفريقيا لا يكترثون بارتفاع درجة الحرارة ويمكنهم السيرعراة الاجسام الا ما يستر عوراتهم، كما لا يحتاجون الى مساكن متينة البنيان، بل نجد فى مناطق كثيرة من أفريقيا أن هذه المساكن متنقله يمكن حلها وتركيبها ونقلها من مكان لاخر بسهولة ويسر. أما فى المناطق الصحراوية فيتغلب البدو على ظروف بيئتهم بالملابس الفضفاضه ويقيمون الخيام التى يصنعونها من صوف ووبر الحيوانات المتوفرة فى البيئة كالابل والغنم مثلا وغير ذلك من الاساليب الثقافيه التى تبتكر للتغلب والتكيف مع الظروف القاسية.

٣ ـ مع ما تقدمه البيئة من موارد قد تكون محدوده بطبيعتها، فانها أيضا توفر البدائل والموارد الاخرى لاشباع الحاجات والمطالب الاساسية، وأهمها بطبيعة الحال المأكل والملبس والمسكن. ولقد تبين من الدراسات الانثروبولوجية المتعددة ان كل شعب يقبل ويستسيغ الاطعمه والمواد الغذائية التى تتوفر فى بيئته ولا يرضى عنها بديلا، فهذه شعوب تعيش على الحبوب والمحاصيل الزراعية الاخري، بينما تتغذى شعوب أخرى على لحوم الحيوانات سواء كانت مستأنسه أم برية، بينما تعيش شعوب وجماعات أخرى على صيد السمك والحيوانات البحرية من البحار أو الانهار وهكذا . كما يجد سكان الاسكيمو حاجتهم من الغذاء وبناء المساكن فى لحوم وجلود الحيوانات القطبية التى يصطادونها، ويستخدم سكان الغابات لحاء الاشجار كملابس وأدوات للزينة، ومن فروع الاشجار يقيمون مساكن بشكل فنى دقيق يدعو الى الاعجاب.

٤ ـ تقوم البيئة بشكل هام فى التكيف للحياة الثقافيه والشعائرية فسكان أى اقليم يستمدون تصواتهم عن الكون والقوى الروحية التى يعتقدون أنها تحيط بهم من خلال الظواهر الطبيعية التى توجد فى اقليمهم، ويتصورون أن هذه الكائنات الروحية هى التى تسير هذا الكون وهى التى تحميهم من كل الشرور وعليهم استرضاؤها واستمالتها حتى تقف الى جانبهم، فالاحتفالات والشعائر الدينية والطقوس المختلفة التى يقوم بها صانع المطر Rain maker مثلا عند الشعوب والقبائل النيلية فى جنوب السودان توجد أيضا عند الهنود الحمر فى أريزونا بامريكا الشمالية. ولا يمكن ان توجد هذه الشعائر والتصورات الدينية لصناع مطر يعيشون مثلا فى بيئة صحراويه.

ويلخص ريموند فيرث هذه النقاط الاربع لدور البيئة فى حياة السكان، الى أن ما يوجد من ظروف بيئيه عند الشعوب البدائية والتقليدية أو البسيطة عموما

يصدق أيضا على ما يوجد عند الشعوب المتقدمه فى أوربا وأمريكا، حيث تمارس العوامل الجغرافيه فى كل المجتمعات البشرية تأثيرات قويه على الحياة الاجتماعية، ولكن بينما تواجه المجتمعات المتقدمة ظروف بيئتها بانتصارات متوالية للعلم وانجازاته التكنولوجيه الهائلة، فان المجتمعات الاقل تقدما فى أفريقيا وآسيا وغيرها تحقق انجازات محدودة فى هذا المجال.

٣ ـ تصور الشعوب للزمان والمكان:

ويتطلب المدخل الايكولوجى لدراسه المجتمعات أيضا، أن يهتم الباحث فى الانثروبولوجيا الاجتماعية عند بحثه لاحد المجتمعات البسيطة أو التقليدية بتصور الناس للزمان والمكان Time and Space فقد شغلت هذه الفكرة أذهان الكثير من العلماء، ولا سيما أولئك الذين أتيح لهم عن قرب ملاحظة هذا التصور أثناء دراستهم الميدانية ووجدوا ان الشعوب تختلف تصوراتها باختلاف البيئات التى يعيشون فيها، وما يسود فيها من ظواهر طبيعية مميزه، كما يرتبط مفهوم الزمان والمكان لديهم ارتباطا وثيقا بدرجة الثقافه السائدة ونوع التنظيم الاجتماعي، ولذلك فان هذه المفاهيم تختلف عند سكان المجتمع البدائى عنه فى المجتمع التقليدى أو المجتمع القروى بالمقارنة بسكان المجتمع الحضري.

وتعد دراسة ايفانز بريتشارد(٩) عن مفهوم الزمان والمكان عند النوير Nuer فى جنوب السوادن من الدراسات الرائدة فى هذا المجال، فقد استخدم المدخل الايكولوجى فى هذا المجتمع لفهم ودراسة النسق السياسى عند النوير وكيفية توزيع السلطة والنفوذ بين العشائر والبدنات فى مجتمع انقسامى يفتقد الى السلطة المركزية، وبعدها أصبح هذا الاتجاه تقليدا فى

معظم دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية للتعرف على العلاقات المتبادلة بين الظواهر الايكولوجية والظواهر الاجتماعية.

وقد ربط بعض العلماء بين دراسة الزمان وبين عمليات التغيير والتنمية فيذهب ويلبرت مور[١٠] W. Moore الى أنه يمكن أعتبار الزمان كظرف محدد من ناحية وكمقياس للاستمرار والتغير من ناحية أخري، ويرجع الفضل للمشتغلين بالعلم الاجتماعى الى ادراكهم للزمان بأنه حالة أو متغير له أهميه كبري، ويطالب بمجال بحث جديد فى الانثروبولوجيا يهتم بالزمان ويطلق عليه Anthropochronology أى العلم الذى يهتم بدراسة الزمان بالمفهوم الانثروبولوجي، حيث يقسم الزمان الى ابعاد ثلاثه هي: ـ الزمان البيولوجى ـ الزمان السيكولوجى ـ الزمان الاجتماعي.

كما تناول الاستاذ رود ولف ريتسوهازي[١١] Rezsohazy . فكرة الزمان وعلاقتها اللصيقة بالواقع الاجتماعى وأثر ذلك فى التغير والتنمية، فذهب الى أن الزمان ليس مفهوما فيزيقيا أو فلسفيا، ولكنه انبثاق اجتماعى ولذلك صاغ اصطلاح الزمان الاجتماعى S. Time ليؤكد على أن لكل مجتمع مفهوم معين يصيغه للزمان تقبله أغلبية اعضائه على أنه أمر طبيعى ويستخدم معياراً لتنظيم أوجه نشاطهم، وان لكل مجتمع الانماط السلوكيه الملائمة لمفهوم الزمان التى يبثها فى اذهان اعضائه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

ويرى ريستو هازى ان مفهوم الزمان الاجتماعى يمكن ان ينقسم الى خمسة ابعاد يشمل كل منها جانبا منفصلا متميزا هى : ـ

١ ـ التوقيت:

أى الكيفية التى ترتب بها ضروب النشاط فى علاقتها ببعضها مثال ذلك كيف يرتب ـ فيما يتعلق بالزمان ـ عقد اجتماع بين أعضاء مجتمع ريفى يريدون جمع المحصول معا.

٢ ـ ترتيب الوقت:

أى الكيفية التى بها يوزع الافراد والجماعات أوجه نشاطهم ويرتبون أفعالهم فى مجموعات ويقسمون المهام والواجبات التى تواجههم الى مراحل متعاقبة.

٣ ـ التنبؤ:

يعنى القدرة على أن تتخيل الاحداث فى المستقبل فى أوقات معينة وأن نضع لنفسنا أهدافا أبعد، وأن نهيأ أنفسنا لممارسة أنشطة طبقا لاحداث مستقبلية أو متوقعة.

٤ ـ الزمان التاريخي:

ويعنى رؤية مسار الاحداث البارزة فى التاريخ الانساني، ومحاولة الاستفادة من دورات الارتفاع والانخفاض فى معالجة الواقع المعاش، حتى نتجنب الاخطاء التى وقع فيها من سبقونا.

٥ ـ الزمان كقيمة:

أى كيفية تقدير الناس للزمان المتاح لهم وطريقة الاستفادة به سواء كان الزمان يستغرق الحياة باكملها أو عام واحد أو شهر أو اسبوع أو يوم، والزمان

يمكن تنظيمه والسيطرة عليه بدرجات مختلفة طبقا لما يعطى له من قيمه ...... فمثلا قد يرى مجتمع أو أحد اعضائه أن الوقت من ذهب، ويرى آخر انه تسليه، ويرى ثالث أنه تأمل وتدبير وتفكير.

الا أن الزمان الاجتماعى بالمفهوم السابق يكاد يصدق على سكان المجتمعات التى بلغت درجة نسبية من التقدم حيث يقل أثر الظروف البيئية فى حياتهم أو ينعدم. أما فى المجتمعات البسيطة أو التقليدية مثل المجتمعات الافريقية فان الظروف البيئية السائدة لها اثر كبير فى حياة السكان، ولذلك فان المدخل الايكولوجى لدراسة هذه المجتمعات يعد المدخل الاكثر ملائمة لهذا النوع من المجتمعات، وأفضل من استخدم البعد الايكولوجى فى دراسة المجتمعات الافريقية هو ايفانز بريتشارد فى دراستة لمجتمع النوير، فقد بحث فى مختلف أنواع النشاط التى يمارسها أعضاء ذلك المجتمع فى الفصول المختلفة وكيف يتكيف الناس هناك للظروف البيئية السائدة فى مجتمعهم. ويذكر أنه بينما تحدد البيئة الطبيعية كل مفاهيم الزمان والمكان فان القيم التى تتضمنها هذه المفاهيم قد تكون إستجابة أو انعكاس لها وتعتمد أيضا على مبادئ بنائية، ويميز بين الزمان من حيث انه إنعكاسات لعلاقة الناس بالبيئة وهو ما أطلق على الزمان الايكولوجى (Ecological Time) وبين الزمان من حيث انه انعكاس لعلاقات الناس بعضهم ببعض فى البناء الاجتماعى وهو ما أطلق علية الزمان البنائى (Structural Time) وكلا النوعين من الزمان يشيران الى التتابع.

ومما سبق يتبين أن البيئة تمارس نوعا من التأثير على الانسان بما تتميز به من خصائص طبيعية تميز مجتمعا معينا عن غيره من المجتمعات، ولكن الانسان رغم هذا التأثير البيئى يمكنه التكيف مع الظروف والاوضاع البيئية التى تقف

حجرة عثرة أمام استفادته من الموارد الطبيعية التى يعتمد عليها فى معيشته، وذلك بفضل ما يصطنعه من أساليب فنية ـ مهما كانت درجة تقدمها ـ ونظم اجتماعيه تمكنه من السيطرة الى حد ما على تلك الظروف. ولكن ذلك لا يلغى تماما دور البيئة التى تترك بصماتها واضحة على الحياة الاجتماعية لدى شعب من الشعوب، ولذلك يختلف سكان كل مجتمع فى طريقة مواجهتهم لظروف بيئتهم، وينتج عن هذا الاختلاف تباين النظم والثقافات فى المجتمعات المختلفة وان تشابهت فى بعض جوانبها.

كما يتضح دور البيئة أيضا فى اختلاف تصور السكان للزمان والمكان حيث تعطى البيئة فى هذه الحالة المحددات الرئيسية لافكار السكان وتصوراتهم للزمان والمكان، فيقوم هؤلا بتنظيم مناشطهم الاجتماعية تبعا لما يسود فى البيئة من ظواهر طبيعية(١٢).

وهذا يؤكد لنا الصلة الوثيقه التى تربط بين الظواهر الايكولوجية والنظم الاجتماعية والثقافيه فى المجتمعات الانسانية، ويوضح أيضا لماذا كانت دراسة هذه الظواهر ومعرفة العلاقات المتبادلة بين البيئة والسكان فى أى مجتمع ضرورة لاغنى فى فهم النظم الاجتماعية الاخرى التى تؤلف البناء الاجتماعى لاى مجتمع من المجتمعات.

الفصل الثالث

المدخل الاقتصادى لدراسة انثروبولوجية افريقيا

تتنوع النظم والانشطة الاقتصاديه فى افريقيا تنوعا هائلا، ويمكن القول بصفه عامه أن القارة الافريقيه يوجد بها كل المجالات والانشطه الاقتصاديه المعروفه فى العالم، وذلك لتنوع وتباين الموارد الطبيعيه من جهة وتعدد الاقاليم النباتيه والمناخية والتضاريسيه من جهه اخري.

١ ـ محاولات تصنيف الشعوب الافريقية اقتصاديا:

ولقد حاول بعض العلماء تصنيف المجتمعات على أساس النشاط الاقتصادى السائد فيها، ولعل أقدم تلك التصنيفات ما قام به لويس مور جان فى كتابه (المجتمع القديم)[١٣] فقد حاول ان يقيم تخطيطا كاملا لتقدم النظم الاجتماعيه، وبذلك قسم التاريخ البشرى كله الى عدد من المراحل التى يرتبط كل منها بمظاهر ومميزات اقتصاديه وعقليه خاصه، وهو الامر الذى يشاركه بعض العلماء المحدثين ممن يعرفون باسم اصحاب المدرسه الداروينيه الحديثه فى امريكا. وذهب مورجان الى انه يمكن التمييز بسهوله بين خمسة انوا ع من مصادر انتاج الطعام او وسائل المعيشه ظهرت على فترات متتاليه. اما المصدر الأول او الوسيله الاولى من وسائل المعيشه فهى ما يسميه بالمعيشه الطبيعيه التى تعتمد على الثمار والجذور فى الموطن الضيق المحدود، وهو ما اصبح يعرف بعد ذلك باسم الجمع والالتقاط. ففى هذه المرحله كانت الحياة البشريه

حياة بدائيه بكل معانى الكلمه، وكان الناس يعيشون فى جماعات وزمر صغيرة تشغل مساحات محدودة من الارض وبخاصة المناطق المدارية او شبه المداريه حيث يتوفر ذلك النوع من الطعام بكثره، ولم يكن الانسان يعرف فى ذلك الوقت اى نوع من النظم الاجتماعيه كما كانت حياته تخلو من الفنون.

واما الشكل الثانى فهو المعيشه على السمك ويعتبر مورجان ذلك اول نوع من الطعام «غير الطبيعي» نظرا لانه لا يعتبر صالحاً للاكل الا بعد ان يطهي. ويحتمل ان يكون طهى الطعام كان هو السبب الاول والاصلى لاختراع النار. والشكل الثالث هو المعيشه على الحبوب، وتعتبر هذه المرحله الاولى لظهور الزراعه، وهى مرحلة زراعة الحدائق او البساتين، اى الزراعه على نطاق ضيق محدود بقصد الاستهلاك الخاص. واهم ما يميز هذه المرحله من مجرد الجمع والالتقاط هو أن الانسان هنا بدأ يعرف الحبوب وبخاصه الذرة ويقوم باستنباتها، وقد شهدت هذه الفتره ذاتها اولى محاولات الانسان لاستئناس الحيوان فى اسيا واوروبا. ثم جاءت مرحلة رابعة تتمثل فى الاعتماد على اللحم واللبن نظرا لكثرة الحيوانات الاليفه وظهور الرعى فى السهول ثم تربية الحيوان تربيه مستقره، ثم توصل الانسان اخيرا الى زراعة الحقول الواسعة المتراميه مما ادى الى توفر الطعام بكثرة، وساعد على ذلك استئناس الحيوان نفسه بحيث امكن استخدامه فى الاعمال الشاقه المتعلقه بفلاحة الارض، وذلك بالطبع الى جانب المجهود الفيزيقى الذى كان يقوم به الانسان نفسه .

ومن المحاولات الجاده فى تصنيف المناشط الاقتصاديه فى افريقيا، فهى الدراسه التى قام بها العالم الامريكى ميلفل هرسكو فيتز[١٤] Herskovits، حيث صنف المناطق الثقافيه فى افريقيا إلى تسع مناطق تبعا للخصائص الثقافيه

والاجتماعيه والاقتصاديه الغالبة، وسنوجز الخصائص الاقتصادية فى ست مناطق تقع جنوب الصحراء فى افريقيا فيما يلي: ـ

المنطقة الاولي: توجد فى جنوب القاره ويعيش فيها قبائل البشمن والهتنتوت. ورغم اختلاف النشاط الاقتصادى بينهما حيث ان البشمن يعيشون على الجمع والالتقاط والصيد البري، اما الهتنتوت فهم رعاة ماشيه، إلا أن هاتين الجماعتين تعرضتا لضغط من البانتو والبوير واصبح مصيرهما واحد، يعيشون على ما تجود به الطبيعة فى صحراء كلهارى كما ان اقتصادهم المعيشى يكاد يفى باحتياجاتهم الغذائيه الضرورية.

ويعكس البناء الاجتماعى لهذه الجماعات طبيعة الحالة الاقتصاديه السائده لديهم، فالوحدة الاجتماعيه لدى البشمن تتالف من زمرة صغيره تتجول حول مصادر المياه، ويتعاون افرادها فى صيد الحيوانات وايضا جمع بعض الاطعمه البريه. اما الهتنتوت فان البناء الاجتماعى لديهم اكثر تعقيدا حيث يقوم على التنظيم القبلي، وتتالف القبيله من عدد من العشائر تأخذ كل منها اسم موسس العشيرة.

اما المنطقة الثانية: فهى منطقة مركب الماشيه Cattle complex فى شرق افريقيا وهى تمتد من جنوب القارة حتى منطقة البحيرات العظمى ولها امتداد ايضا فى الجنوب الغربى فى دولة انجولا. وتعد الماشيه هى محور البناء الاجتماعى بما يشمله من جوانب اقتصاديه وسياسيه وقرابيه وشعائريه، والتركيز على هذه الحيوانات هو الذى اعطى لهذه المنطقة سماتها وخصائصها الثقافيه المتميزه. ورغم وجود الماشيه فى مناطق اخرى من القارة كما هو الحال عند الهتنتوت والسودان الغربى وغيرها، الا ان وضعها يختلف عما يوجد فى

منطقة مركب الماشيه. فعند قبائل النجونى فى نياسالاند مثلا تعد الماشيه مصدرا للامن والسرور والاشباع النفسى والعاطفي.

وقد أدت المكانه المتميزه للماشيه فى ثقافات شرق افريقيا الى وجود اقتصاد مزدوج يقوم احدهما على الانساق المعيشيه وهى الزراعة بينما يقوم الاقتصاد الثانى على المكانه الاجتماعيه لامتلاك الماشيه، وكلاهما مكمل للاخر.

اما المنطقه الثالثة: فتوجد فى السودان الشرقى وتمتد من النيل حتى بحيرة تشاد غربا، وتشمل الشعوب والقبائل النيلية كالدنكا والشيلوك والنوير وغيرهم، ويعتمد اقتصادهم على الرعى فى موسم الجفاف وعلى الزراعه فى موسم الامطار، ولذلك فهو اقتصاد مزدوج ايضا، وفى الجزء الشمالى والغربى من هذه المنطقه يعتمد الاقتصاد المعيشى على رعى الابل بينما فى اقصى الغرب عند جبال النوبا تتعدد الانشطه الاقتصاديه بين الزراعه ورعى الحيوان ووالصيد البرى بالاضافه الى بعض الصناعات اليدويه الخفيفه.

وفى المنطقة الرابعة: نصادف النطاق الزراعى فى حوض الكنغو، ويعد سكان منطقة الكنغو من امهر الزراع فى افريقيا، ولديهم فكرة منظمه عند تصنيفات التربة، بحيث تجود زراعة محاصيل معينه فى تربة بعينها بينما لا تجود فى غيرها، وفى اقصى الغرب من هذه المنطقه تمارس قبيلة الباكونغو اساليب زراعيه متنوعة للاستفادة من الاراضى الزراعية الواسعة، ومن هذه الاساليب الزراعة المتنقلة Shifting cultivation حيث تزرع الارض لعدد محدود من السنوات وعندما تفقد الارض خصوبتها تترك لتستعيد هذه الخصوبه وينتقل المزارع لزراعة ارض اخرى وهكذا. وبجانب المهاره الزراعيه الى يجيدها سكان هذا الاقليم، فان لديهم العديد من الصناعات التقليديه

المتنوعه كصنع السلال والنسيج والاقمشه من مختلف المواد الاولية والفخار والمنتجات الخشبيه والحديدية.

اما المنطقة الخامسه فهى اقليم ساحل غينيا، وتعد الزراعه هى عماد الاقصاد مثل اقليم الكنغو، ولكن بسبب الكثافه السكانيه العالية تمارس الزراعة المكثفة لتلبية احتياجات السكان المعيشيه والغذائيه ولتكوين فائض يسمح بالتصدير الى اسواق غرب افريقيا وغيرها من الاقاليم. وفى احيان كثيره يتم التبادل والتجارة بالنقد، واحيانا اخرى بالمقايضة بسلع اخرى تستخدم كوسيط للتبادل. كما يوجد التخصص فى العمل على نطاق واسع، وتشتهر هذه المنطقة باسواقها التى تعكس هذا التخصص فى العمل، وحيث يتم التبادل بصور شتى اما بسلع محلية الصنع او بعملات محليه واوربية. ويتجمع فى هذه الاسواق البائعون والمشترون من مختلف المناطق للتعامل التجارى سواء فى التجارة بالجملة او بالتجزئة.

وفى المنطقة السادسه وهى اقليم السودان الغربى والتى لها علاقات تاريخية مع منطقة ساحل غينيا، ويتميز الجزء الشمالى منها بوجود الشعوب المسلمه المستعربه. ويتميز اقتصادها بتعدد الانشطه من زراعة صرفه كما هو الحال لدى جماعات البوبو والسانكورا الى زراعة ورعى عند شعب الماندى الى رعى فقط وهو ما تمارسه جماعات الفولبي. وقد اجرى احصاء عن هذه الانشطه تبين منه ان نحو ٥٤٪ من الانتاج المعيشى المحلى ياتى من الزراعه، ٢٠٪ من الرعي، ١٠٪ من الصيد البري، ٥٪ من صيد السمك، ١٠٪ من جميع النباتات والثمار البريه، والباقى من الاشجار المثمرة، وقد اشار Nadel فى دراسة عن قبائل Nupe فى نيجيريا انهم يمارسون الزراعه وكانوا من قبل يمتلكون الماشيه. ويتبادل شعب البامبارا محاصيل الحبوب التى يزرعونها مقابل

الماشيه من قبائل الفولانى والطوارق. وتنتشر اسواق المنطقه شبه الصحراويه فى مناطق متفرقة مثل كانو وسكوتو وتمبكتو شمال نيجيريا التى يسكنها شعب الهوسا.

٢ ـ الانثروبولوجيا الاقتصادية والنظرية الاقتصادية:

ترتب على زيادة اهتمام علماء الانثروبولوجيا بدراسة الانساق الاقتصاديه فى المجمتمعات التى يدرسونها ظهور مشكلة لازالت مطروحه على بساط البحث الانثروبولوجى حتى الان، وهى مدى ملائمة النظرية الاقتصادية الغربيه للتطبيق على المجتمعات غير الاوربية وبخاصه المجتمعات البسيطه والبدائيه فى افريقيا واسيا وغيرهما. وانقسم العلماء ازاء هذه المشكلة الى فريقين. ايد الفريق الاول امكانية تطبيق هذه النظريه على كل المجتمعات، واهم ممثليه ملفيل هرسكوفيتز(١٥) Melville Herskovits

وريموند فيرت Raymond Firth، ويستند هولاء العلماء على فكرة مؤداها أن الناس فى جميع المجتمعات ـ مهما كانت بساطتها او تعقدها ـ يواجهون بنفس المشاكل الاقتصاديه، وان الفرق بين المشاكل الاقتصاديه للمجتمعات الغربيه المتقدمه من ناحية، والمجتمعات البسيطه غير الأوربية من الناحيه الاخرى هو فرق فى الدرجه وليس فى النوع، ويدافع هرسكو فيتز عن رايه بتوجيه انتقاد لكل من الانثروبولوجين والاقتصادين على حد سواء فيأخذ على الانثروبولوجين انهم لم يكونوا مهيئين لادراك امكانية تطبيق النظريه الاقتصاديه التقليديه ومفهومهات علم الاقتصاد على المجتمعات التى يدرسونها، وانسحبوا من دراسة الاقتصاديات الى التكنولوجيا او كما يسمونها الثقافه الماديه. ونما لديهم ببطء الادراك بان مشاكل الانتاج والتوزيع والقيمه والدافع

الاقتصادى هى عموميات فى التجربه الانسانية: اما علماء الاقتصاد فقدو وجهوا بصعوبات عديدة عند تعرضهم لدراسة النمو الاقتصادى فى المجتمعات غير الغربية وبخاصه المجتمعات الافريقيه، فقد اكتشفوا ان المبادئ التى طوروها لدراسة نظم الاقتصاد الغربى والجداول والنماذج المشتقه منها غير كافيه عند تطبيقها على اقتصاديات مجتمعات تمر بعمليات تغير سريع، لانها فى الواقع تهمل الجذور التاريخيه والثقافيه لتلك المجتمعات، هذا بالاضافه الى النقص الشديد فى المعلومات الكميه، حيث ان سجلات هذه المجتمعات تخلو من ايه بيانات رقمية يمكن الاعتماد عليها، وحتى عندما يمكن الحصول على ارقام متفرقه لاعداد السكان فى اقليم معين، فانها ايضا تكون انطباعيه، وهذه هى الادوات الاساسيه لعلم الاقتصاد، وعندما لا تتوفر فان تغطية موضوعات الدراسه تصبح مرتجله وغير دقيقه، ولذلك يجب على الاقتصادين ان يعدلوا نظرياتهم لتناسب الاوضاع الجديدة او طرحها جانبا ووضع نظريات ومبادى جديدة تاخذ فى الاعتبار الظروف التاريخيه والثقافيه لاقتصاديات المجتمعات البسيطه. إلا أن علماء الاقتصاد وجدوا ان مفاهيمهم واساليبهم ممكنه التطبيق فقط فى المجتمعات التى تتشابه فيها الاشكال الاقتصاديه والإجتماعية مع مجتمعاتهم، وهذا يفسر سهولة دراسة النمو الاقتصادى فى جنوب افريقيا عنه فى السودان وفى زيمبابوى عنه فى الجابون.

ويخلص هرسكوفيتز الى انه نظرا لهذه الصعوبات فان الحاجه ماسه لاشتراك اكثر من علم فى دراسة المجتمعات التى تمر بعمليات تغير سريع ـ كما هو الحال فى المجتمعات الافريقيه ـ ولكن ظهرت مشكلة عدم وجود لغه مشتركه للتواصل الفكرى بين المارسين للبحث فى مختلف فروع المعرفه. فلكل فرع منها لغته واصطلاحاته الخاص به وهو ما يطلق عليه Technical terms، فمثلا التعبير العام عند الاقتصادين (المنفعه الحديه)

يصعب فهمه بالنسبه لمعظم الانثروبولوجيين، كذلك الاصطلاح العام فى لغة الانثروبولوجيين (نظام الانتساب فى خط الاناث Matrilineal) يصعب فهمه بالنسبه للاقتصاديين. ومع ذلك فقد كان لاشتراك علماء الانثروبولوجيا وعلماء الاقتصاد فوائد كثيره، ظهرت بوضوح فى تزايد اهتمام الاثروبولوجيين بالجوانب الاقتصاديه كما وسعت مجال ابحاثهم متاثرين فى ذلك بالاقتصاديين، واحيانا يدرس العلماء نفس المجتمعات، بل واحيانا اخرى يعالجان نفس المشاكل.

وتاكيدا لرأى الفريق الاول، يقرر فيرث[١٦] ان معظم العلاقات الاجتماعيه لها جوانب اقتصاديه وكثير منها تهتم اساسا بالقيم الاقتصاديه. وتنحصر مهمة الانثروبولوجى فى معرفة كيف تعمل مبادئ النظريه الاقتصاديه فى المحتويات الاجتماعيه والثقافيه للمجتمعات المدروسه،وان يفحص الدور الاقتصادى للشخص فى موقف معين فى مواجهة دوره الاجتماعي. فالانثروبولوجيا الاقتصاديه تتناول بصفه اساسيه الجوانب الاقتصاديه للعلاقات الاجتماعيه للاشخاص. ولذلك فان لها دورا مزدوجا وهو تحليل ووصف عمليات انتاج السلع والخدمات فى حالة عدم قيام النقود بدور كبير فى نسق المجتمع من ناحية اخري.

واحدث من ايد الفريق الاول هو لوكلير[١٧] فهو يرى ان النظريه الاقتصاديه ممكنه التطبيق على المجتمعات البسيطه، وحتى اذا كانت النظريه الاقتصاديه المعاصره غير كافيه لانها وضعت بصوره شامله على الحاله الخاصه للاقتصاديات الصناعيه الغربيه، فان وظيفة الانثروبولوجيا الاقتصاديه هى تقديم بيانات وافيه عن اقتصاديات المجتمعات البسيطه وربطها بالنظريه الاقتصاديه. وعلى ذلك فان الجانب الهام لاسهام عالم الانثروبولوجيا هو تناول الطرق المختلفه التى تتوزع فيها وظائف النسق الاقتصادى بين الانساق الاخرى التى تختلف تماما عن تلك التى تقوم بنفس الوظائف فى المجتمع الغربي.

اما الفريق الثانى فيمثله برونسلاو مالنوفسكي[١٨] B.Malinowski ومارشال سالينز Sahlins وجورج دالتون[١٩] G. Dalton. ويعد عالم الانثروبولوجيا الاقتصاديه دالتون من اشهر من عارض صلاحية النظريه الاقتصاديه على التنظيم الاقتصادى للمجتمعات البدائيه مستشهدا بامثله من المجتمعات الأفريقيه، ويعزو الغموض الذى يحيط بموضوع الانثروبولوجيا الاقتصاديه الى هذه النقطه بالذات. ويدلل على صحة ارائه باظهار الفروق التاريخيه التى ادت الى صياغة هذه النظريه الغربيه، على اساس انها قد شكلت سواء فى المنهج او المضمون عن طريق مظهرين اساسين سادا بريطانيا فى القرن التاسع وهما حركة التصنيع وتنظيم السوق، اذ يجبر التبادل عن طريق السوق ـ كمبدا للتكامل الاقتصادى الواسع ـ الافراد المشتركين فيه للتكتل طبقا لقواعد خاصه (فكل فرد يحصل على معاشه عن طريق بيع شئ ما فى السوق) .فالعمال يجب ان يبيعوا عملهم، والملاك يجب ان يبيعوا حق استخدام ارضهم ومواردهم الطبيعية، وملاك المزرعه والمصنع يجب ان يبيعوا الانتاج النهائي، ونفس ميكانيزم السوق يكمل عناصر الانتاج.. العمل... الارض. والموارد الطبيعيه والمال والنقل والسلع الجاهزه والخدمات بانواعها المختلفة.

ويضيف دالتون ان مجالات الاقتصاد فى معظم المجتمعات تقوم على مبادئ مختلفه من التنظيم، وجزاءات مختلفه لتحقيق التوافق، وفى الواقع قيم اخلاقيه مختلفة تحكم الاستحقاق والاداء، وعلى ذلك يختلف الاقتصاد البدائى عن ظاهرة التصنيع المعتمد على السوق ليس فقط فى الدرجه ولكن فى النوع ايضا ، لغياب تكنولوجيا الآله وعدم وجود التنافس المادى فى السوق فى الاقتصاد البدائي، بالاضافه الى حقيقه ان المعاملات الاقتصاديه لا يمكن فهمها بمعزل عن الالتزام الخلقى والاجتماعي، والتى لايمكن للنظريه الاقتصاديه

الغربيه ازاء هذا النوع من الاقتصاد ان تكون مثمره التطبيق. اما محاولة ترجمة العمليات الاقتصاديه البدائيه الى مترادفات وظيفية فى النظام الغربى فهى محاوله عقيمه لاختلاف ملامح الاقتصاد فى كلا النظامين.

٣ ـ *النظم الاقتصادية كمجال للنشاط الانساني:*

يقصد بالنظم الاقتصاديه عموما دراسة الجوانب الواسعه للنشاط الانسانى الذى يهدف الى الاستفاده من الموارد والإمكانيات المتاحة وتنظيم الحصول عليها باى وسيلة مشروعه لمقابلة الحاجات البشريه. ويجمع علماء الانثروبولوجيا على ان اى مجتمع ـ مهما كانت بساطته ـ يوجد به شكل او اخر من التنظيم يعمل على استغلال الموارد لاشباع حاجات افراد المجتمع، وان هذا التنظيم الاقتصادى جزء من التنظيم الاجتماعى ويرتبط به ارتباطا وثيقا .

ويهتم الباحث الانثروبولوجى عند دراستة للنظم الاقتصاديه فى المجتمع بثلاث مسائل اقتصاديه رئيسيه:

١ ـ كيف تنتج السلع والخدمات التى يطلبها او يحتاج اليها اعضاء المجتمع. والتعرف على مصادر هذا الانتاج والوسائل التى تتم بها العملية الانتاجيه، مع ما يتضمن ذلك من عناصر الانتاج مثل الموارد الطبيعيه ووسيلة استغلالها وما هى الجماعات او الافراد التى تسيطر بشكل او اخر على وسائل الانتاج.

٢ ـ كيف توزع السلع والخدمات المنتجه او تقسم على اعضاء المجتمع، وهنا ينصب التاكيد على انماط التفاعل البشرى التى تحكم عمليات التوزيع، وهل التوزيع ـ كما هو الحال فى كثير من المجتمعات الافريقيه ـ هو اهتمام عائلى اساسا، بمعنى ان اعضاء المجتمع ينتجون حقيقة كل ما هو ضرورى لاشباع

حاجتهم. وهل العائله جزء من وحدة قرابيه اكبر كالبدنه والعشيره والقبيله توزع داخلها السلع والخدمات عن طريق نظام ما من نظم المقايضه او التبادل Ex-changeاو التجارة Trade. مع ملاحظة ان نظام التوزيع فى المجتمعات المتقدمه اصبح على درجه عاليه من التعقيد، وبات الحصول على كل احتياجات المعيشة اليوميه لا يتيسر الى عن طريق التجارة، وكثير منها ياتى من اماكن بعيده قد تتجاوز حدود الدول او الاقاليم او القارات حتى تصل الى المستهلك النهائي.

٣ ـ كيف تستهلك السلع والخدمات المنتجه والموزعه وما هى انماط السلوك التى تحكم هذه العمليه؟ واذا كان من اليسير تحديد الخصائص المميزه لاقتصاديات المجتمعات المتقدمه الحديثه باعتبارها تقوم على التصنيع وتكنولوجيه الاله، ونظام نقدى كوسيط للتبادل وتعامل مصرفى يستخدم الارصده وينمى الفائدة على رأس المال، اى انه بناء اجتماعى يقوم على الفرديه من النوع الغربي.

فان اقتصاديات المجتمعات البسيطه والتقليديه والبدائيه تختلف عن ذلك كل الاختلاف. وترجع معظم الاختلافات بين الاقتصاد التقليدى على العموم وبين الاقتصاد الحديث الى الظروف العامه التى تحيط بكلا النوعين من ناحية، ثم اختلاف كل مجتمع من المجتمعات البدائيه والبسيطه من الناحيه الاخري.(٢٠)

وتعد المجتمعات الافريقيه مثالا واضحا لتعدد وتنوع المناشط الاقتصاديه، حيث لا يوجد نظام واحد يصدق عليها جميعا، وانما توجد نظم كثيرة ومختلفه تبعا لاختلاف وسيلة العيش فهناك جماعات لاتزال تعيش للان على الجمع والالتقاط مثل اقزام مبوتى Mbuti فى الكونغو، وجماعات تعتمد على القنص مثل البوشمن فى صحراء كلهاري، وجماعات تعيش على رعى الابقار مثل

القبائل النيليه (النوير والدنكا والشيلوك وغيرها) والنيليه الحاميه (الماساى والكبسجيس والتركانا والنادى والكارموجونج وغيرها) او على رعى الاغنام والابل مثل البدو الرحل فى شمال افريقيا والصومال وغرب السودان. ثم هناك جماعات كثيره تعيش على صيد السمك، كما هو حال القبائل التى تعيش بالقرب من الانهار وسواحل البحار والبحيرات فى سواحل افريقيا، واخيرا فهناك المجتمعات التى تعتمد على الزراعه البسيطه سواء كانت زراعة مستقرة او متنقله. وهذا لا ينفى بالطبع وجود اكثر من نمط اقتصادى واحد جنبا الى جنب فى نفس المجتمع. فنجد مثلا عند البانتو الجنوبيين تربية الماشيه وقنص الحيوان وصيد السمك فى موسم معين. وهذا معناه فى اخر الامر استحالة الكلام عن الاقتصاد البدائى بالاشارة الى وسيلة واحدة او نمط اقتصادى واحد من وسائل العيش يمكن ان نصنف بها الاقتصاد البدائى او الاقتصاد التقليدى بنفس الطريقه التى نصنف بها الاقتصاد الحديث (٢١).

ا ـ نظم الملكية والحيازة

تلعب نظم الملكيه والحيازه دورا بالغ الاهميه فى الابنيه الاجتماعيه للمجتمعات البسيطه بصفه عامه، والمجتمعات الافريقيه بصفه خاصه. وتختلف طبيعتها ووظيفتها من مجتمع لاخر، كما تختلف النظرة اليها من علم لاخر، فبينما يركز علماء الاقتصاد فى نظم الملكيه على الجوانب الماديه كعنصر من عناصر الثروة والانتاج، اما النظر اليها على انها نتيجة تفاعل قوى غير اقتصاديه، وانها تتصل بجوانب قانونيه او اجتماعيه او اخلاقيه فيغفل من جانب الاقتصادين. ذلك لانهم يوجهون معظم اهتمامهم الى موضوعات كميه تتصل باثر التملك فى تكوين راس المال او كيف يوثر تراكم الثروه فى التوزيع والتبادل والطريقة التى توزع بها هذه الثروه المتراكمه على اعضاء المجتمع.

اما الباحث الانثروبولوجي فيهتم اساسا بالدور الذى يلعبه نظام الملكيه داخل النسق الاقتصادى وعلاقه ووظيفة هذا النسق فى الانساق الاجتماعيه الاخري.

كما يهتم ايضا بالتعرف على انماط الملكيه وطبيعة الحقوق المختلفه المترتبه عليها وكذلك الإلتزامات والواجبات الملقاه على عاتق الحائز على هذه الملكيه.

وهناك تعريفات متعددة للملكيه Property تزخر بها الكتابات الانثروبولوجيه. فبينما يعرف ماكيفر[٢٢] Mc Iver الملكيه، بانها ليست الثروة او الممتلكات ولكنها الحق فى السيطرة والتاثير والاستخدام او التمتع بالثروة او الممتلكات، يشير عالم اخر مثل هرسكوفيتز Herskovits باصطلاح Ownership الذى يعنى الملكيه كمفهوم او نظام او فكرة. الا ان افضل تعريف للملكيه هو ان الملكيه تشمل جملة الحقوق التى للاشخاص والجماعات على الاشياء .

كما وجد الانثروبولوجيون الاجتماعيون ــ ممن تعرضوا لدراسة موضوع الملكيه فى افريقيا ــ انه من الضرورى عند تحليلها فى المجتمعات المدروسه، مناقشتها كموضوع يتعلق بانواع مختلفه من الحقوق. فعلى سبيل المثال فان نظام الملكيه عند بانتو المستنقعات فى افريقيا يوحى بتشابهات كثيرة مع النظام الاقطاعى فى اوروبا. ولدى البانيورو فى منطقة البحيرات ثلاث فئات عريضة من الحقوق على الارض، اولها ان جميع الاراضى وكل شئ عليها ملك للحاكم موكومبا Mokomba الت اليه عن طريق الغزو، اما الفئه الثانيه فهى الأراضى التى منحها موكومبا لزعماء الاقاليم ولهم حق ملكيتها، واخيرا هناك حقوق فى الارض منحت لروساء العشائر دون ان يكون لهم حق ملكيتها ولكن يسمح لهم فقط بزراعتها والانتفاع بها. كما تظهر الحقوق المعقدة، فى موارد الماء فى سيلان واسبانيا وعند العرب وغيرهم ممن يعتمدون على الرى من

مصادر غير ثابته، وانه من غير الممكن فهم هذه الحقوق ومجموعة العلاقات الاجتماعيه التى تشملها فى ضوء اى نوع من انواع الملكيه الشخصيه الكليه للموارد.(٢٣)

وبما ان مفهوم الملكية لا يشير فقط الى جملة الحقوق والواجبات والالتزامات، ولكنه يشير ايضا الى مختلف انواع الجزاءات والقيود التى تحكم سلوك وتصرفات اعضاء المجتمع تجاه موضوع الملكيه. لذلك يؤكد هالوويل (٢٤) Hallowell على اربع نقاط اساسيه يجب على الباحث الانثروبولوجى الاجتماعى ان يهتم بها عند دراسته للملكيه كنظام اجتماعى هي:

١ ـ طبيعة وانواع الحقوق والالتزامات الممارسه.

٢ ـ الافراد والجماعات الذين يمارسون سيطرة فعليه على تلك الحقوق او الامتيازات، ومعرفة اولئك الذين يلعبون ادوارا متبادله فى كل ذلك النظام المعقد.

٣ ـ الاشياء التى تمتد عليها حقوق الملكيه.

٤ ـ الجزاءات الاجتماعيه S. Sanctions المحددة التى تحكم السلوك وتجعل النظام يمضى فى مساره المقرر.

كما تصنف الملكية ايضا طبقا لوسائل الضبط الاجتماعى التى تحميها وتضع الضوابط التى تحكم علاقات الملكيه بين اعضاء المجتمع، وهناك علاقه وثيقه بين نوع التنظيم لاجتماعى ودرجة تقدمه وبين الوسائل المستخدمة لحماية الملكية، ففى المجتمعات المتقدمة يحمى الملكية القانون الوضعى أما فى المجتمعات التقليديه فان العرف يكون له الاعتبار الاسمي، وقد تكون حقوق الملكيه مدونه او مسجله او غير مدونه يتبعها الافراد تحت الرقابه الجماعيه دون تدوين وقد تحمى الملكيه بواسطة الشعائر والسحر كما هو الحال فى المجتمعات البدائيه.

وتنقل الملكية باشكالها المختلفة من شخص الى اخر اومن جماعه الى اخرى

بطرق مختلفه، فمنها مايدفع مقابلا لهذا الانتقال كما يتضح فى اشكال المعاملات او المبادلات التجارية وانوعها بطبيعة الحال المقايضه والبيع وبعض صور الهدايا الملزمة، ومنها مالايدفع مقابلا لانتقالها او تحويلها كما هو الحال فى الهبه او الوصيه او الميراث من السلف الى الخلف والمصادرة والتاميم والاستيلاء سواء تم بطريق مشروع او غير مشروع.

اما من حيث الحقوق المترتبه على الملكية فمن المبادى الاساسية فى دراسة نظام الملكية هو ان هذه العلاقه تفترض بالضرورة وجود حقوق معينه يتمتع بها المالك، وان هذه الحقوق تختلف من حاله الى اخرى ومن مجتمع لاخر باختلاف كلا من المالك وطبيعة الملك، فليست الملكيه فى أبسط صورها سوى علاقه بين المالك والملك وهذه العلاقه هى التى تعكس تلك الحقوق. وهذا معناه ان فكرة الملكية تتضمن بالضروره فكرة السيادة سواء كانت سيادة الفرد او الجماعة على بعض الاشياء وحرية التصرف فيها، وهذا الحق دائم ومستمر وليس حقا موقتا و الا اصبحت الملكية اقرب الى حق الانتفاع (٢٥).

وعلى باحث الانثروبولوجيا الاجتماعيه فى المجال الافريقى ان يتعرف على نظرة المجتمع الذى يدرسه لموضوع الملكيه واشكالها المختلفه وكافه الحقوق والالتزامات المترتبه عليها، وعليه ان يبين بشكل واضح علاقه نظام الملكيه بغيره من نظم النسق الاقتصادي، وأيضا عليه ان يحلل بطريقه منهجيه مدى تشابك وترابط وتساند الانساق الاجتماعيه الاخرى كالنسق القرابى والسياسى والدينى ووظيفه كل منها فى حفظ وتماسك البناء الاجتماعى الكلي.

ولقد اثبتت الدراسات الى اجريت فى المجتمعات البسيطة بصفه عامه والمجتمعات الافريقيه بصفه خاصه تعدد انماط الملكية والحيازه وتنوعها تنوعا هائلا كما ان لكل مجتمع نظره خاصه للملكيه لاتتضح ابعادها الا بالدراسه

الحقليه المركزة، ولذلك فان تتبع علاقات الملكيه يستلزم من الباحث التعرف على كل جوانبها السياسيه والقرابية والايكولوجيه والدينيه.

ومن اهم مايعنى به الباحث الانثروبولوجى التعرف على تصنيفات الملكية وطبيعتها فى مجتمع البحث وكيف يرتبط الناس بها ؟ وكيفيه اكتسابها وما تتخذه من اشكال وصور مختلفة تؤلف فى مجموعها موضوعات الملكيه؟ وما هى طرق نقلها او تسجيلها او تحويلها من فرد او جماعه الى فرد او جماعه اخرى.

ورغم كثرة التصنيفات التى يقيمها العلماء للملكية فان الناس فى أى مجتمع يرتبطون بالملكيه فى ثلاثة اشكال رئيسية هى :

الملكية الفرديه او الخاصه Private property والملكية الجماعيه Group property وتقتصر على مجموعه افراد سواء كانت جماعة قرابية او مهنيه او غير ذلك والملكية العامه Common Property وهى عن طريق ملكية المجتمع المحلى ككل.

والملكية قد تكون ثابته غير منقوله Fixed property كما هو الحال فى العقارات والاراضى والمساكن والمبانى وما اليها وقد تكون منقوله Movable كالسلع المختلفة والاشياء التى يمكن نقلها من مكان لاخر. وقد تكون الملكية ماديه محسوسه ويصدق ذلك على كل ماسبق وقد تكون غير مادية كملكيه الطقوس والشعائر الاغانى والرقصات وغير ذلك.

اما الملكية كمفهوم فهى تشمل الحقوق والالتزامات والميزات والقيود التى تحكم سلوك الانسان فى اى مجتمع. فالناس فى كل مكان ترغب فى امتلاك اشياء لها قيمه فى محيطها الثقافي، وهى التى تصبح نادره عن طريق هذه الرغبه مثل الارض الزراعيه والعقارات ومواد الطعام والسيارات وغيرها، وكذلك الاقنعه والتعاويذ وما اليها، وعن طريق العادات الاجتماعية الملزمة توضع القواعد التى تحدد حقوق والتزامات الملكيه وتضبط المنافسه تجاه هذه السلع المرغوبه.

وكما تختلف تعريفات الملكية باختلاف النظرة اليها والتركيز على احد جوانبها تختلف ايضا مفاهيم الملكيه وباستمرار بالتطور فى الاساليب التكنولوجيه وسيطرة الانسان على قوى الطبيعة وتحكمه بفضل هذه الاساليب فى الوصول الى افاق لم يكن يستطيع الوصول اليها من قبل.

وعلى ذلك فان الملكيه ترتبط ارتباطا مباشرا طبقا لتعريفها ومفهومها بافراد المجتمع الانساني، يؤدى تنظيمها ووضع الضوابط للسيطرة عليها من قبل الجماعه الانسانيه الى تحديد العلاقات بين الملك من ناحية والمالك من ناحيه اخرى، وهذه الجماعة الانسانية هى التى تضع تلك القواعد والضوابط وتحدد العلاقات بين اعضاء المجتمع لتنظيم استغلالها والانتفاع بها. وعلى ذلك يمكن القول ان الملكية وما يرتبط بها من حقوق وواجبات والتزامات على الافراد هى انبثاق اجتماعي، وينتج عن ذلك اختلاف المجتمعات فيما تراه من قواعد وضوابط وكذلك فيما تحدده من حقوق على هذه الملكيه.

ولما كانت الملكيه تعد موضوعا مشتركا بين اكثر من علم كالانثروبولوجيا والاقتصاد والاجتماع والقانون فقد طور علماء القانون ثلاثه مصطلحات من حقوق الملكيه اطلقوا عليها «الحقوق العينيه الاصليه» وهى حقوق الملكيه الخاصه وحق الانتفاع وحق الارتفاق ويقصد بالحق العينى ان يكون محله شئ من الاشياء، ولهذا يباشر صاحب الحق العينى السلطات التى يخولها حقه على الشئ مباشره دون حاجه الى تدخل شخص اخر ويمكن تلخيص الحقوق العينيه فيما يلى :

اولا: حق الملكيه الخاصه private right وحق الملكيه هو أوسع الحقوق الاصلية نطاقا من حيث مضمونه، فهو يخول لصاحبه السلطات التى تمكنه من الحصول على المزايا التى يمكن استخلاصها من الشئ والتى تنحصر فى استعماله واستغلاله والتصرف فيه، ويقصد باستعماله مباشرة الاعمال التى

تمكن الشخص من الاستفاده من الشئ مباشرة والحصول على مايمكن ان يؤديه من الخدمات والمنافع له ولأفراد اسرته، ويقصد باستغلاله مباشرة الاعمال التى تلزم للحصول على ثمار الشئ اى ما يتولد عنه بصفه دوريه، وكذلك يقصد بالتصرف فيه باستخدام الشئ استخداماً يستنفذه كله او بعضه، وتنقسم التصرفات الى تصرفات ماديه وتصرفات قانونيه، والتصرف المادى هو اتلاف مادة الشئ كله او بعضه او بتغيره تغيرا نهائيا لا رجوع فيه، اما التصرف القانونى فيكون بنقل ملكية الشئ الى شخص اخر او تقرير حق عينى عليه للغير(٢٦).

وعلى ذلك فيشير هذا الحق الى السيادة الكامله على الشئ او الاشياء موضوع الملكية بواسطة فرد او جماعه، وحرية التصرف فيما بالايجار المؤقت او الدائم وحرية البيع او الاهداء او الهبه او حتى التدمير والاتلاف، كما ينشئ هذا الحق واجبا على الاخرين يمنعهم من التمتع به باى وجه من الوجوه اى انه حق دائم ومستمر، وكذلك لصاحب هذا الحق ان يورثه وينقل حق ملكيته الى الورثه دون ان يوثر ذلك فى انتقاص هذا الحق (٢٧).

ثانيا حق الانتفاع usufract right

وهو حق يخول لصاحبه سلطة استعمال واستغلال شئ مملوك لغيره، إما سلطة التصرف فتبقى للمالك الذى يسمى عندئذ «مالك الرقبه» اى انه حق يسمح للمنتفع او لجماعة المنتفعين باستغلال موضوع الانتفاع ومباشرة سلطه جماعية عليه، ولصاحب هذا الحق ان يقيم عليه إذا كان ارضا - منشات او مساكن او يغرس عليه اشجاراً او مزروعات، ويحق له التصرف فى هذه الاشياء فقط بالبيع كملكية خاصه دون ان يمتد هذا الحق للارض نفسها كارض، وكذلك يمكن التنازل عنه للغير وتوريثه وانتقال حق الانتفاع للورثة وغالبا يرتبط هذا

الحق بجماعة محددة من الناس يعرف بعضهم بعضا تمام المعرفه، وقد تسود بينهم علاقات اجتماعيه من نوع ما، ولهذه الجماعه ان تمنع الافراد او الجماعات الاخرى من الانتفاع بموضوع هذا الحق.

ثالثا: حق الارتفاق Eastement right

وطبيعة حقوق الارتفاق هى انها حقوق لأفراد او جماعات ممارسه على حقوق افراد او جماعات اخرين سواء اكانت حقوق ملكيه خاصه او حقوق انتفاع، وتتميز العلاقات بين مستخدمى هذا الحق بالاتساع وبانها علاقات غير مباشرة، وهى اوسع مدى بالنسبة لموضوع الارتفاق واشمل واعم بالنسبة للافراد او الجماعات الممارسين له عما هى عليه فى الملكيه الخاصه او الانتفاع. وغالبا لايقتصر استخدام هذه الحقوق على افراداو جماعات معينه بل احيانا تمتد لتشمل كل اعضاء المجتمع، الذين يكون لهم الحق فى استخدام موضوع الارتفاق كمرفق عام، دون ان يكون لاى منهم حق التصرف فيه او اقامة منشآت عليه اذا كان ارضا او ادخال تعديلات او اضافات تغير من طبيعته او من شكله دون موافقة جميع الاشخاص المستخدمين لهذا الحق. وتبدو الطبيعة المعقدة لحقوق الارتفاق فيما يتضمنه من قيود على التصرفات ليس فقط بالنسبه للافراد الممارسين لها، ولكن ايضا فيما ينتظر ان يمارسوه من افراد اخرين فى المسقبل وأن المجتمع هو غالبا الذى يمنح هذه الحقوق(٢٨).

ب. نظم العمل والانتاج

رغم اختلاف العلماء فى تحديد المقصود بالعمل وتعدد التعريفات التى تتناول العمل من جميع جوانبه، الا انهم قد اجمعوا على عدد من المبادئ التى

يجب ان تتوفر في اى نشاط بشرى يوصف بانه عمل، ويمكن اجمال هذه المبادئ في التعريف التالي الذى يشير الى «ان العمل هو ذلك النشاط الانسانى الهادف الذى يتطلب بذلك الطاقة والتضحيه ببعض الراحه في سبيل الحصول على مقومات المعيشة واشباع الحاجات الاساسية».

ويختلف مفهوم العمل والدافع اليه في المجتمعات المختلفه، ففى المجتمعات الغربيه يقوم الناس بالاعمال كدافع فردى يتمثل في الحصول على اكبر عائد نقدى كاجر عن الوقت الذى انفقه العامل في عمل ما لاشباع الاحتياجات المعيشيه له ولأفراد اسرته، وقد يدخر جزءا من فائض دخله كرصيد نقدى يستثمره في احد المشروعات او المصاوف ويحصل على عائد في صورة أرباح او فوائد لينمى ثورته، وبذلك يتوافق الفرد مع نسق القيم السائد في المجتمعات الغربية.

اما في المجتمعات التقليديه او البسيطة فالى جانب توفير مقومات الحياه المعيشيه للفرد واسرته - فهناك احتياجات اخرى لاتقل عنها اهميه - هى التى تدفع الناس إلى العمل، مثل الالتزامات الاجتماعيه التى ترتبط ارتباطا وثيقا بمكانه الفرد في المجتمع، والتى لايستطيع العيش بدونها، وهى التى تجبر الناس على ان يعملوا للآخرين مثلما يعملون لانفسهم، لان افراد المجتمع التقليدى يرتبطون عاده بروابط القرابة القويه التى تفرض عليهم نوعا من الالتزام الخلقى بضرورة مساعدة بعضهم بعضا في الاعمال والالتزامات، بل ان فكرة العمل تتضمن عددا من الحوافز في المجتمعات البسيطه وهى التى تدفع الناس الى العمل بهدف الحصول على المكانه الاجتماعيه وليس تحقيق الثروة، وهذه الحوافز هى التى تزيد الانتاج كما ونوعا مع انها ليست حوافز ماديه. ولذلك فان نظم العمل والدافع اليه تتصل اتصالا وثيقا بنسق القيم السائد في المجتمع التقليدى .

وعندما يدرس الانثروبولوجيون الاجتماعيون مشكله او موضوع اونظام العمل في المجتمعات، يميلون الى تقسيم العمل طبقا لعدد من المبادى او العوامل الرئيسيه مثل تقسيمه على اساس الجنس او السن او المهارة وأيضا على اساس المرتبه وهى عوامل تختلف اهميتها من مجتمع الى آخر طبقا للتنظيم الاجتماعى السائد فى ذلك المجتمع او ذاك.

كما يقسم العمل ايضا تبعا للمهن او الحرف المختلفه وعلاقتها بالمنزله الاجتماعية مثلما يعتنى الرجال بالماشيه فى مجتمعات الرعاه، بينما تقوم النساء بالعمل الزراعى كما هو شائع فى المجتمعات الافريقيه الرعويه، حيث يعتز الرجال بمهنه الرعى وكل الاعمال المتعلقه بالماشيه والعكس صحيح فى المجتمعات الزراعيه .

ويرى بعض العلماء ان مشكلة تقسيم العمل لكى تفهم جيدا يجب دراستها من خلال التعرف على مدى تعقد الاساليب الفنيه Techniques فأساليب معينة مثل صنع الأدوات الحجرية تتطلب مهارة قليلة نسبيا وقد يقوم بها فرد واحد، وهناك أساليب أخرى مثل صناعة الادوات الحديدية تعتبر اكثر تعقيدا من اعمال اخرى ولايسهل تعلمها بسرعه، وذلك لاحتياج هذه الاساليب الفنيه لمهارات خاصه تتطلب وقتا اطول لتعلمها واجادتها وتعاون عدد اكبر من الاشخاص فى القيام بها وانجازها على اكمل وجه، وقد تقسم هذه الاعمال الفنية المعقده الى عدد من العمليات الجزئيه التى يقوم بها فئه معينه من الفنيين فى هذا المجال.

وحيث ان المجتمعات الافريقيه يسود فيها نمط الاقتصاد المعيشى او القوتى Subsistance فان تنظيم العمل يقوم على اساس التعاون والمساعدة المتبادلة بين اعضاء ذلك المجتمع، ويأخذ هذا التعاون أشكالا وصورا مختلفة تبعا لنمط الانتاج وطبيعة البناء الاجتماعى ويصبح هذا التعاون ضرورة لازمة لاغنى عنها،

وجزءا اساسيا من الالتزام الاجتماعى والخلقى على كل افراد المجتمع القادرين على العمل، وبخاصة فى المجتمعات الزراعية التى مازالت تعتمد على الجهد البشرى وحده فى انتاج الطعام، ويوجد فى كل مجتمع مجموعة من القواعد والضوابط التى تحدد شكل وطبيعة التعاون الذى يندرج من العمومية التى قد تشمل كل افراد المجتمع المحلي، الى الخصوصية التى قد تقتصر على جماعات صغيرة نسبيا او افراد يملكون خبرات او مهارات خاصة تمكنهم من اداء اعمال لها طبيعة متخصصة.

وتتعدد نظم العمل التى تأخذ شكل التعاون المتبادل فى افريقيا ، ويكون لنظم العمل فى هذه الحالة اكثر من وظيفة اجتماعية بجانب وظائفها الاقتصادية. ويحسن ان نضرب امثله توضح كيفية عمل هذه النظم والوظائف الاجتماعية التى تؤديها المثال الاول لنظم العمل فى مجتمعات رعوية والمثال الثانى والثالث من مجتمعات زراعية.

أ- نظام الوديعة

وهو نظام اقتصادى اساسا له عدة وظائف اجتماعية وسياسية هامه ويسود هذا النظام فى مجتمعات شرق افريقيا الرعوية وتمارسه قبائل الناندى والباكوت pakot والكبسيجس kipsigis على نطاق واسع، وقد اطلق عليه هنتنيجفورد نظام الكابتيش(٢٩) kaptish

ويمقتضى هذا النظام يودع الشخص - كأمانه دائمه - عددا من ابقاره عند بعض الاصدقاء او الجيران فى اماكن مختلفة ومتباعدة، ويحصل من وقت لاخر على ناتج هذه الوديعة فى صورة عجل صغير او احد الهدايا من الحبوب او الماعز او الاغنام من المودع لديه.

وباتباع هذا النظام يحقق الفرد ثلاثة اهداف اقتصادية:ـ

١ـ فهو يضمن موردا غذائيا دائما بصورة منتظمة من هؤلاء الاصدقاء يؤمن له ولاسرته الاحتياجات الغذائية اللازمة بصفة مستمرة دون بذل اى جهد.

٢ـ يضمن عدم تعرض كل ثروته من الماشية للفناء فى حالة تعرض منطقته لاخطار الفيضانات او الجرب او انتشار الامراض الوبائية وايضا خطر غارات القبائل الاخرى على الماشية.

٣ـ تنوع طعامه نظير ما يحصل عليه من مواد غذائية مختلفة تأتيه من وقت لاخر من أصدقائه فى نظام الوديعة الذين يقطنون فى مناطق بعيدة.

وبجانب هذه الاهداف الاقتصادية التى يحققها نظام الوديعة فانه يحقق ايضا اهدافاً اجتماعية وسياسية هامه، لانه يؤدى الى تقوية اواصر العلاقات الاجتماعية بين الاشخاص المتعاونين او المشتركين فى نظام الوديعة و بقدر اتساع نطاق هؤلاء الاصدقاء تزداد المزايا والفوائد المتحصله منه. وفى أحيان كثيرة يتعاون هؤلاء الافراد فى مجالات اجتماعية اخرى عندما تتم الزيارات المتبادلة عند اداء عائد الوديعة. اما من الناحية السياسية يؤدى النظام الى تقوية وسائل الضبط الاجتماعى داخل هذه المجموعة من الاصدقاء، اذ ان الاعتداد او الاغارة على ماشية اى فرد فى هذا النظام يعتبر اعتداء على جميع المشتركين فيه، وهو امر يستلزم ان يهب الجميع للدفاع عن المعتدى عليه واعادة الماشية الى حائزها، لذلك فان دخول الفرد فى زمرة نظام الوديعة كفيل بمنع الاخرين من الاعتداء عليه اوسلب ماشيته.

ويبدو حرص الناس على الاستمرار فى نظام الوديعة فى مظاهر الترحيب

والتودد والاحتفاء بأصدقاء النظام وتجديد وديعتهم واكتساب اصدقاء جدد كلما امكن ذلك.

ومما هو جدير بالذكر ان السلطات الاستعمارية فى عام ١٩٥٢ عندما وجدت فى مجتمع الباكوت ازدياد أعداد الماشية زيادة هائلة بشكل لايتناسب مع عدد السكان او توفر المراعى لهذه الاعداد الهائلة، حاولت اقناع الاهالى ببيع الماشية للاجانب لتصديرها للخارج، ولكن الاهالى رفضوا ذلك لان تصدير الماشية يحرمهم من المنافع المترتبة على الالتزامات الاجتماعية والتى يوفرها نظام الوديعة.

ب- نظام الزمالة :

وهو نظام اقتصادى فى المجتمعات الزراعية يؤدى وظائف اجتماعية عديدة - ويوجد فى الريف المصرى - وله نظائر مشابهه فى المجتمعات الافريقية الاخري، وأن كان يأخذ اسماء مختلفة، فهو يسمى نظام «الحليفة» فى كل من السودان والصومال، ويقوم فى اساسه على تعاون عدد من المزارعين فى الأعمال والانشطه الزراعيه المختلفة. و يضم فريق عمل الزمالة بين ١٥ الى ٢٠ مزارعا، ونظرا لتعدد مراحل الانتاج الزراعى فى المواسم المختلفة ، فان المزارع الواحد لايستطيع القيام باعباء العمل الزراعى بمفرده، كما انه قد لايملك المعدات والادوات الزراعية اللازمة لانجاز العمل المطلوب فى الوقت المحدد، لذلك تتفق مجموعة من المزارعين فى القرية - قد لاينتمون قرابيا - على الدخول فى نظام للزمالة فيما بينهم، بحيث يعملون سويا فى حقل احدهم احد الايام ثم ينتقلون للعمل فى حقل زميل اخر وهكذا ، وعند القيام بعمل زراعى معين مثل بذر

البذور او حرث الارض او جمع المحصول يتفق الزميل مع العدد اللازم له من زملائه للارتباط معه على العمل فى اليوم المحدد.

وبذلك يتألف البناء الاجتماعى للقرية من زمر وجماعات متعاونه فى نظام الزماله، مما يقوى من العلاقات الاجتماعية القائمة بينهم بالفعل ويؤدى الى اشاعة جو من الثقة والمساعدة المتبادلة.

ويمقتضى هذا النظام يتوفر للمزارع قوة عامله من رجال القرية لايدفع لها اجرا، كما يلزم النظام الا فراد المشتركين فيه على تبادل الادوات والمعدات الزراعية ليكمل بعضهم بعضها، وللزميل ايضا ان يستعير من اصدقائه فى النظام احد الدواب للحمل او احد قطعان الماشية للمعاونة فى حرث الارض. ويحدد العرف السائد بين الزملاء طرق استخدام المستلزمات الزراعية او احد الحيوانات المعارة بشكل لايترتب عليه اى اضرار او خسائر لمالكها الاصلي

جـ- نظام الخامبا (الكومبين):

ومن نظم زمالة العمل الشهيرة فى افريقيا ما نجده عند قبائل الولوف wolof فى السنغال في غرب افريقيا. فمن الظواهر الشائعة فى حياة الولوف حل المشكلات بالجهد التعاونى المشترك, ويطلق على جماعة العمل التعاونى مصطلح تقليدى هو «خامبا» وان كان الاهالى يطلقون عليه مصطلح حديث هو «كومبين» ويحقق هذا النظام عدة وظائف اقتصادية واجتماعية وترفيهيه عامه فى المجتمع الريفى

وتبدو شمولية وعمومية هذا النظام فى أنه لايقتصر على الرجال فقط، بل تشترك النساء ايضا فى اعمال لتساعد جماعات العمل التعاونى او فى اعمال

مكمله للنشاط الزراعى الذى يعد النشاط الرئيسى للسكان، وبينما يعتنى الرجال بالمحصولات الزراعية الرئيسية كالدخن والقمح او الفول السودانى الذى يعد من المحاصيل النقدية، يعتنى النساء بزراعة الارز فى اراضى المستنقعات وزراعة بعض الخضروات فى الاراضى المحيطة بمنازلهم.

ويشير ديفيد اميس(٣٠) D. Ames الذى درس هذا النظام دراسة انثروبولوجية مركزه، الى ان تقسيم العمل بين الجنسين يتم ايضا على اساس اعمار جماعات العمل التعاونيه ، وحيث ان صناعة المنسوجات القطنية تشكل اهم الصناعات والحرف عند الولوف، فيتولى الرجال زراعة القطن وانتاجه، بينما تتولى النساء عملية غزله، ومن اختصاص الذكور ايضا حياكة الملابس واشغال الجلود والحدادة وصنع السلال، اما صنع الاوانى الخزفية فهو من اختصاص النساء.

وتتألف فئات أو جماعات العمل التعاونى من المراحل العمريه لكل جنس، فبالنسبة للنساء هناك فئه للفتيات غير المتزوجات او المخطوبات او المتزوجات ولم ينجبن اطفالا، اما النساء المتزوجات ولديهن اطفالا فيشكلن فئه او جماعة عمل مستقله فى القرية، اما فئات الذكور فتتألف من الشبان غير المتزوجين حتى سن الثلاثين اما الرجال المتزوجون فيشكلون فئة عمل مستقله وهكذا.

ويتوقف تنوع هذه الفئات وعدد المشتركين فيها على حجم القرية ، فالقرية الصغيرة تكاد لاتستطيع ان تؤلف إلا فئه واحده.

ولكل جماعة عمل سواء للذكور او الاناث قائد يعرف باسم بوتال (Botal) ويجب ان تتوفر فى القائد عدة صفات فالقائد يجب ان يكون متزوجا وان يتحلى بالحكمة والشرف والامانة والكرم والجد والنشاط، ليكون بمثابة الاخ الاكبر

للجماعة وقادرا على قيادتها، ونفس هذه الصفات يجب ان تتوفر فى قائدة النساء

وتبدو روح الجماعة واضحة عند الولوف فمن الوظائف الاقتصادية التى يؤديها هذا النظام فى النشاط الزراعى انهم يعتقدون ان العمل الجماعى ايسر واكثر فعاليه من العمل الفردي، وانه يعوض كل نقص فى الادوات والالات الزراعية لانهم يفتقرون الى الكثير من هذه الادوات، وبسبب هذا النقص كثيرا ما يضطر الولوف الى القيام باعمال يدوية شاقه من اجل تهيئة الاراضى للزراعه.

وتعتبر جماعة عمل الرجال ـ من وجهة نظر الولوف ـ اكثر نفعاً لأنها تمكن اعضاءها من الوفاء بالتزاماتهم الكثيرة تجاه اصهارهم، فعقود الزواج تتضمن عادة بنودا تشترط على الازواج العمل فى حقول اصهارهم لجمع الفول السوداني، وتنقية الارض من الاعشاب الضارة او استطلاح ارض جديدة.

ولايقتصر العمل التعاونى على النشاط الزراعى وحده، بل انه قد يمتد ليشمل الاعمال التى تدخل فى نطاق المنفعة العامة، فاذا دعت الحاجة الى تنفيذ مشروع لمصلحة المجتمع ككل، فإن شيوخ القرية يدعون جميع الرجال القادرين على العمال للاشتراك فى تنفيذ هذه المشروعات، مثل حفر بئر أوبناء استراحه وهكذا، ولاتزال الفئات التعاونيه تشكل نواة القوة العاملة فى هذه المشروعات ولكن العمل يعتبر مسئولية المجتمع بأسره.

وتعتبر جماعة العمل النسائيه وحدة اجتماعية مترابطه ومتبادله العمل فيما بينهن فى المناسبات الاجتماعية، فعندما تتزوج احدى النساء فى احدى الفئات او تحتفل بتسمية اول طفل لها، تتعاون معها النساء الاخريات فى اعداد الطعام

وفى الغناء والرقص، كما تشترك النساء ايضا فى اعداد الطعام للزوار الذين يفدون من مدن او قرى اخرى لحضور هذه الاحتفالات.

والمكانه الاجتماعية هى الدافع الذى يسعى اليه افراد العمل التعاوني، ولعل اهم عامل فى زيادة الانتاج هو روح المنافسة بين العمال المشتركين فى عمل جماعي، فالعمل التعاونى عند الولوف يقترن - كما هو الحال فى اجزاء اخرى من غرب افريقيا - بمشاهد مثيرة من المنافسة، وبخاصة حيث يقوم فريق كبير من الشباب بتنقية الاعشاب من حقول الرئيس وتهيئته لزراعة الدخن، وتعتبر مناسبة كهذه ضربا من المسابقات الرياضية التى يحضرها مجتمع القرية بأسره، والتى يمهد لها باحتفالات تقام فى ميدان القرية فى عدد من الليالى السابقة لليوم المخصص للعمل.

وتكريما للفائز يمنح افضل عامل قطعة كبيرة من لحم بقرة يذبحها الرئيس بنفسه، وكثيرا ما يمنح مالا وملابس وهدايا اخرى تقديرا لبطولته فى مباراة العمل، ويتمتع الفائز ايضا بمنزلة عاليه فى مجتمعه، وفى اغلب الاحوال لايجد صعوبة فى الزواج من الفتاة التى يختارها ولما كانت معظم المجتمعات الزراعية تحترم اعضاءها العاملين الذين يتفوقون على غيرهم بالجد والنشاط، فلا عجب ان نرى ان الجد هو احدى الفضائل الكبرى الثلاث التى تعتبر - فى نظر الولوف - من مقومات السلوك المثالى للافراد، اما الفضيلتان الاخريان فهما التقوى واحترام كبار السن.

ويرتبط العمل فى جماعة تعاونية باحترام الذات وعزة النفس، فيقول قائد احدى الجماعات ان الفتيان لايصبحون اعضاء فى جماعتنا الا بعد ان يتطور لديهم احساس بعزة النفس بحيث يأبون على انفسهم ان يستريحوا فى الوقت

الذى يعمل فيه الاخرون، ومادام الفتى قد وصل الى سن العمل فانه يواصل العمل مع الاخرين حتى لو انهكة التعب او اضناه الجوع.

ولنظام العمل التعاونى عند الولوف وظائف اخرى عديدة، منها انه وسيلة للتكافل الاجتماعى او التأمين ضد المخاطر فجماعة العمل تساعد الاعضاء فى تكاليف الزواج العالية وعند انجاب الابناء وتتظافر جماعة العمل ايضا فى دفع التزامات العضو اذا وقعت عليه غرامه او عند قيامه بأحد الاحتفالات او استقبال ضيوف من اماكن اخرى وغير ذلك من الالتزامات.

جـ. نظم التبادل والتوزيع

هناك علاقة وثيقة بين كل النظم الاقتصادية كالانتاج والملكيه والعمل والتوزيع والاستهلاك والتبادل من جهة وبين العلاقات الاجتماعية السائدة فى المجتمع من جهة اخري، حتى ذهب بعض العلماء الى القول بأنه يصعب ان لم يكن يستحيل وجود نظم اقتصاية خالصة فى المجتمع البدائى او التقليدي، بل يمكن القول ان النظم الاقتصادية فى مثل تلك المجتمعات تختلط او تتشابك مع النظم الاجتماعية الاخري، ولذلك اطلق عليها البعض نظم اقتتصادية اجتماعيهSocio -economic systems

لان العمليات الاقتصادية تقوم على اساس اجتماعى اكثر مما تقوم على الاساس الاقتصادى البحث الذى يشيع فى المجتمعات الغربية.

وتعكس نظم التبادل فى المجتمعات الافريقية وغيرها من المجتمعات التقليدية والقروية هذه العلاقة اللصيقة بين العمليات الاقتصادية والعلاقات الاجتماعية. وبينما تختلف المجتمعات فى وسيلتها الانتاجية كالزراعة او الرعى او الصيد او

غيرها بحيث تسمح هذه الوسائل فى توفير السلع والخدمات اللازمة لاشباع الحاجات البيولوجية والاجتماعية لاعضائها، فان مدى تحقيق المجتمعات للوصول الى هذه الغاية يتوقف على توفر عدد من العوامل والظروف الطبيعية من جهة كتوفير الموارد الطبيعة المتاحة فى البيئة كالمواد الخام، وظروف بشرية كالتخصيص و المهارة الفنية والتقدم التكنولوجى من جهة اخري. ولما كانت المجتمعات البشرية تتوزع فيها هذه الخصائص المادية والبشرية بنسب غير متساوية، وكان لابد من ايجاد وسيلة تسطيع بها الشعوب المختلفة تدبير ما تحتاج اليه من سلع وخدمات لايمكن انتاجها فى المجتمع نفسه بسبب او اخر، فى مقابل التنازل عما يفيض عن حاجتها من السلع والخدمات التى تقوم بانتاجها او تخصص فيها ، وهذه العمليه هى ما يطلق عليها اسم المبادلة او التبادل. فالتبادل بمفهومه العام هو عملية انتقال ملكية السلع والخدمات من فرد او جماعة الى فرد او جماعة اخري، وتختلف هذه العملية التبادلية باختلاف المجتمعات كما تختلف أيضا باختلاف العلاقات الاجتماعية التى تربط بين اطراف التبادل(٣١).

ولما كانت نظم التبادل عملية قديمة قدم المجتمعات نفسها فقد اتخذت عدة اشكال فى مختلف المجتمعات والتى تندرج من شكل الهدايا الخالصة pure gifts الى التجارة الخالصة pure trade وبينهما عمليات تبادلية مختلفة الشكل والمضمون. إلا ان معظم الدراسات الانثروبولوجيه تميز فى تصنيفها لنظم التبادل بين شكلين اساسيين طبقا لطبيعة العلاقات الاجتماعية التى تسود بين اطراف التبادل وهى التى تحكم المعاملات التبادلية بين الافراد والجماعاتوهما:

أ ـ الشكل الاول هو التجارة الداخلية Internal وهو يشمل عمليات تبادل الهدايا Gift exchange وعمليات المقايضة Barter (أى تبادل سلعة بسلعة اخرى او خدمة) وهذا الشكل يسود بين اعضاء الجماعات الصغيرة المغلقة وبخاصة الجماعات القرابية والمجتمعات القروية، كما يشمل ايضا المبادلة بالنقود فى الاسواق المحلية.

ب ـ او الشكل الثانى من اشكال التبادل فهو ما يعرف بأسم التجارة الخارجيه External وهى التى يتم التبادل فيها بين فرد او جماعة من داخل المجتمع من ناحية وفرد او جماعة اخرى من خارجه من ناحيه اخري[٣٢] .

وبينما يتميز نمط العلاقات فى الشكل الاول بالعلاقة المباشرة والشخصية بين اطراف التبادل، يتميز نمط العلاقات فى الشكل الثانى باتساع المسافة الاجتماعية والعلاقة غير الشخصية التى تربط بين اعضاء الجماعة وبين الافراد او الجماعات المتعاملين معها من الغرباء، وهنا تظهر فكرة السوقMarket بمعناها الحديث وتتغلب الاعتبارات الاقتصادية البحته على الاعتبارات الاجتماعية، ويخضع موضوع التبادل من السلع والخدمات الى عوامل خارجية.

ولقد اهتم علماء الأنثربولوجيا الاجتماعية بالشكل الاول من اشكال التبادل وهو الذى يأخذ طابع الهدايا نظرا لعمق العلاقات الاجتماعية التى تسود هذا الشكل بين اطراف التبادل. ومن اهم الاراء فى هذا الصدد نظرية العالم الفرنسى مارسيل موس[٣٣] Marcel Mauss عن الهدية والتى يذكر فيها ان الاقتصاديات البسيطة لايسود فيها تبادل سلع المنفعة او الثروات او المنتجات او حتى الخدمات كالمجاملات بالولائم وغيرها من خلال سوق يكون وعاء لهذا التبادل بمعنى ان هذه الهدايا تبتعد تماما عن فكرة السوق ويفرق فى

نظريته بين وظيفة التبادل السياسية وهى التى تتم لاقامة او تقوية التحالفات والتعاقدات بين القبائل والجماعات، وبين وظيفة التبادل الاجتماعية التى تؤدى الى تقوية العلاقات بين اعضاء المجتمع او الجماعة الواحدة، وان هناك نوعا من الهدايا يسميها الهدايا الملزمة prestation تتمضن عنصر الاجبار او الالتزام فى مراحل ثلاث وهى لزوم تقديم الهدايا ولزوم قبولها - ولزوم ردها، والاخفاق فى تحقيق اى مرحلة من المراحل يؤدى الى زعزعة المركز الاجتماعى وضياع المنزلة الاجتماعية التى يحتلها المهدى اليه فى المجتمع.

وبصفه عامة، تقوم نظم تبادل وتوزيع السلع والخدمات فى المجتمعات المختلفة بوظيفة استكمال النقص فى الموارد الطبيعية او الاحتياجات المعيشية، وتلعب نظم التكافل الاجتماعى والتكامل الاقتصادى الدور البارز فى سد هذا النقص، حيث تنتشر فى المجتمع الافريقى العلاقات التبادلية بين الجماعات المختلفة على اساس التخصص فى العمل والانتاج. فمن المعروف فى أفريقيا قيام علاقات تبادليه متعددة بين الجماعات الرعوية لمبادلة الماشيه وغيرها من الحيوانات فى مقابل ما تحصل عليه من منتجات زراعية وحبوب من الجماعات والشعوب الزراعية.

ويتبادل صناع الحديد المصنوعات التى ينتجونها ليحصولوا على كل احتياجاتهم المعيشية.

الفصل الرابع
المدخل السياسى لدراسة انثروبولوجية افريقية

١- اسس التنظيم السياسي

تختلف المجتمعات فى ابنيتها الاجتماعية، ويترتب على هذا الاختلاف تعدد التنظيمات السياسية والاقتصادية والقرابية. ويشمل التنظيم السياسى لاى شعب من الشعوب او جماعة من الجماعات كل النظم التى تمارس لإقرار النظام والضبط فى المجتمع، كما يشمل ايضا كل الاجراءات التى تعمل على حفظ وسلامة الجماعة داخل حدودها السياسية او فى علاقتها بالجماعات الاخرى المجاورة لها، و يدخل فى اطار النظام والضبط جميع القواعد القانونية والعرفيه وغيرها التى تكفل اداء الحقوق وتنفيذ الواجبات والالتزامات لكل عضو من اعضاء المجتمع.

ويعتبر سير هنرى مين(٣٤)S. Henry Maine اول الباحثين الانثروبولوجين الذين تعرضوا لتصنيف المجتمعات الانسانية بصفة خاصة بناء على مدى التنوع والتماثل فى ابنيتها السياسية، وقد قال فى كتابه عن القانون القديم عندما عرض للتفرقة بين الاسباب التى تؤدى بالناس الى قبول القانون والخضوع له بتقسيم المجتمعات الانسانية الى فئتين:-

الفئة الاولى

وهى مجتمعات يقوم اعضاؤها بطاعة القانون السائد فيها والخضوع له، على اساس القرابه الحقيقية او المتخيلة التى تربط بينهم وبين الشخص الذى يحتل مركز السلطة والذى يقوم بهذا التقنين. وهذا النمط من التنظيم السياسى يسود المجتمعات البدائيه التى ترتكز الى حد كبير على الروابط القرابية، والتى تلعب دورا هاما فى استتباب الامن وتماسك افراد المجتمع مهما تباعد توزعهم الاقليمي، ويظهر هذا على الخصوص فى الجماعات الطوطميه التى يشعر افرادها بالعلاقات الاجتماعية والشعائرية التى تنعكس فى انوا ع معينه من الالتزامات والتحريمات التى تجمعهم وتؤلف بينهم رغم تباعدهم اقليميا.

اما الفئة الثانية

وتضم تلك المجتمعات التى تقوم انساقها السياسية على اسس اقليميه بحته، بحيث يقوم الالتزام بالقانون وطاعته ليس على اساس الروابط القرابيه التى تربط بين اعضاء الجماعة السياسية، وانما يقوم على اساس تواجد الافراد فى إطار اقليمى للسلطة السياسية وهذه هى المجتمعات المدينة Civil societies، وفيها يحتل عنصر القرابه مركزا ثانويا فى عمليات استتباب الامن والالتزام بالقانون وعمليات الضبط الاجتماعي، وفى نفس الوقت يحدد التواجد فى المنطقة الاقليميه الادارية نوع الانتماء السياسى والخضوع للسلطه بغض النظر عن رابطه الدم أو القرابة او المصاهرة التى تربط بين اشخاص السلطة فى المجتمع البدائى والتى يحتفظ فيها الشخص بولائه وخضوعه السياسى مهما كانت المنطقه الاقليميه التى يهاجر اليها.

٢ـ موضوعات الدراسة فى الانثروبولوجيا السياسية

رغم ان الانثروبولوجيا السياسية لايرجع عمرها كعلم متمايز له كيانه الواضح بين فروع الانثروبولوجيا الى اكثر من ثلاثين عاما، فقد بدأت مجالاتها تتسع وتتفرع وتتشعب بحيث نجد المتخصصين فى الانثروبولوجيا السياسية فى الوقت الحالى يعالجون موضوعات متباعدة الى ابعد حدود التباعد، ولكنها فى مجموعها تنتمى الى ذلك الاطار الكلى الذى يتصل بمشكله اتخاذ القرارات التى تعتبر المشكله الاساسيه فى علم السياسة والنظريه السياسية، ونستطيع ان نأخذ فكرة عاجلة عن مدى الاتساع والتشعب فى مجال الانثروبولوجيا السياسية لو اننا استعرضنا بشكل سريع بعض الموضوعات الرئيسيه التى يهتم بها علماء الانثروبولوجيا السياسية فى الوقت الحالى ولعل اهم هذه الموضوعات هى:

اولا:

تحليل التنظيم السياسى فى المجتمعات التى لا تؤلف دوله Stateless Societies والتى ترتكز نظمها على توازن القوى بين الاقسام المختلفة وربما كان اهم اسهام للانثروبولوجيا السياسية هو فى هذا المجال بالذات.

ثانيا:

دراسة بعض مظاهر الحياه السياسية فى المجتمعات الحديثه ومقارنتها بالمظاهر المماثلة فى المجتمع البدائى والمجتمع التقليدي، وربما كانت اهم المظاهر التى جذبت اهتمام الكثير من الانثروبولوجيين السياسيين وعلماء الاجتماع على السواء هو البيروقراطية، والمعروف ان الكثير من كتابات السوسيولوجيين حول

هذا الموضوع تاثرت بآراء ماكس فيبر بالذات، ومثل هذا التاثير نجده واضحا فى كثير من الكتابات الانثروبولوجيه التى عالجت البيروقراطيه فى المجتمعات البدائيه، وقد حظيت البيروقراطيه فى المجتمعات الافريقيه بقدر لا بأس به من عنايه الانثروبولوجيين السياسين ولدينا مثل طيب فى ذلك يتمثل فى كتاب فوللز Fallers عن البيروقراطيه عند البانتو.

ثالثا:

التطاحن والصراع على السلطه فى المجتمع البدائى كما يظهر على وجه الخصوص فى كتابات بارث Barth وماكاى Maqut.

رابعا:

مشكلات الضبط الاجتماعى بالمعنى الواسع للكلمه على مايظهر فى كتاب جاليفر Gulliver عن الضبط الاجتماعى فى مجتمع افريقى Social control in an African Society وهو من افضل الكتب فى دراسة الجماعات البدائية التى تقوم تنظيمها السياسى على نظام طبقات العمر

خامسا:

مشكلة تغلغل الايديولوجيات و الحركات السياسية الغربية الى المجتمع البدائى والتقليدي، و اثر ذلك فى البناء الاجتماعى والسياسى وظهور الاحزاب السياسية والجمعيات السياسية السرية كما يظهر على الخصوص فى مجموعة الكتب التى عالجت حركه الماو ماو فى كينيا.

سادساً:

العلاقة بين السياسة والنظم الاجتماعية الاخرى وبخاصة القانون والدين والاقتصاد، وربما كان افضل مثل لذلك كتاب جلكمان Gluckman عن السياسة والقانون والشعائر فى المجتمعات القبلية.

سابعاً:

دور المثقفين والصفوة فى الحياه السياسية فى المجتمع البدائى كما نجده فى كتاب سميث وزوجته حول الصفوة النيجيرية الجديدة.

ثامناً:

مشكلات التفرقة العنصرية والصراع العنصرى كما تتمثل على الخصوص بين البيض الزنوج فى جنوب افريقيا او الصراع بين الاوروبيين والأفريقيين والاسيويين فى شرق افريقيا، وثمه دراسات انثروبولوجيه مختاره عديدة حول هذا الموضوع صدرت على الخصوص عن معهد العلاقات السلالية Insti- tute of Race Relations فى لندن لعل اهمها كتاب شيلا باترسون Shella paterson عن اللغه والثقافة فى جنوب افريقيا(٣٥).

ويذكر جورج بلانديه(٣٦) G. Balandier فى كتابه المعنون الانثروبولوجيا السياسية، ان الانثروبولوجيا بدأت تولى عناية متزايدة بمعالجة الموضوعات السياسية منذ عام ١٩٢٠، بعدما تطورت الدراسة الانثروبولوجيه من مجرد الاهتمام بالانساق السياسية الى ان اصبحت خليقه بأن يفرد لها فرع مستقل من فروع الانثروبولوجيا العامة هو الانثروبولوجيا السياسية، وساعد على هذا التطور توفر عدد هائل من الدراسات الاثنوجرافيه السياسية

من مختلف مجتمعات العالم، بالاضافة جهود العلماء والباحثين لتطوير المفاهيم والتعريفات النظرية عن الدولة والسلطة واساليب الضبط الاجتماعى واتخاذ القرار والمسئولية والجزاءات الاجتماعية.

٣. تصنيف المجتمات الافريقيه سياسيا:

وبعد دراسة الاستاذ ايفانز بريتشارد عن الزاندى فى السودان ١٩٢٧، انحصرت تقريبا معظم الدراسات المركزه للشعوب البدائية فى افريقيا وحظيت النظم السياسية بالاهتمام والمنشود، كما هو الحال فى دراسة شابيرا I. Schapera عن البتشوانا، ودراسة الاستاذ ماير فورتيس Mayer Fortes عن التالنزى فى غانا، ودراسة الاستاذ ناديل Nadel عن النوب فى نيجيريا، ودراسة الدكتوره kuper عن السوازى واخير دراسة الاستاذ ايفانز بريتشارد عن النوير Nuer ١٩٤٠ التى تعد افضل واكمل دراسة - حتى الان - عن النظم السياسية وعلاقتها بالنظم الاجتماعية الاخرى فى المجتمعات الافريقية.

ولقد توجت هذه الجهود الانثروبولوجية بعد اصدار كتاب الانساق السياسية فى افريقيا(٣٧) عام ١٩٤٠ African political Systems الذى اشرف على تحريره العالمان ماير فورتيس وايفانز بريتشارد، وتعود اهمية هذا الكتاب بأنه يتميز على كل التصنيفات السابقة باعتماده على ثمانى مقالات، يتناول كل منها دارسة النسق السياسى فى احد المجتمعات الافريقية القبلية، ويضم كل منها نتائج الدراسة المركزة التى قام بها المؤلف، وبذلك توفر عدد من الدراسات التى اجراها نخبة من كبار علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية.

وفى مقدمة الكتاب تمكن فورتيس وايفانز بريتشارد ـ على ضوء الابحاث الثمانية ـ ان يميزا بين نمطين اساسين من الانساق السياسية فى افريقيا ـ ويقوم هذا التمييز فى المحل الاول على اساس مدى تركز السلطة او توزعها وشيوعها وبقول اخر وجود او عدم وجود ما يمكن تسميتة بالحكومة. ويتميز النمط الاول للتنظيم السياسى بوجود سلطه سياسية مركزية تتمثل فى الاجهزة الادارية والهيئات القضائية المتخصصة، اى وجود الحكومة بالمعنى الحديث للكلمة، مع الاختلاف فى درجة تعقد هذه الحكومة، ولذا يطلق على هذا النوع من المجتمعات اسم مجتمات الدولة او المجتمعات التى تؤلف دولة State So-cieties وخاصة وان معظم هذه المجتمعات عبارة عن «دول» لها ملوك وسلاطين، اولها على الاقل ما يعرف فى الكتابات الانثرويولوجيين باسم الرئيس الاعلى paramount chief الذى يقبض بيديه على زمام كل السلطات وان كان ينيب عنه فى العادة بعض افراد عائلتة لادارة الاقاليم وتصريف امورها، ومن امثلة المجتمعات الافريقية التى يوجد بها هذا النمط من التنظيم السياسى الزولو فى جنوب شرق افريقيا، والانجواتا Ngwata فى جنوب افريقيا والبمبا Bemba فى روديسيا الشمالية، والبانيانيكولى Banyankole فى اوغنده، وقبيلة كيدى kede شمال نيجيريا.

ويتميز هذا النمط بوجود السلطة المركزيةوالتخصص فى الادوار السياسية التى يرتبط كل منها بمزايا معينه، مع ارتباط الاقسام الداخلية او الاقاليم بعضها بعض بعلاقات ادارية فى المحل الاول وضعف الدور الذى تلعبه روابط القرابة فى الحياه السياسية.

اما النمط الثانى من التنظيم السياسى فيختلف عن النمط الاول اختلافا تاما، ويبدو ذلك من نفس المجتمعات التى يوجد فيها ووصفها بأنها مجتمعات لا تؤلف

دولة Stateless Societies فى مقابل النوع الاول من المجتمعات الذى يؤلف دوله ، ففى النمط الثانى من المجتمعات يصعب العثور على اى شخص او هيئة تتركز فيها السلطة او تقبض بيديها على تقاليد الحكم فى المجتمع ككل، كما لايوجد اى جهاز ادارى متميز او اية هيئات قضائية متخصصه او اية نظم قانونية مقررة مما يعنى ببساطة عدم وجود الحكومة بالمعنى الدقيق الكلمة. على الرغم من توفر الاساس الاقليمى الذى يلعب دورا كبيرا فى تحديد هذه المجتمعات وتمييزها عن غيرها كوحدة سياسية مستقلة، وعلى الرغم ايضا من انقسام هذه المجتمعات من الداخل الى عدد من الجماعات المحلية المتمايزه، فالواقع ان القرابة تلعب هنا دورا بالغ الاهمية بعكس الحال فى المجتمعات التى تؤلف الدوله، ومن امثلة المجتمعات التى لا تؤلف دوله قبائل الكافيرندو kavi-rondo فى غرب كينيا، وقبائل التالنزى Tallensi فى غانا، والنوير فى جنوب السودان الذين يعتبرون افضل مثل لهذا النمط من التنظيم السياسى - وعلى اى حال، فان اهم ما يميز النسق السياسى فى المجتمعات التى لاتؤلف دولة هو طابع الانقسام الغالب على الوحدات السياسية التى يمكن التمييز بينها داخل المجتمع، وقيام العلاقات بين هذه الوحدات المختلفة على مبدأ التعارض الانقسامى Segmentry opposition، يضاف الى ذلك ان بناء البدنة Lineage يلعب دورا هاما فى هذا النسق السياسى فثمه نوع من التناظر بينها، بمعنى ان كل قسم من اقسام البدنه يناظر قسما سياسيا معينا وهذا هو فى الواقع جوهر النظام الانقسامى.

وصدر بعد هذا الكتاب الهام العديد من المؤلفات والدراسات السياسية التى تجعل المجتمعات الافريقية محورا رئيسيا فى تحليلها المنهجى ومنها على سبيل المثال لا الحصر كتاب شابيرا Schapera المعنون الحكومة والسياسة فى المجتمعات القبلية الافريقية، والذى ناقش فيه بعض اراء وافكار العلماء

السابقين عليه، فقد انتقد تعريف راد كليف براون للسياسة قائلا «بأننا نحرم كثيرا من المجتمعات الافريقية من وظائفها السياسية اذا اتبعنا تعريف راد كليف براون بأن السياسة هى ذلك المظهر من التنظيم الذى يعنى بضبط وتقنين استخدام القوة الفيزيقية» وكذلك تعرض لتعريف ماكيفر Mc Iver للحكومة من حيث هى اداه لفرض القانون والنظام حيث تقوم اجهزة معينة فيها بوظائف الشرطة والقضاء، لان كثيرا من المجتمعات الافريقية ـ وخاصة المجتمعات الانقسامية وهى المجتمعات التى لا تؤلف دوله ـ تفتقد الى وجود جهاز او هيئة متخصصة تعنى بتقنين وتنظيم استخدام القهر المنظم المعتمد على استخدام القوة الفيزيقية.

ويدخل سميث Smith الادارة الحكومية ضمن انشطة نظم الحكم، ويرى ان الحكومة تعنى بالادارة والتوجيه والرقابة على الشئون العامة، ولذلك فهو يقدم نظرية جديدة فى تعريف النسق السياسى وفى علاقة هذا النسق بالجهاز الحكومى والتنظيمات الادارية ومظاهر القوة والسلطة فى المجتمع .

ويرى سميث ان العمل السياسى يتمثل بصفة خاصة فى محاولة التأثير فى الجماعة ليصدر عنها قرار معين يتعلق باعضائها جميعا، كما يرى انه قد تقوم بهذا العمل بدنات او هيئات رسمية او احزاب سياسية او جمعيات دينية او افراد، بحيث يختلف محتوى القرار السياسى باختلاف الثقافات والوحدات الاجتماعية التى يعتبر هذا القرار ملزما لها، ولذلك فانه يتفق مع راد كليف براون فى القول بأن النشاط السياسى لايعتبر مستقلا عن نشاط الانسان الاجتماعى بل هو وجه من اوجه هذا النشاط، وهو سمة اساسية من سمات الجماعة الانقسامية باعتباره محاولة لإضفاء الوحدة والتماسك على تلك الوحدات المتمايزة.

ويرى الدكتور احمد ابو زيد[٣٨] ان دراسة النسق السياسى فى اى مجتمع من المجتمعات تتطلب بدون شك التعرف على الدور الذى يؤدية او يقوم به كل نسق من الانساق الاجتماعية الاخرى فى توطيد واقرار النظام فى المجتمع.. وفى اتخاذ القرارات و تشكيل العلاقات بين الناس فى الداخل والخارج، ولكن هناك فرقا كبيرا بين ان نقول ان لكل نسق او كل نظام اجتماعى جانبه السياسى الذى يقوم به، وبين ان نميز فئه من الظواهر و العلاقات والمناشط الاجتماعية على انها ظواهر وعلاقات ومناشط سياسية فى المحل الاول، ثم ندرس ذلك النوع من التنظيم على انه تنظيم سياسى. فالمهم اذن هو الكشف عن الخصائص الاساسية التى تميز ذلك التنظيم السياسى عن غيره من التنظيمات الاجتماعية، حتى تلك التى تؤدى وظيفة سياسية واضحة فى حياه المجتمع فالمسألة هنا مسألة اعطاء الاولويات، وهو الاساس الذى يقوم علية فى الاصل التنصنيف بين النظم، فالعائله فى المجتمعات القبلية تقوم بوظيفة هامه فى النسق السياسى نظرا لانها هى التى تشرف على بعض المنازعات بين افرادها، ومع ذلك فان العائلة تعتبر جزءا من نسق القرابه وليست جزءا من النسق السياسى وهكذا.

وقد يمكن تلخيص العناصر الاساسية المميزه للسياسة والتنظيم السياسى فى النقاط الثلاث التاليه التى تعكس لنا على العموم وجهة نظر معظم علماء الانثروبولوجيا فى الموضوع:

العنصر الاول هو فكرة المحافظة على النظام فى المجتمع كهدف للسياسة، وربما كانت هذه الفكره عامة وغير محددة تماماً ويشوبها بعض الغموض، وذلك على اساس ان كل الانساق والنظم الاجتماعية تهدف بشكل او باخر الى تماسك المجتمع وتقوم بوظيفتها المحددة نحو هذه الغاية، ولن يتسنى لاى نسق

من العلاقات الاجتماعية ان يؤدى هذه الوظيفة الا عن طريق الاسهام فى المحافظة على النظام وإقراره داخل المجتمع، فالمصالح الاقتصادية والعلاقات القرابية وما اليها لها وظائفها المباشرة فى الميدان الاقتصادى والعائلى على التوالى، ولكنها فى الوقت نفسه تساعد على توطيد الاوضاع القائمة فى المجتمع وتعمل على تدعيمها، ومثال ذلك الدور الذى يلعبه تشابك وتداخل المصالح الاقتصادية فى الضبط الاجتماعى بالواحات الخارجة (الوادى الجديد)، وكيف ان العلاقات القرابية تساعد على استتباب الطمأنينة فى المجتمع وان الاقارب يعتبرون حلفاء طبيعيين فى حالة المنازعات والخصومات فى المجتمعات القبلية وهكذا، الا أن هذا الدور الذى تقوم به الانساق الاجتماعية المختلفة فى مجال المحافظة على النظام والاوضاع السياسية السائدة فى المجتمع لا يعطينا الحق فى اعتبارها انساقا سياسية بمعنى الكلمة، او ان وظيفتها الاساسية، وظيفة سياسية، وذلك بعكس مجموعة العلاقات والمناشط التى تهدف بصورة مباشرة ومنذ البداية الى تحقيق ذلك النظام و المحافظة على تلك الاوضاع وتدعيمها ولذا فانها تؤلف ما نسمية بالنسق السياسي.

العنصر الثاني: هو فكرة الاقليمية، بمعنى ان النسق السياسى يرتبط بالضرورة باقليم معين بالذات وبالناس الذين يعيشون فى ذلك الاقليم، فالتنظيم السياسى لايقوم فى فراغ وانما يقوم فى مجتمع محلى له معالمه وخصائص الواضحة المميزة، وهذا ما يقصده راد كليف بروان حين يوجه النظر فى تعريفة الى الاطار الاقليمى الذى يعمل التنظيم السياسى على اقرار وتوكيد النظام فيه، والواقع ان العلماء الأوائل انفسهم انتبهوا الى هذا المظهر الاقليمى للتنظيم السياسى فكل الانساق السياسية بغير استثناء لها اطار اقليمي، وينطبق ذلك على المجتمعات البسيطة مثلما ينطبق على المجتمعات المتقدمة، وان كان ذلك الاطار الاقليمى اكثر وضوحا واشد تحديدا فى حالة المجتمعات الحديثة. ولقد

كان السائد ان البدو الرحل مثلا والجماعات التى تعيش على الجمع والالتقاط (كالبشمن واقزام الكونغو) او على قنص الحيوان تتألف من قبائل أو حتى زمر اجتماعية صغيرة متناثره بحيث لاتكاد ترتبط بأى اقليم محدد بالذات نظرا لكثرة انتقالها من مكان لآخر، ولكن الواقع ان لكل قبيلة من قبائل البدو الرحل ـ كما هو الحال مثلا بين عشائر اولاد على فى الصحراء الغربية ـ وكذلك قبائل السعادى فى برقه (ليبيا) فلها اقليمها واراضيها الخاصة (الوطن) التى تعود اليها من رحلاتها الطويلة، كما ان لها علاقات قوية بهذا الوطن تتمثل فى استغلالها لارضه وفض المنازعات التى قد تنشب بين العشائر المختلفة على هذه الارض وحقوقها فى تلك الاراضى وعدم السماح لغيرها من القبائل والعشائر الاخرى باستغلالها الا بأذن منها، وهذه كلها تؤلف جزءا من النسق السياسى. وتبدو اهمية هذا العنصر ـ اى عنصر الاقليمية بالذات ـ حين نحاول ان ندرس ليس العلاقات السياسية المجردة بل (الوحدة السياسية) لنتعرف على خصائصها ومقوماتها و علاقتها بغيرها من الوحدات، وليس معنى ان العلاقات السياسية هى مجرد انعكاس للعلاقات الاقليمية او تعبير عنها، فالنسق السياسى على العكس من ذلك يتضمن فى ذاته علاقات اقليمية ثم يضفى عليها المعنى السياسى الخاص به.

والعنصر الثالث والاخير

وهو عنصر لم يجمع كل علماء الاجتماع والانثروبولوجيا عليه، هو فكرة استخدام القوة الفيزيقة او التهديد باستخدامها لتحقيق النظام فى المجتمع، ويعتبر عدد من العلماء والكتاب ان استخدام القوة الفيزيقية هو اهم عنصر مميز للتنظيم السياسى عن غيره من اشكال التنظيم الاجتماعى الاخري، وعلى الرغم من انه قد يكون من المبالغة والمغالاه قبول هذا الرأى فان من الصعب

انكار اهميته او التهوين من شأنه، وربما كان اهم ما يؤخذ على الاهتمام الزائد بهذا العنصر هو ان الالتجاء الى القوة الفيزيقية المنظمة لايتحقق الا بوجود بناء يتألف من مجموعات وهيئات ووحدات سياسية متخصصة هى التى تستخدم هذه القوة فى المجتمع، وهذا معناه بالضرورة قصر وجود التنظيم السياسى على نوع معين بالذات من المجتمعات هى المجتمعات التى تؤلف دوله State Societies بحسب التعبير الشائع فى الكتابات الانثروبولوجية - وان اى وسيلة اخرى من وسائل اقرار النظام لاتعتمد على القهر لاتعتبر بذلك داخله فى نطاق السياسة والتنظيم السياسى مع ان فيبر M. Weber يرى ان من الصعب تعريف السياسة بمجرد الهدف، لان هناك انساقا اجتماعية اخرى تساعد على تحقيق واقرار النظام فى المجتمع دون ان تلجأ الى القوة، وانه ليس من الضرورى ان تكون كل سلطه قاهرة فى المجتمع جزءا من التنظيم السياسى الا اذا كانت فى الوقت نفسه معبره من رأى المجتمع.

الفصل الخامس

المدخل الدينى لدراسة انثروبولوجية افريقيا

توجد النظم الدينية والعقائدية فى كل المجتمعات الانسانية على اختلاف انماطها واشكالها الاجتماعية، ويجمع علماء الانثروبولوجيا على ان الدين ظاهرة عالمية عند كل الشعوب، ولكن تختلف المفاهيم والتصورات الدينية فى الزمان والمكان من مجتمع لآخر، ويقوم النسق الدينى بوظائف اجتماعية هامة مثله باقى انساق ونظم البناء الاجتماعى فى المجتمع. ومن اهم وظائف الدين حفظ وتماسك وترابط افراد المجتمع وتوحدهم فى عقائد مشتركه تشعرهم بالانتماد والارتباط فيما يعتقدون ان خالق الكون ومدبر شئون اعضاء المجتمع، كما تمدهم العقيدة الدينية بالراحة النفسية وتمنحهم القوة التى تساعدهم على مجابهة ظروف الحياة الصعبه ومحاولة التغلب عليها.

١- تطور الاهتمام بالظواهر الدينية:

لذلك فقد احتلت دراسة الظاهرة الدينية حيزاً كبيرا من اهتمام المفكرين الفلاسفة(٣٩) منذ اقدم العصور، وحاول بعضهم الربط بين الدين والنظم الاجتماعية الاخرى فى المجتمع، ففى العصور الوسطى وضع القديس او غسطين Augastin فى كتابة «مدينة الله» مقياسا او معيار لسمو وارتقاء النظم الاجتماعية وانحطاطها مرتبطا بانماط السلوك البشري، فاذا اقترب

الافراد من الغفران الالهى إرتقت الامه، واذا ابتعدوا عن هذا الغفران انحطت النظم وتدهورت الامه.

وفى العصر الاسلامى اعتبر ابن خلدون ان اساس الاجتماع الانسانى يقوم على دعامتين هما العصبية والدين، اذ لولا العصبية والدين لما كان لدينا اجتماع انسانى سليم، ولكان البشر فى هذه الحالة يشبهون الحيوانات فى معيشهم وسلوكهم واخلاقهم ويفسر ابن خلدون فى مقدمته المشهورة اثر الدين على الحياه الاجتماعية فيقول:

«لما كانت حقيقية الملك ان الاجتماع ضرورى للبشر، فان هذا الملك يعتمد على قوانين سياسية مفروضة يخضع لها الكافة وينقادون لا حكامها، فاذا كانت هذه القوانين مفروضة من العقلاء واكابر الدولة و بصرائها كانت سياسية عقلية، واذا كانت مفروضة من الله و بشرع يقررها يشرعها كانت سياسة دينية نافعة فى الحياه الدنيا وفى الاخرة».

وفى القرن التاسع عشر ذهب فوستيل دى كولانج Fustel de cou-langes فى كتابة المدينة العتيقة عام ١٨٦٤ ان هناك ارتباطات سببيه تربط بين الدين من ناحية وبين النظم الاجتماعية من ناحية اخري، وفى معرض حديثة عن المجتمع الرومانى القديم يؤكد على ان الدين العتيق انما يربط بين النظم ربطا وظيفيا، فلا يمكننا ان نتفهم طبيعية النظم السياسية والقضائية للمجتمعات الا اذا اخذنا فى اعتبارنا الدين كركيزة اساسية ترتكز عليها الابنية الاجتماعية، كما تعتبر عبادة لاسلاف Ancestor worship هى الركن الاساسى للدين العتيق، والتى لازالت قائمة حتى الان فى المجتمعات الاسيوية والافريقية، فالدين عنده هو اساس الاسرة وما يشملها من نظم وعلاقات مثل السيادة الابوية

والزواج والملكية والميراث والقرابة وتتفاعل كل هذه النظم فى تساند واعتماد متبادل كما تترابط ترابطا وظيفيا.

وكان احب موضوعين للبحث لدى علماء التطور هما تطور العائلة وتطور الدين، ولم يكن يملون ابداً من الكتابة فى هذين الموضوعين. فقد حاول تايلور Taylor ان يبين ان كل العقائد والطقوس الدينية قد ظهرت ونمت من بعض الاستنتاجات الخاطئة التى بنيت على ملاحظات ظواهر معينة كالاحلام والرؤى والمرض واليقظة والنوم والحياة والموت، كما كان جيمس فريزر James fraz-er يؤمن كقيضية مسلم بها ان كل المجتمعات مرت بثلاث مراحل التطور هى : السحر والدين والعلم.

اما فى مطلع القرن العشرين فقد نبذ علماد الانثروبولوجيا النهج التطوري، واتجهوا بدلا من ذلك الى تفسير الوقائع الاجتماعية على اساس من علم النفس مستخذمين الظواهر الدينية كأساس لهذا التفسير من امثال ماريت Marett ومالينوفسكى Malinowski فى انجلترا ، ولوى ، روبرت R. Lowie ورادين Radin فى امريكا، واصدروا عدة مؤلفات فى المدة من عام ١٩٠٢ حتى عام ١٩٢٥ تتناول كلها موضوعات معينه كالدين والسحر والتابو والشعوذة، وفسروا السلوك الاجتماعى المتعلق بالمقدس على اساس المشاعر والانفعال والخوف والرهبة والاحساس بوجود عالم الغيب والقوة الخارقة للعادة وما اليها(٤٠).

وعندما فشلت المحاولات المتتالية لتفسير الحقائق الاجتماعية فى حدود علم النفس الفردي، ظهر على مسرح الفكر الانثروبولوجى علماء الاتجاه الانتشارى او علماء الانثروبولوجيا الانتشارية واتخذوا من عبادة الشمس عند قدماء

المصريين دليلا على الانتشار الثقافى واعتبروا مصر هى مركز الحضارة ومنها انتقلت الى الكثير من انحاء العالم فاهرامات المكسيك او اليابان او السودان او العراق انما هى تقليد للنموذج المصري. واهم ممثلى هذا الاتجاه فى انجلترا اليوت سميث E. Smith واصدر كتابا بعنوان المصريون القدماء عام ١٩١١ ووليام بيرى W. perry الذى نشر كتابا بعنوان «ابناء الشمس» عام ١٩٢٣.

وعندما ساد الاتجاه الوظيفى فى الدراسات الانثروبولوجية حظيت النظم الدينية فى افريقيا باهتمام كبير للتعرف على وظيفة الدين والسحر فى المجتمع، وطبيعة الدور الذى تؤدية المعتقدات الدينية فى عملية الضبط الاجتماعي، ولاسيما بعد ان أظهرت الدراسات الميدانية التى اجريت فى مناطق متعددة من افريقيا، ان المعتقدات الدينية تختلط وتتشابك مع النظم الاجتماعية الاخرى ويدخلها كثير من التصورات الغيبية وعبادة الاسلاف وطائفة متنوعة من الشعائر والطقوس، كما اثبت هذه الدراسات ايضا ان لكل شعب افريقى نظرتة الخاصة الى العقائد والتصورات التى يؤمن بها، وان هذه العقائد والتصورات تشكل مع النظم الاجتماعية منظومة متسقة ومتوافقة مع طبيعة البناء الاجتماعى عند هذه الشعوب.

٢. الديانات الافريقية والديانات السماوية

وتتميز المجتمعات الافريقية بوضوح النزعة الدينية وتأثيرها البالغ على مجمل الحياه الافريقية فى مناحيها المختلفة سواد كانت سياسية ام اقتصادية ام قرابية، فكل هذه المناشط الاجتماعية ترتكز على اسس دينية ويصاحب ممارستها شعائر وطقوس دينية معينة، ولذلك فانها تتغلغل فى نفوس اعضاء المجتمع ويقدسها الجميع ويمارسون هذه الشعائر والطقوس بسعادة بالغة.

ورغم انتشار الديانات السماوية فى اجزاء القارة المختلفة، فلاتزال الديانات الافريقية تظهر حيويتها فى كل مكان على الرغم من الجهود المركزة التى بذلتها الارساليات المسيحية التبشيرية، وعلى الرغم من تحول الكثيرين الى الدين الاسلامي، ذلك التحول الذى يشكل ظاهرة امتاز بها تاريخ اجزاء مختلفة من افريقيا فى الألف سنه الاخيرة، ونستطيع ان نلمس هذه الحيوية فى عبادة الالهة الافريقية المحلية والولاء للاسلاف والاستعانة بالعرافه السحر وغير ذلك من الطقوس والشعائر ولا ننكر هنا انه يجرى تدريب عدد متزايد من الافريقيين على النظر الى دين اجدادهم كما لو كان ضرباً من الخرافه، وان ينبذوا المعتقدات والتقاليد الاخرى على اعتبار انها بالية ولم تعد تجارى العصر الحديث، ولكن لايوجد دليل يدعم الافتراض الذى كثيرا ما يوجه أراء البعض حول مستقبل افريقيا، وهو الزعم بان الثقافة الافريقية فى مناحيها الدينية او مناحيها الاخرى ستزول حتما فى المستقبل القريب.

وفى ميدان الدين حيث يهدف المبشرون بوضوح الى اقناع الناس بالتحول عن دينهم، يوضح هذا المبدأ وضعا يبدو فى حالات اخرى محيرا، فالافريقيون بغض النظر عن بياناتهم الكلامية لم يتخلوا مطلقا عن القوى التقليدية الخارقه للطبيعة على الرغم من ايمانهم باله شعب اخر. فبدلا من التخلى عن معتقداتهم تراهم يضيفون الاله الجديد الى مجموعة القوى الخارفة للطبيعه التى يستطيعون الاستنجاد بها عند الحاجة.

٣. تأثير الديانات الافريقية فى الحياة الاجتماعية

ويمكن ان نتعرف على مدى تمسك الافريقيون بمعتقد اتهم الدينية الطبيعية وعلى وظائف النظام الدينى والسحر وأثرها فى الحياه الاجتماعية عند الشعوب الافريقية من خلال دراستين قاما بهما عالمان من علماء الانثروبولوجيا فى

افـــريقـــيـــا وهـمـــا عند قـــبـــائل الدنكا(٤١) Dinka جنوب الســــــودان والباكوت(٤٢) pakot فى غرب كينيا . يجمع الباحثون على ان مجموعة قبائل الدنكا من اكثر الشعوب تدينا. واغلبية الدنكا حتى الان وثنيون و ان كانت توجد اقليات بينهم من المسلمين والمسيحيين، اما الوثنيون منهم فانهم يعتقدون فى عالم من الارواح Spirits العديدة والتى يسمونها جوك Gok وهو بمثابتة قوى خارقة تتميزالى حد كبير عن قدرات الانسان والمخلوقات الدنيوية، وهذه القوة كما يراها لينهارت Lienhardt تعمل وراء مجال الافعال الانسانية ولكنها لاتشكل عالما خاصا بها مستقلا عن الانسان، انها تشارك فى الحياه البشرية بل وفى اتجاهات الناس نحو الخير الشر؛فالد نكاوى ينظر الى العالم المحيط به وكأنه ينقسم الى قسمين اولئك الذين ينتمون اليه من الناس والقوى الروحيه او اولئك الذين يشاركونه طبيعته الدنيوية ،ثم اولئك الذين يتميزون عنه ويشكلون طبيعة مغايرة، هذه النظرة الثنائية هى التى تشكل الفكر الدينى الدنكاوى والذى يدور اساساً حول التمايز القائم بين طبيعتيين تعملات معا فى عالم واحد وفى واقع التجربة والممارسة اليومية.

فالدين عند الدنكا يشير الى ارتباط جماعة انسانية بألهة اى تجمع بين معتنقى الديانة الاحياء منهم والاموات والهتهم فى مجتمع واحد يعتبر جزءا لا ينفصل عن الكون الطبيعي، هذا التفسير ينطوى على اعتبار الالهه كائنات حيه ترتبط بعضها ببعض وبالبشر بعلاقات مودة او كراهية. أنهم يعتقدون فى نسق على درجة عالية من التعقيد لمجموعة الآلهه المتعددة والمتدرجه من حيث المكانه، فهناك الاله الخالق او القوة التى لديها القدرة على الخلق والتدمير وهو نيالك Nhialic والتى تشير الى الكائن الاعلى او الاسمي، ومن صفاتة فيما يعتقدون القوة والعدالة والسمو والارتفاع، انه المهميين على المناشط العديدة للكائنات (ويذهب لينهارت الى ان استخدام كلمة الله God واطلاقها على الالهه

الدنكاوية يثير الكثير من المشكلات) ثم هناك Dingdit الكائن الروحى المقدس او الكائن الوسيط بينهم وبين «نيالك» واليه ينسبون قدرات الخير والشر والمنح والمنع وصنع الخوارق والمعجزات، اليه يتوسلون ويبتهلون ويلجأون عند الشدائد كما فى حالات العقدم او المرض... الخ. وتتعدد الالهة والكائنات الروحية المقدسه لتشمل الهه العشائر Clan divinities ويعتقدون ان لديها القدرة على حماية اولئك الذين ينتمون اليها او الاساءة اليهم، انها تزورهم لفترات وجيزة من اجل الوساطة والتوفيق بين الانسان والالهه الاخرى ، وقد تحل بالانسان وتستحوذ عليه وتبتليه بالمرض او الالم وقد تدفع عنه هذه البلاء.

وآلهة العشائر هذه تمثل نوعا من القرابة الطوطمية اذ انهم يعتقدون بأن هناك صلة وثيقة بين الانسان والطوطم الذى انحدر منه وبالتالى انزاله منزلة القداسه.

وتتخذ الطواطم اشكالا مادية كالحيوان أو النبات أو القوى الطبيعية أو الجماد.

ان مفهوم الألوهية Divinity عند الدنكا يتخلص فى الاعتقاد المطلق بأنهم محاطون بقوى او ارواح او كائنات اعلى مقدسة ومسيطرة ومن ثم يعملون على ارضائها.

وفيما يتعلق بالحياه الدينية نجد ان شعب الباكوت مثله فى ذلك مثل معظم الشعوب النيليه الاخري، يفتقر الى نظام محدد واضح المعالم بشأن الامور المتصله بالكون، وان كان يبدو فى الظاهر ان هناك نظاما معقدا من المعتقدات حول طبيعة الكون، ويعتقد الباكوت ان هناك الها خالقا عظيما باسم توروروت ويبدو انه الحارس الابوى والمنظم الذى تتجلى عظمته فى الشمس والنجوم

والمطر والرعد والظاهرات الطبيعية الاخري، وتوجه الصلوت لهذا الاله او لمظاهر قدرته بقصد طلب معونتة فى اوقات المرض والمحن الاخرى. اما الاسلاف فيلعبون دورا اقل اهمية عند الباكوت منه عند البانتو وبعض الشعوب النيلية، فالارواح الوحيده التى تظل موجودة بعد الموت هى ارواح الرجال الراشدين (و فى بعض المناسبات ارواح النساء الراشدات ايضا) والذين يكونون عائلات، والذين بلغوا منزلة معينة فى السلم الاجتماعى والاخلاقى والشعائري، وتتدخل هذه الاراح فى شئون الاحياء، ولذا توجه الصلوات احيانا طلبا للمعونه، ويبدو ان الباكوت يعتبرون الموت أسوأ الشرور التى تنزل بهم، لا بل انهم يعتقدون ان التحدث عن الاموات والموت يتنافى وآداب الكلام، ويعتقد ان ارواح الاسلاف تنزع فى اغلب الحالات الى الحقد والغضب والانتقام، ولذا ينسب اليها المصائب التى تحل بمنازل الاسر. ويمكن القول ان الباكوت يؤمنون الى حد ما بالقضاء والقدر، فهم يتقبلون المصاذب كما تقع ويبتهلون الى ربهم و الى القوى الخارقه التماسا للعون فى اوقات الحاجة.

ويبدو وانهم يعتقدون ايضا ان طريقة حياتهم التقليدية هى اكثر طرق الحياه قبولا فى نظر إلههم توروروت، والواقع انهم يعتقدون ان حياتهم هى افضل حياه يمكن ان يتصورها الانسان.

ويلعب السحر دورا مهما جدا فى الحياه الدينية والاخلاقية لشعب الباكوت، ويرجح انه اكثر الوسائل فعاليه فى الضبط الاجتماعي، وقد يستخدمه افراد من ذوى السلطة او المجتمع المحلى ككل ذلك لتحقيق أغراض خاصة، وقد يستخدمه ايضا افراد تعرضوا للاهانه او الاذى ضد الذين اساءوا إليهم، او افراد شريرون يرغبون فى ايقاع الاذى بغيرهم لاسباب شخصية

ومن وظائف السحرانه يمكن الشيوخ واعضاء المجتمع المحلى من معاقبة المجرمين المجهولين، ويخشى كل فرد دائما ان يقوم الشخص الذى يوقع به الاذى بالستبب فى قتله عن طريق السحر ولذا تراه يتردد فى الاساءه الى الاخرين، ولذا يحرص معظم الناس على عدم الخروج عن الاصول المرعيه، حتى وان كان ذلك لايتفق ورغباتهم الشخصية، ولما كان الناس يقرون بأهميه السحر وأثره الفعال، فان حالات الانحراف عن الاصول المرعيه نادرة.

وتستند مقاومة الباكوت للديانه المسيحية الى حد ما الى شعور باللامبالاه وعدم الاكتراث، ويبدوا ان معتقداتهم الخاصه تكفى لسد حاجتهم، وان المسيحيه لا تنطوى على معتقدات تستهوى خيالهم، وليس لنا ان نستغرب مثل هذا الموقف من المسيحية فى افريقيا، فيكاد يكون من البديهى اليوم ان معظم الذين يعتنقون المسيحيه انما يعتنقونها نتيجة لاحتكار الارساليات التبشيرية لجانب هام من الخدمات التعليمية، وبما ان الباكوت لا يميلون الى التعلم، فمن الواضح ان الكنيسه لاتستطيع ان تستخدم هذه الوسيلة الفعاله فى حمل الناس على اعتناق المسيحيه، وفى عام ١٩٥٢ ذكر رئيس احد المراكز التبشيرية ان عدد افراد الباكوت الذين نجح فى حملهم على اعتناق المسيحية لم يتجاوز عدد اصابع اليد الواحده، وذلك على الرغم من الجهود المتواصلة الى بذلها طيلة ربع القرن الذى قضاه فى المنطقة .

وهناك عوامل اخرى تؤثر فى موقف الباكوت من الارساليات التبشيرية، ففى منطقة السوق الغربى يعنى التحول الى المسيحية ضروة ارسال الاطفال الى المدارس، اضف الى ذلك ان العبادة بالطريقة المسيحية تتطلب من المرء ان يتقيد بأشياء مستهجنه - هذا ان لم تكن مستحيلة - فى نظر الباكوت كالتزام

حياه استقرارية، والاقامة قرب الجماعة والكنيسه، والاعتراف برئيس دينى والسلطة التى يمارسها، والتخلى عناً نظام تعدد الزوجات، والامتناع عن اجراء عمليه الختان للأولاد على الرغم من أن الختان كان مطلباً لا مفر منه فى حياه الباكوت فى جميع المناطق، ويمكن القول ان الرجل الذى لم يمر عليه عملية الختان أبان طفولته لايكاد يعد رجلا فى نظر الباكوت ومن المؤكد انه لايعتبر عضوا اصيلا فى مجتمع الباكوت.

مصادر الدراسة فى انثروبولوجية افريقيا

دوريات periodicals

1- Africa

وتصدرها جامعة اكسفورد ـ لندن منذ عام ١٩٢٨ لصالح المعهد الافريقى الدولى ربع سنوية.

2- American Anthropologist.

وتصدر عن الجمعية الانثروبولوجيه الامريكيه ـ منذ ١٨٨٨ ـ ٦ اعداد سنويا

3- American journal of physical Anthropology.

ويصدرها معهد ويستار Wistar لعلوم التشريح والبيولوجيا منذ عام ١٩١٨ ـ ربع سنوية

4- Anthropological Linguistics.

ويصدرها قسم الانثروبولوجيا بجامعة انديانا ٩ اعداد فى السنه

5- Anthropological Quarterly.

ويصدرها قسم الانثروبولويجا بجامعه امريكا الكاثولوكيه ـ واشنطن منذ عام ١٩٢٨ ـ ربع سنوية.

6- L, Anthropologie.

ويصدرها مكتبه ماسو منذ عام ١٨٩٠ سان جيرمان ـ باريس ٢٤ عدد فى السنة

(تصدر سنويا في١٢ عدد)

7- Current Anthropology

وغيرها من الدوريات التى تصدر على اساس اقليمى وبموضوعات محليه.

ومن الدوريات العربية

١٠ـ مجلة الدراسات الافريقية.

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة وتضم مقالات وبحوث هامة عن افريقيا من مختلف التخصصات

١١ـ نشرة البحوث الافريقية

يصدرها معهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة

ويضم كل عدد موضوع واحد من موضوعات الدراسة الافريقية وتصدر الاعداد بشكل غير دوري. .

Books

1- seligman, C.G. : Races of Africa, London 1959.

2- Murdock, G, P. : Africa : Its people and Thier Cultural History , N. Y. 1959.

3- Herskovits, M: The Human Factor in Changing Agrica, N. Y. 1962.

4- Herskovits, M: Continuity and chang in African culture, N.Y, 1959.

5- Hammond, p. : Cultural and Social Anthropology, N. Y, 1969.

6- Hailey W. : An African Survey , O.U.P 1957

7- Fortes, M. & : AFrican political Systems, O. U. P., L. 1940. Evans pritchard, E.E.,

8- Radcliffe - Brown, p. p. : AFrican Systems of kinship and Marriage

& Daryll Forde. C, O. U. P 1950.

9- Banton, M. : West African City, O.U.P 1957.

10- Rattray, R.S. : Ashanty, Oxford 1956.

11- Evans pritchard, E.E : The Nuer, O.U.P 1940.

12- Gulliver, p. : The Famly Herds, London 1955.

13- Herskovits, M. : Economic Anthropology. London 1962.

14- Herskovits, M: Economic Transition In Africa, London 1963.

مراجـع الدراسـة

١- ايفانز بريتشارد : الانثروبولوجيا الاجتماعية - ترجمة د. احمد ابو زيد - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الاسكندرية ١٩٧٢ ص ١٠٠

٢- احمد ابوزيد : محاضرات بقسم الانثروبولوجيا ١٩٧٣ بمعهد البحوث والدراسات الافريقية، غير منشورة.

٣- ايفانز ريتشارد : مرجع سابق ص ١٠.

٤- فاروق مصطفى اسماعيل : الانثروبولوجيا الثقافية - دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٩٨

٥- ايفانز بريتشارد : مرجع سابق ص ١١

٦- توفيق الحسيني عبده : ملكية العيون فى واحة سيوه، رسالة دكتوراه غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة ١٩٧٧، امكنه متعددة راجع أيضا : حسن سعفان - تاريخ الفكر الاجتماعى

٧- احمد ابو زيد:البناء الاجتماعى - الانساق - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٦٧، ص ١١.

8- Firth, R. : Human types, London 1956, p, 58

9- Evans Pritchard, E.E. The Nuer, London 1940, p. 44.

10- Moore,w. : Man time, and society, N. Y. 1963 pp. 5 - 9.

11- Rizsohazy, R. The Concept of time

ترجمعة د. عثمان امين - المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية - سبتمبر ١٩٧٣ ص ٦.

١٢- احمد ابو زيد : مرجع سابق ص ١٤

١٣- احمد ابو زيد :نفس المرجع ص ١١٤

14- Herskovits, M: The Human Factor in changing Africa , N. Y 1962, p p. 52 - 7.

15- op. cit. , p, 5

16- Firth,R.: Man and Culture. London 1470 p p. 209 - 215

17- Le Claire, E : Economic theory and Econ. Anthr., Amer. Anthr. Vol. 64 1962, p. 1179.

18- Malinowski, B Argonauts of the Western pacific,London 1950, p. 52.

19- Dalton, G : Economic Theory and primitive Society, Amer.. Anthr. VOI 63. p. p. 1-25

20- Beals, E. G: An Introduction to Anthr . ,N. Y. 1965, p. 455

٢١- احمد ابوزيد: الانساق مرجع سابق ص ١١٢

22- Malinowski, B. op. cit p. 313

23- Leinhardt, G: Social Anthropology O.U.P London 1966, P. 77.

24- Hallowell. E. : Property as social Institution in Econ Anthr, (Herskovits) N. Y 1962, p. 319

٢٥- احمد ابوزيد مرجع سابق، ص ١٣٤.

٢٦ـ منصور مصطفى منصور المدخل للعلوم القانونية (نظرية الحق) دار التأليف ـ القاهرة ١٩٦٠ ص ٤٦.

٢٧ـ نفس المرجع ص ٤٧.

٢٨ـ محمد سلام مدكور : تاريخ التشريع الاسلامي مكتبه النهضة ، القاهرة ١٩٥٨ صفحات ٢٦٤ ومابعدها .

٢٩ـ احمد ابوزيد: الانساق : مرجع سابق ص ١٢٠

30- Ames, David: Co - operative Workers of The Wolof

من الترجمة العربية لكتاب الثقافة الافريقية ـ ترجمة عبد الملك الناشف ـ صفحات ٤٤٣ ـ ٤٦٨.

٣١ـ احمد ابوزيد :الانساق مرجع سابق ص ٢٢٥

32- R. A. I: Notes and Queries on Anthr. London 1960, p. 169

33- Mauss, M . : The Gift, London 1970 , p. 18.

٣٤- محمد عبده محجوب: الانتروبولوجيا السياسية ـ الهيئة العامة للكتاب ـ الاسكندرية ١٩٨١، ص ٨١

* نعتمد هنا على ماورد فى المرجع التالي:

٣٥ـ احمد ابو زيد: مقدمة كتاب الانتروبولوجيا السياسية، نفس المرجع صفحات من ١٢ـ ١٤ وما بعدها

36- Blandier, G. : Political Anthr. passim.

37- Fortes, M, & : AFrican politlcal Systems, O. U. P. 1940 p. 7.

Evans pritchard,

٣٨ـ أحمد أبوزيد: الانساق ـ مرجع سابق، ص ٤٧٥.

٣٩- حسن شحاته سعفان : تاريخ الفكر الاجتماعي، دار التالف، القاهرة ١٩٥٧ ص ٤٦ ومابعدها .

٤٠ ايفانز بريتشارد : الانتروبولوجيا الاجتماعية ،مرجع سابق ص ٦٣

41- Leihardt, G: Divinity and Experience The religion of the Dinka, O. U: P. 1967, p. 28.

42- Schneider, H- the Role of cattle among the pakot, Amer. Anthr. 1957, p p. 278 - 300.

الجـــزء الثـــانـى

العلاقات القرابية فى افريقيا
دراسة فى الانثروبولوجيا الاجتماعية

د. عادل على مصطفي

رئيس قسم الانثروبولوجيا بالمعهد

مقدمــــة

إن الانسان أحوج ما يكون اليوم إلى معرفة نفسه، ودراسة تراثه وثقافته، وفهم النظم الاجتماعية المختلفة التى ترسم له سلوكه وتصرفاته وتحدد علاقاته مع غيره من الناس. فلقد ظلت جوانب عديدة من حياة الإنسان غامضة مغلقة، بل إن هناك مجتمعات وثقافات بأسرها لانكاد نعرف عنها شيئا على الإطلاق، رغم الاهتمام المتزايد فى السنوات الأخيرة بدراسة المجتمع البشرى فى كثير من أنحاء العالم، وبخاصة فى أفريقيا. فهناك اهتمام بدراسة المجتمعات القبلية المنزوية فى الجهات النائية، لمعرفة نظمها وثقافاتها وتقاليدها، وهناك اهتمام بدراسة تلك النظم فى مجتمعات أكثر تعقيدا ولها تاريخها وهى ما نطلق عليها المجتمعات التقليديه، ثم أخيرا المجتمعات الحديثة «المعقدة».

لقد كان الإنسان دائما بتكوينه الجسماني، ونظمه، وثقافاته المتنوعة، أشد الكائنات الحية تعقيدا وأكثرها طرافة ، فهو « خلق فريد بين الكائنات العضوية، يمثل مرحلة فريدة فى تطور الحياة، يمكن أن نطلق عليها المرحلة البشرية الاجتماعية».

فالإنسان فيزيقيا يمتاز عن غيره من الكائنات الحية بكبر حجم المخ، واعتدال القامة، والمشى المنظم على رجلين، مما ترتب عليه تحرر اليدين، وإمكان استخدامهما فى العمل، وبالتالى اكتساب مهارات يدوية..

وهو اجتماعيا يمتاز بأنه يعيش حياته فى مجتمع منظم متماسك، ينفرد بوجود نظم اجتماعية واضحة المعالم، مثل نظم الزواج والقرابة والدين.

وهو ثقافيا يمتاز بتراث حضارى طويل ينتقل من جيل إلى آخر، ويتمثل فى أبسط صوره فى العادات والتقاليد الموروثة، علاوة على الفنون والصناعات المختلفة التى مهما بلغت من سذاجتها وبساطتها فإنها تتطلب قدرا معينا من المهارة والذكاء والقدرة على الابتكار. وتأتلف كل تلك الأمور المختلفة ـ الفيزيقية والاجتماعية والثقافية معاً

ـ فى كل واحد متماسك، بحيث يستلزم الأمر الإلمام بها وأخذها كلها فى الاعتبار إذا ما أريد فهم الإنسان ككائن عضوى يعيش فى مجتمع له نظمه وثقافته.

من هنا نشأت الحاجة الى علم شامل للإنسان لا يكتفى بدراسة ناحية واحدة أو مظهر واحد من نواحى أو مظاهر حياته المعقدة كما هو الحال فى العلوم الإجتماعية الجزئية كالأقتصاد أو السياسة، وهذا العلم هو علم دراسة الإنسان العام General Anthropology الذى يحيط بكل خصائص الإنسان ومقوماته البيولوجية والاجتماعية والثقافيه سواء فى الماضى السحيق أو القريب أم فى الوقت الحالى أو المعاصر. اذن ، فان مجال الأنثروبولوجيا العامة مجال واسع ومتشعب ومعقد، لكن مهما يكن من شئ فانه يمكن التمييز فيه بين ثلاثة فروع رئيسية، يظهر كل منها كعلم مستقل له تفريعاته المختلفة، ويكرس جهوده لدراسة جانب واحد من الجوانب الثلاثة الأساسية التى تؤلف معا ماهية الانسان(١).

وستقتصر دراستنا هنا على أحد أهم إهتمامات الأنثروبولوجيا الاجتماعية وهو العلاقات القرابية، بالاعتماد أساسا على التراث النظرى فى هذا المجال وبالاستعانة بأمثلة توضيحية من القارة الأفريقية والمستقاه من البحوث

الامبيريقية التى سبق أن أجريتها أو تلك التى قام باجرائها أنثروبولوجيون ثقاة فى نفس المجال.

* * *

كان الأنثروبولوجيون فى نهاية القرن الماضى وحتى أوائل هذا القرن يستخدمون مصطلح رابطة الدم Consanguinity كمرادف لمصطلح Kin-ship الذى يستخدمه الأنثروبولوجيون اليوم بمعنى «قرابة» . ولعل أوضح الأمثلة على ذلك هو العالم التطورى «لويس مورجان» فى كتابه: systems of Consanguinity and Affinity of the human family.

لكن لمصطلح «رابطة الدم» دلالات خطيرة ينبغى تجنبها، اذ هو يشير الى وجود علاقة فيزيقية physical relation (٢). وعلى الرغم من أن رابطة الدم أو العنصر البيولوجي هو أحد العناصر الجوهرية في قيام العلاقات القرابية، إلا أنه لا ينغبى اعتباره العنصر الوحيد - أو حتى الأهم - فى قيام مثل تلك العلاقات ، ذلك أن للقرابة جانبين متكاملين هما الجانب البيولوجى من ناحية والجانب الاجتماعى من الناحية الأخري، ولا يمكن التهوين من أهمية هذا الجانب الأخير. فالمجتمع كثيرا ما يعتبر بعض الأشخاص أقارب دون أن تكون بينهم أية صلة أو رابطة من صلات أو روابط الدم، كما أنه قد لا يعترف بوجود علاقة قرابية بين أشخاص تقوم بينهم رابطة دم حقيقية ، وهو ما سنوضحه فيما بعد. فالقرابة تعالج فى الدراسات الأنثروبولوجية» على أنها «نظام اجتماعى بحت، ينظم العلاقات الاجتماعية بين أفراد معينين فى المجتمع، يعرفون بأنهم «أقارب»، حتى وإن لم تكن توجد بينهم صلات بيولوجية» (٣)وذلك على الرغم من أن راد كليف براون(٤) قد أشار الى امكان اعتبار أى شخصين قريبين حين ينحدر

أحدهما من ـ أو ينتسب الى ـ الآخر (كما ينحدر الحفيد مثلا من الجد) أو حين يكون الاثنان منحدرين من سلف واحد مشترك، سواء كان هذا الانحدار عن طريق الذكور أو العصبة Patrilineal or agnatic descent أم عن طريق الاناث أو ذوى الأرحام Matrilineal or utrine descent

ولعل أفضل الأمثلة لتوضيح الدور الذى يلعبه الجانب الاجتماعى فى القرابة هو التمييز بين نوعين من الأبوة هما الأبوة الفيزيقية والأبوة الاجتماعية. فالأب الفيزيقى Genitor هو الشخص الذى أنجب الطفل فعلا، بينما الأب الاجتماعى Pater هو الشخص الذى ينتسب اليه الطفل ويحمل اسمه ويرث مكانته ومركزه الاجتماعيين كما يرث ثروته وإن لم يكن هو الذى أنجبه بالفعل(٥).

ومع أن الأبوة المثالية هى تلك التى يكون فيها الأب الفيزيقى والأب الاجتماعى شخصا واحدا ، فان ذلك ليس هو الحال دائما(٦). ومما له دلالته هنا ما قاله رادكليف براون (٧) من أن الأنثروبولوجيين يعرضون فى تقاريرهم عن استخدام مصطلح Father لأن فيه كثيرا من اللبس والغموض، فهو يطابق بين الروابط الفيزيقية والروابط الاجتماعية والتى ليس من الضرورى ـ على ما يقول ـ أن تكون كذلك دائما.

وربما يمكن التدليل على ذلك من استعراض بعض أنماط الزواج والعائلة الموجودة عن النجونى Nguni وهى إحدى أهم المجموعا ت الزنجية الجنوبية الناطقة بالبانتو Bantu - Speaking

فنمط الزواج المعروف باسم «زواج الشبح» Ghost Marriage ـ وهو نوع من الزواج يعوض المجتمع عن طريقه الشخص الذى يموت قبل أن ينجب

بأن يجعله مستمرا فى الحياة متمثلا فى شخص أولاده الذى ينجبهم له أحد أقربائه العاصبين (٨) ـ يتخذ مظهرين أساسيين:

أ ـ فحين يخطب أحد الأشخاص فتاة ما ثم يموت قبل أن يدخل بها ،فان خطيبته ينبغى أن تتزوج أحد أقربائه العاصبين (وهو فى الأغلب أخوه) (٩) وأن تلد لخطيبها الذى مات أطفالا يحملون اسمه من علاقتها بذلك القريب العاصب.

ب ـ وحين يموت أحد الأشخاص ولم يكن قد تزوج من قبل فان أحد أقربائه العاصبين ينبغى أن يقوم بعملية «ايقاظه» بأن يتزوج باسم ذلك الرجل الذى مات أمراة تلد له أولادا (١٠).

فالوالد المنجب (الأب الفيزيقي) هو ذلك الذى قام بعملية «الانجاب» الفعلية، لكن انتماء الأولاد من العلاقة بين الأم وذلك الشخص المنجب يكون للرجل الميت (الأب الاجتماعي) فيعتبرون ـ باقرار المجتمع واعترافه ـ أولادا شرعيين له ويحملون اسمه ويرثون مكانته الاجتماعية وثروته كما لو كان هو فعلا الذى أنجبهم. وهناك أيضا الزواج الليفيراتى Levirate الذى يقصد به أن يعيش القريب العاصب للزوج الذى مات، مع أرملة الأخير وأولاده وأن ينجب من الأرملة أولاداً آخرين باسم الرجل الميت ، وبذلك يظل هذا الأخير زوجا لأرملته وأبا لأولادها التالين ، رغم أنه لم يكون هو والدهم الفيزيقي.

وتستطيع المرأة الغنية أو المهمة أن تتزوج امرأة أخرى (زوجة) باعطائها مهرا فتصير الأولى «أبا اجتماعيا» للأولاد الذين تنجبهم تلك الزوجة عن طريق اتصالها بأحد أقارب « المرأة الزوج» ، وينتسب الأولاد بذلك للجماعة القرابية التى تنتمى اليها تلك المرأة الزوج كما لو كانت رجلا.

كذلك تستطيع الابنة الكبرى لرجل مات دون ابن أن تتزوج زوجة أو عددا من الزوجات وتعهد لعضو من جماعة أبيها القرابية بأن يدخل بهن بشرط أن ينتسب الأولاد الناتجين من تلك العلاقة الى والدها المتوفى (١١).

هذه بعض الأمثلة ، توضح أن القرابة لها جانبها الاجتماعى فى مثل تلك المجتمعات والذى ينبغى عدم اهماله أو التهوين من شأنه، وأن العلاقة الفيزيقية ليست دائما مطابقة للعلاقة الاجتماعية التى تقوم بين رجل وأولاده.

*****

لقد اهتم علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية اهتماما كبيرا بتحليل أنساق القرابة فى المجتمعات البسيطة والتقليدية، كما حاولوا النهوض بالدراسة المقارنة للقرابة فيها. ومن الطبيعى أن يعكس هذا الاهتمام وتلك المحاولات حقيقة هامة هى أن القرابة تحتل أهمية كبيرة فى تلك المجتمعات، وهو عكس الحال فى المجتمعات الصناعية الحديثة (الأكبر حجما والأعقد تنظيما)، حيث لا تمارس القرابة تأثيرا أساسيا على البناء الاجتماعي، فهى تلعب دورا ضئيلا فى تلك المجتمعات بحيث يمكن القول بأنها قد فقدت الكثير من أهميتها ونطاقها (١٢). ففى المجتمعات البسيطة والتقليدية تعد القرابة العامل الأساسى فى تحقيق الوحدة الاجتماعية، وهى الاطار الذى من خلاله يعهد المجتمع الى الفرد بوظائف سياسية واقتصادية، ويمنحه حقوقاً ويطالبه بتأدية التزامات ويمده بالمساعدات المختلفة (١٣).

فالقرابة هى ـ باختصار ـ نوع من الترتيب الذى يتيح لأعضاء المجتمع أن يعيشوا سويا ويتعاونوا فى حياة إجتماعية منظمة (١٤).

وتتفرع موضوعات القرابة فى المجتمعات التى يهتم الأنثروبولوجيون بدراستها وتتشابك الى حد بعيد، نظرا لما يعتريها من عناصر كثيرة وعوامل متنوعة، تؤدى الى ظهور نظم وعلاقات اجتماعية بعيدة كل البعد عن تلك النظم والعلاقات المألوفة فى المجتمعات الصناعية المتقدمة.

وفى الوقت الذى يجب التأكيد فيه على أن القرابة لا يمكن فهمها بمعزل عن

الأنساق الاجتماعية الأخرى التى تدخل فى تكوين البناء الاجتماعى للمجتمعات البسيطة (١٥) فان الوسيلة المضمونة والملائمة لدراسة البناء الاجتماعى نفسه فى تلك المجتمعات هى البدء بتحليل القرابة وتتبع العلاقات المتبادلة بينها وبين بقية الانساق التى تشترك معها فى تكوين ذلك البناء (١٦).

لذا فانه لدراسة القرابة وأنساقها ينبغى النظر اليها من حيث هى شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي، وأنها تقسم المجتمع الى جماعات متمايزة من الناس، لكنها فى نفس الوقت تربط أعضاء كل جماعة منها بروابط من نوع معين هى التى نسميها روابط القرابه Kinship Ties كما أن هذه الجماعات ذاتها قد ترتبط احداها بالاخرى بروابط من نفس النوع(١٧).

وعليه ، فان دراسة القرابة تستلزم منذ البداية الوقوف على الجماعات التى تظهر داخل المجتمع، وتقوم بين أعضائها تلك الروابط التى ننعتها بروابط القرابة، وكذلك التعرف على طبيعة هذه العلاقات والدور الذى تلعبه فى الحياة بوجه عام (١٨).

والمقصود بالجماعات القرابية هنا هى تلك الجماعات التى تضم ليس فقط الأقارب المباشرين الذين تقوم بينهم رابطة دم Gonsanguinity عن طريق الانتساب الى ـ أو الانحدار من ـ سلف واحد مشترك، كتلك العلاقات التى تضم الأجداد والآباء والأبناء ـ والتى يترتب عليها ظهور الجماعات العائلية ـ وان كانت تلك العلاقات هى جوهر النظام القرابى كله ـ وانما أيضا تلك الجماعات التى تضم أعضاء آخرين تربطهم علاقات ناجمة عن الزواج فينشأ عنها نظام المصاهرة Affinity كتلك العلاقات التى تربط كلا من الزوج والزوجة بسائر الأقارب الدمويين للطرف الأخر (١٩) والتى لا يمكن إغفالها أو تجاهلها من النسق القرابى.

فحتى وقت قريب كانت القرابة تدرس على أنها القرابة الدموية وحسب ، غير أن تطور الدراسة الأنثروبولوجية للقرابة قد ألقت حديثا الضوء على كلا النظامين معا، أى نظام القرابة الدموية ونظام القرابة عن طريق المصاهرة (٢٠).

وكلا النظامين تضمهما شبكة واسعة من العلاقات الاجتماعية تتجاوز بكثير تلك العلاقات المحدودة التى تربط بين زوجين (٢١) أو أبوين وأولادهما (٢٢) خصوصا فى تلك المجتمعات البسيطة التى يهتم بها الأنثروبولوجيون ، حيث تمتد روابط القرابة الى ما وراء حدود الأسرة الزوجية Conjugal Family أو الأسرة النووية Nuclear Family وتؤلف بناء واحدا متمايزا قد يصل الى درجة كبيرة جدا من التعقيد والتشعب بحيث يشمل معظم ـ ان لم يكن كل ـ أعضاء المجتمع.

لكن ما ينبغى أن نؤكد عليه هنا ـ ودائما ـ هو أن مصطلحى الزواج (والروابط بين الأقارب عن طريق المصاهرة Affinal Kins) والعائلة (والروابط بين الأقارب الدمويين Gansanguine Kins) لا يعنيان شيئا واحدا ، وان كنا نميل للنطق بهما فى نفس واحد (٢٣) وبمصطلح واحد هو مصطلح القرابة، الذى يشير الى مجموعة من العلاقات الاجتماعية المعقدة، والقائمة على أساس واقعة بيولوجية هى الميلاد من ناحية، وظاهرة اجتماعية هى الزواج من الناحية الاخرى (٢٤) ، وكذلك على الرغم من أننا نعترف بأنه من الصعوبة بمكان أن نتجاهل التداخل الشديد القائم بين كلا النظامين ، لدرجة أنه يمكن القول بأن كلا منهما هو سبب ونتيجة للآخر فى آن واحد، وبحيث قد يبدو الفصل بينهما فصلا تعسفيا.

*****

ونسوق فيما يلي بعض أمثلة من الدراسات الإمبيريقية، لنوضح جوانب اهتمام الأنثروبولوجيين الاجتماعيين عند تناولهم بالدراسة العلاقات القرابية في بعض المجتمعات المحلية، مستندين الى أطر نظرية مستقاه من الأدبيات الأنثروبولجية.

* التنظيمات العائلية عند النجونى (جنوب شرقى أفريقيا):

رغم أن العائلة البسيطة أو الأسرة التى تتكون من رجل وامرأة وأولادهما والتى تعتبر أبسط أشكال العائلة توجد فى مجتمعات النجوني، الا أن الرجل فى العادة ـ وبخاصة الموسر أو المهم ـ لا يكتفى بزوجة واحدة، فهو يميل الى الجمع بين أكثر من زوجة فى آن واحد (٢٥) ويظهر من ذلك نمط آخر من أنماط الأسرة يطلق عليه « العائلة المركبة» Compound Family.

وهذان الشكلان من أشكال العائلة (الأسرة البسيطة والعائلة المركبة) ليس هما الشكلين الوحيدين عند النجوني، فحين يكبر الأبناء ويتزوجون قد يحدث أن يأتوا بزوجاتهم (ثم أولادهم) ـ وهذا هو الغالب ـ ليعيشوا فى «كرال» أبيهم، ومن هنا يظهر شكل ثالث من أشكال العائلة هو العائلة الممتدة Extended Family والواقع أن الشكل السائد للعائلة عند النجونى ـ خاصة فيما مضى ـ هو العائلة المركبة والممتدة فى آن واحد ، وهو مايمكن أن نطلق عليها مصطلح العائلة المعقدة Complex Family.

وأهم ما يميز العائلة بصفة عامة عند النجونى أنها تتكون من عدد من الأشخاص (ذكور عاصبين مع زوجاتهم وأولادهم) يعيشون تحت سلطة رب العائلة وهو الأب المؤسس للعائلة، أو أكبر الذكور ذو الأولوية فى خط الانحدار الرئيسى الذى يتبع دائما ـ هنا ـ الخط الأبوى فى حالة عدم وجود المؤسس(٢٦)، ويعرف أعضاؤها بعضهم البعض ويدخلون فى علاقات مباشرة ويؤلفون وحدة متماسكة تتصرف ككل فى شئون الحياة اليومية رغم ما قد يحدث بينهم من خلافات ومنازعات أحيانا، وكذلك رغم ما قد يبدو من استقلال الأقسام المكونة للعائلة.

ويعيش أعضاء العائلة فى كرال Kraal (يطلق عليه بعض الأنثروبولوجيين مصطلح « القرية الصغيرة»). وغالبا يرتبط أعضاء عدد معين من القرى المتجاورة الواحد منهم بالآخر بروابط أبوية ـ رغم أن بينهم أقارب بالمصاهرة أو أقارب عن طريق الأمهات وبعض الأغراب(٢٧) ـ ليكونوا قسما أو جماعة قرابية محلية ، وهى جزء من البدنة أدهى البدنة ذاتها التى(٢٨) يعترف فيها ارباب العائلات بأحدهم كرئيس للبدنة(٢٩) وهو رب العائلة ذو الأولوية فى خط الانحدار الأبوى من الزوجات الرئيسات لمؤسس البدنة ويمكن اعتبار البدنة عائلة ممتدة لعدة أجيال قد يصل عمقها إلى نحو من ستة الى تسعة أجيال (٣٠) ، والمقصود بالعمق هنا عدد الأجيال التى تفصل بين أكبر الرجال البالغين الأحياء ومؤسس البدنة (٣١).

وتماثل الجماعة القرابية المحلية أو البدنة العائلة فى سماتها وإن كانت كل منهما ـ وبخاصة البدنة ـ لا تؤلف وحدة متعاونة متماسكة فى الحياة اليومية بنفس الدرجة الموجودة فى العائلة . ولا شك أن هذا التعاون يقل ويضعف بزيادة عدد أعضاء البدنة، وكذلك بانتشار أعضائها عبر أراض بعيدة فى

الوطن. لكن على العموم تعتبر الجماعات والبدنات وحدات قرابية مقيمة ، تشغل عددا من القرى المتجاورة مكونة جيرة واحدة ويستخدم أعضاؤها نفس الأرض والمرعي، كما أنهم يتعاونون ويستشيرون بعضهم فى أمورهم الشخصية، ويفصلون فى منازعاتهم بأنفسهم دون تدخل من الغير فى الأغلب،. وتوجد الجماعة أو القسم حتى حين تنقسم قراها المؤسسة بوساطة الحدود السياسية بين أقاليم الوطن وأقاليم الأوطان الأخرى(٣٢). ومن مجموع عدد من تلك البدنات تتكون العشيرة Clan(٣٣) التى يمكن اعتبارها تنظيما أكبر من البدنات لكنها لا تمثل ـ على الأقل فى الوقت الحالى ـ تمركزا اقليميا ـ لأن أعضاء العشائر كانوا يهاجرون باستمرار اما تحت ضغط الجماعات الأخرى أو بسب زيادة عدد السكان أو نتيجة الانقسامات الداخلية ـ وانما يربط فقط بين أعضائها الاسم المشترك لها وأغنيتها المقدسة وطقوس تقديم الأضحيات للأسلاف فضلا عن اتباعها قاعدة الاكسوجامية(٣٤) عند زواج أعضائها . ويلتزم أعضاؤها قبل بعضهم البعض بحقوق والتزامات معينة تماثل تلك التى تقوم بين أعضاء البدنة مثل كرم الضيافة والمساعدة ، كما أن أعضاءها يمكنهم أن يشربوا اللبن فى مساكن بعضهم البعض باعتبار أن اللبن يرمزالى العلاقات الأسرية الحميمة(٣٥).

★ ـ الزواج عند النجوني:

الخطوة الأولى لتكوين الأسرة هى الزواج، وعن طريقه تنتقل الفتاة من الاقامة مع جماعتها القرابية الى جماعة الزوجPatrilocality ، ولأن الزواج فى مجتمعات النجونى يتبع قاعدة الإكسوجامية، فإن أحدا لا يستطيع أن يتزوج من عشيرة أبيه أو من أقارب عاصبين معروفين أو محددين جينولوجيا حتى الجيل الرابع على الأقل بل إن الرجل أيضا لا يستطيع أن يتزوج من عشيرة

جدته لأبيه على الرغم من أنها من بدنة مختلفة، لكن يمكنه أن يتزوج من عشيرة الجدة الثالثة لأبية (أم أم أم الأب) لأنه لا يستطيع أن يتتبع فيها بسهولة الروابط القرابية، كذلك لا يستطيع أن يتزوج من بدنة أمه(٣٦).

ولكى يتم الزواج ويكون شرعيا (أى يعترف به المجتمع ويقره) لابد من دفع المهر(٣٧) الذى يتألف من عدد من الأبقار يتحدد وفقا للتقاليد بإحدى عشرة بقرة (بالنسبة للرجل العادي) تدفع مرة واحدة. ويشير هيروسكوفيتز(٣٨) الى أن كمية المهر المعطاه لابنة الرجل العادى كانت قديما تصل الى نحو ٢٥ رأسا من الماشية، وترتفع الى نحو ٥٠ رأسا بالنسبة لابنة الرجل الموسر أو ابنة الرئيس. وكلما ازدادت كمية المهر كلما كان ذلك دليلاً على علو المركز الاجتماعى للزوجة ولأهلها.

وبمقتضى المهر تتخلى جماعة الزوج عن ذلك العد دمن الأبقار لجماعة الزوجة (٣٩)، فالمهر هو العنصر الجوهرى للتمييز بين الزواج الشرعى وبين العلاقات الجنسية الأخرى التى لا تدخل فى دائرة الزواج (٤٠) ومن ناحية أخرى يستتبع دفع المهر انتقال كثير من الحقوق التى يتمتع بها أهل الفتاه عليها الى الزوج وأهله، ومعظمها حقوق تتعلق بأمورغير مادية (كالخدمات المنزلية التى ينبغى أن تؤديها الزوجة وكذلك حق الاتصال الجنسى للزوج بزوجته (٤١) والانجاب وان كان لكل ذلك جانبه الاقتصادى بغير شك، لكنها أمور لايمكن تقديرها تقديرا ماديا دقيقا)(٤٢) ، فالفتاه قبل الزواج تكون منتمية الى أبيها (أو وصيها: عمها أو أخيها اذا كان والدها متوفيا) والى عشيرته، ولأعضاء تلك العشيرة (أو لجماعتها القرابية العاصبة بمعنى أدق) ـ الى جانب حقوقهم فى الخدمات التى تؤديها لهم كالخدمات المنزلية مثلا ـ التزامات معينة تجاهها ضد أى اعتداء شخصى عليها مثل الإغواء أو الاغتصاب أو التشويه أو القتل ، فهذا

الضرر يقع ليس فقط عليها بل وأيضا يكون موجها ضد أقربائها العاصبين، وفى المقابل يكون لهم حق التعويض ، فيستطيع الأب أو الوصى أن يقيم دعوى تعويض أمام الرئيس عن الضرر المرتكب فى حق الفتاه(٤٣)، ولكن بموجب حصول جماعتها القرابية على المهر (عند زواجها) فانهم يتنازلون عن الجزء الأكبر من تلك الحقوق على الفتاه والتزاماتهم تجاهها الى زوجها وجماعته العاصبة. وعلى ذلك فان المهر ليس فقط هو تعويض عن الخدمات التى تؤديها الفتاه قبل الزواج لجماعتها العاصبة، وانما هو أيضا تعويض عن تنازل تلك الجماعة عن تلك الحقوق والالتزامات(٤٤). ومن ناحية ثالثة يعتبر المهر اجراء بمقتضاه ينال الشخص الذى قدم الماشية لأهل الفتاه حقوقا غير قابلة للجدل، وأهم هذه الحقوق هو حق انتماء كل أولاد تلك الفتاه ـ بعد الزواج ـ اليه والى جماعته العاصبة حتى بعد موت ذلك الزوج (٤٥).

وهناك مبدئان أساسيان يدوران حول نفس المعني:

المبدأ الأول : هو أن الماشية تنجب الأطفال.

والمبدأ الثاني: هو أن الأولاد يوجدون حيث لا توجد الماشية (٤٦).

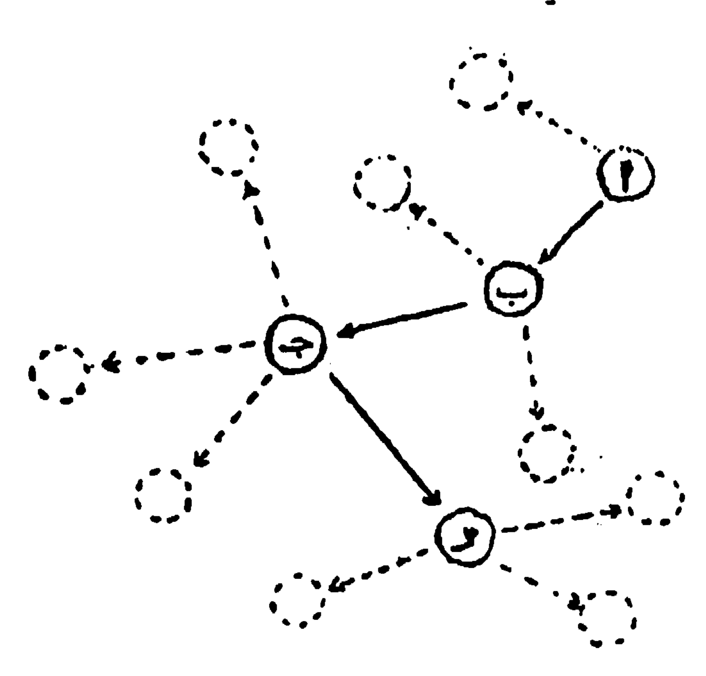
فلكى يحصل الرجل عند النجونى على أولاد باسمه ينبغى أن يتخلى عن قدر من الماشية لجماعة الفتاه التى يتزوجها، وبذلك تقل الماشية فى جانب أهل الزوج بينما تزيد فى الجانب الآخر (جانب أهل الزوجة)، ومع ذلك فقد كان الرجل يعتز بإعطاء اكبر قدر من الماشية لأهل الفتاه التى اختارها ، وكان ذلك أدعى لاغتباط عائلتها بالطبع (٤٧).

ومما يعزز من الحقيقة القائلة بأن المهر هو المقابل للأولاد أن الفتاه حتى بعد انتقالها من محل اقامة جماعتها القرابية الى محل اقامة جماعة الزوج وانتفاع أعضاء الجماعة الأخيرة بخدماتها واكتسابهم حقوقا تخولها لهم عضويتها

الجديدة بينهم وحرمان أعضاء جماعتها العاصبة من تلك الحقوق والخدمات فان المهر لا يصير ملكا خالصا لها ولا لجماعتها القرابية الا بشرط معين هو أن المرأة ينبغى أن تنجب أولادا، والاكان الزوج ولجماعته حق المطالبة برد المهر(٤٨) ان القيمة الكبرى للمرأة عندهم هى أنها «أم» فليس هناك أسوأمن المرأة العاقر (٤٩) . فالزوجة التى لا تلد ترد الى أهلها ويرد المهر - وأية هدايا أو مدفوعات أخرى يمكن حصرها ـ إلى أهل الزوج (٥٠) . بل وحتى إن وقع الطلاق لزوجة أم، ورغب الزوج ـ وهذا هو المعتاد فى مثل تلك الحالة ـ فى الاحتفاظ بالأولاد، هو أن أهل الزوجة يجب أن يردوا جزء من المهر إن قل عدد الأولاد عن ثلاثة(٥١) إن المهر بذلك هو المقابل الحقيقى للأولاد، وربما مايؤكد تلك الحقيقة أيضا هو إن أهل الزوجة غالبا ما يعوضون الزوج عن المرأة العاقر أو التى ماتت دون إنجاب بإحلال أختها الصغرى محلها أو مشاركتها لها نفس الزوج دون أن يدفع فيهامهرا جديدا(٥٢) فتنجب له أولادا ينتسبون إليه، وفى نفس الوقت يعتبرون أولادا للزوجة التى دفع فيها المهر (الأخت الكبري) على الرغم من أنها ليست هى الأم الفعلية، فإن لم تنجب تلك الزوجة الجديدة أولادا كذلك فإن أهلها ينبغى أن يردوا للزوج المهر الذى دفعه فى أختها التى حلت هى محلها(٥٣).

لكن هناك وظيفة للمهر أهم بكثير من مجرد اعتباره عملية تعويض لأهل الزوجة عن الخدمات والحقوق التى تنقل الى الزوج وجماعته القرابية، أو اعتباره المقابل لحصول الزوج على أولاد ينتسبون إليه وإلى جماعته القرابية العاصبة، والذين كان من المفروض أن ينتسبوا إلى الجماعة العاصبة للزوجة او لم يتم ذلك الزواج. هذه الوظيفة هى اعتبار المهر عاملا من عوامل خلق وتوكيد (أواستمرار) روابط وصلات بين عائلات مختلفة، وسببا فى انعدام أو على الأقل انخفاض نسبة الطلاق فى تلك المجتمعات.

ولتفسير ذلك ينبغى تتبع حركة ماشية المهر . فالماشية التى يحصل عليها الأب عند زواج بناته، وإن كانت تعتبر ملكا خالصا لذلك الأب، يمكن لأبنائه وفقا لأولويات معينة ـ سيأتى ذكرها عند الحديث عن نظام الإرث ـ أن يستخدموها فى الحصول على زوجات لهم ـ أو يستخدمها الأب أيضا فى الحصول على زوجة جديدة له ـ بتقديمها مهورا لعائلات وبدنات أخرى (هى عائلات وبدنات الزوجات)(٥٤)، وبذلك تنتقل الماشية من العائلة الأولى إلى عائلة ـ أو عائلات ـ أخرى جديدة ، ثم عند زواج الإخوة فى العائلات الجديدة تنتقل الماشية الى عائلات أخرى مرة ثالثة وهكذا . وبذلك تتوزع الماشية وتنتشر فى دوائر كثيرة يصعب فى وقت ما ـ بتعدد الزيجات التى تتم عن طريقها ـ تتبع حركتها وهو ما يوضحه الشكل التالي:



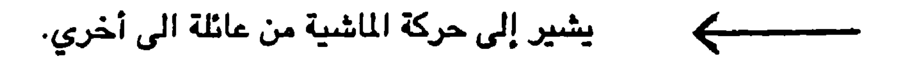
حركة ماشية المهر

أ ـ عائلة العروس.

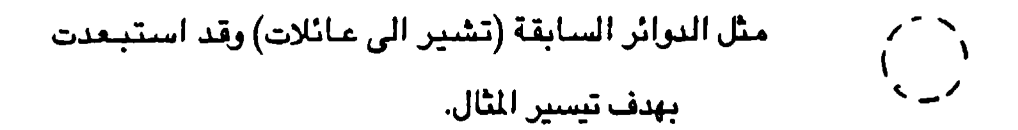
ب ـ عائلة زوجة أخى العروس

جـ ـ عائلة زوجة أخى زوجة أخى العروس.

د ـ عائلة زوجة أخى زوجة أخى زوجة أخى العروس.،



يشير إلى حركة الماشية من عائلة الى أخري.



مثل الدوائر السابقة (تشير الى عائلات) وقد استبعدت بهدف تيسير المثال.

- - - -> كالسهم السابق (يشير الى حركة الماشية) وقد استبعد بغرض تيسر المثال.

ويتضح من هذا الشكل:

١ ـ أن الماشية تحركت من الدائرة (أ) التى تزوج فيها شخص إحدى فتياتها (العروس) الى عدة دوائر من بينها الدائرة (ب) وذلك بزواج أحد إخوة العروس.

٢ ـ ومن الدائرة (ب) انتقلت الماشية الى عدة دوائر أخرى ـ من بينها الدائرة (جـ) ثم الى الدائرة (د) ... وهكذا (وذلك طريق زواج الإخوة دائما).

فاذا طلب الزوج الأول ـ فى حالة وقوع طلاق أو اذا كانت زوجته عاقرا أو ماتت دون ولد ـ رد ماشيته من الدائرة (أ) التى سبق أن حصل منها على

زوجة، فان جماعة الزوجة العاصبة (أ) يصعب عليها أن تجمع الماشية مرة أخرى لأنها توزعت وتفرقت بالشكل المشار اليه ، ويزداد الأمر صعوبة اذا ما أصر الزوج على استرداد نفس ماشيته التى قدمها مهرا. ومن هنا فان أهل الزوجة يفضلون ـ بل قد يضطروا ـ الى تعويض الزوج باحدى فتياتهم ـ هى فى الأغلب الأخت الصغرى لزوجته ـ بدلاً من رد المهر اليه (٥٥).

والواقع ليس فقط أن عائلة الزوجة أو جماعتها العاصبة هى التى تحبذ عدم رد الماشية، وانما أيضا كل العائلات التى حصلت على جزء من ماشية مهر الزوج لأنها حتما ستتأثر برد المهر اليه.

وربما من الأسباب التى جعلت الطلاق غير مستحب فى مثل تلك المجتمعات أنه يؤدى الى رد ماشية المهر التى يصعب بحق جمعها من كل تلك العائلات. ومن هنا يمكن تفسير ما جاء به جلوكمان(٥٦) فى دراساته لبعض تلك المجتمعات من معلومات فى هذا الصدد وأهمها:

«.. إن الطلاق ـ في تلك المجتمعات ـ نادر جدا ، بل يكاد يكون منعدما ـ ونادرا جدا ما يسعي الزوج أو الزوجة ـ علي الأخص ـ الي الطلاق، والحالة الوحيدة التي تدفع الزوجة الي طلب الطلاق هي أن يكون الزوج قاسيا جدا لدرجة لاتحتمل .. وعلي العموم فان الطلاق لا يشكل مشكلة اجتماعية عندهم..»

فاذا كان المهر قد أدى منذ البداية الى خلق صلات وروابط بين عائلتين ـ وليس شخصين ـ هما عائلتا الزوجين (٥٧)، فانه يعمل أيضا على تدعيم واستمرار تلك الصلات والروابط، وفى نفس الوقت يكون قد أدى الى خلق وتدعيم روابط وصلات أخرى بين العائلات التى توزع بينها، وإن كان ذلك يتم

بطريق غير مباشر. وفى ذلك يسوق لناماكس جلوكمان (٥٨) ـ دون أن يفصح عن السبب ـ مقولته: « ان الماشية تجعل العلاقات مستمرة بين العائلات لفترة أطول؛ ».

وربما يخلق المهر أيضا روابط شبه قرابية بين أناس لا يرتبطون ببعضهم بأية روابط أو صلات قرابية أو بالمصاهرة، كما يؤدى فى نفس الوقت الى خلق نمط من السلوك بينهم مماثل لذلك الذى يوجد بين الأقارب، وذلك حين يسهم عدد من الناس فى جمع ماشية المهر التى يتزوج بها أحد الأشخاص المهمين منهم (كالرئيس مثلا). فحين يرغب الرئيس فى الزواج لأول مرة فان رؤساء الجماعات الاجتماعية التى يرأسها ينبغى أن يسهموا فى جمع ماشية المهر التى يدفعها الرئيس للمرأة التى يرغب فى زواجها، وبذلك يصير أولاده من تلك الزوجة بمثابة أولاد لأولئك الناس، ويتوقع منهم أن يسلكوا حيالهم كما يفعلوا مع أبيهم الحقيقي. وربما يفسر ذلك ما يحدث فى مجتمع الزولو ـ وهو أحد مجتمعات النجونى ـ من أن الناس يتحدثون الى أى رئيس سياسى منهم باعتباره أبا لهم، وعلاقته بهم تماثل تلك التى بينه وبين أولاده الحقيقيين. كذلك حين يصل الرئيس عندهم الى مركز الحكم لأول مرة يقال له « انهم أهل أبيك، فاعتن بهم جيدا » (٥٩).

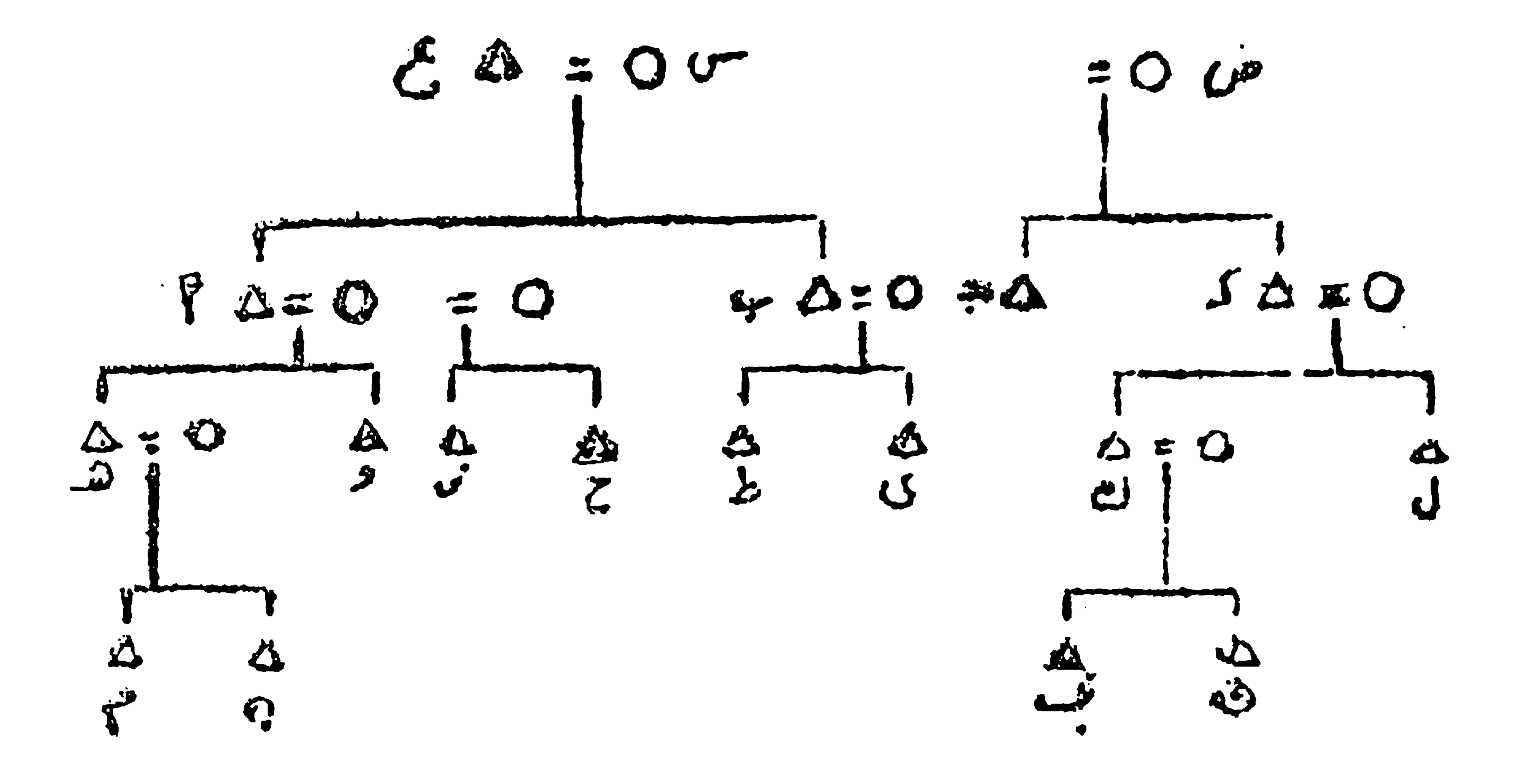
وبذلك يكون المهر قد خلق علاقات بين أعضاء المجتمع تماثل تلك التى بين الأقارب، ويتوقع أن يسلك الجميع حيال بعضهم البعض كما يسلك الأقارب فيما بينهم.

*****

وباتمام الزواج وانجاب الأطفال تصبح هناك شبكة واسعة من الروابط والصلات، ليس فحسب بين أعضاء الأسرة المباشرين (الزوج والزوجة ـ أو الزوجات ـ والأولاد) بعضهم وبعض، بل وأيضا بين هؤلاء الأشخاص وأعضاء الجماعة القرابية لكل من الزوج والزوجة ـ أو الزوجات ـ وتتعدد وتتمايز الحقوق والالتزامات تجاه بعضهم البعض.

والواقع أن هناك تفاوتا كبيرا فى المكانة الاجتماعية التى يتمتع بها كل عضو من الأعضاء فى العائلة. فرب الأسرة يتمتع بأعلى مكانة اجتماعية، وتتلخص العلاقة التى تقوم بينه وبين أى شخص فى الأسرة في أنها علاقة تسلط وسيطرة من ناحية وخضوع وطاعة من الناحية الآخري. وتعتبر الزوجة الرئيسية ذات منزلة أعلى بالنسبة للزوجات الأخريات، تليها الزوجة الثانية فالثالثة. أما الزوجات المنجبات (إن وجدن) فيعتبرن بمثابة الفروع أو التابعات لكل من هؤلاء الزوجات. كما أن المنزلة الاجتماعية التي تحتلها كل زوجة تنعكس علي مراكز أولادها(٦٠) ، كذلك يوجد تفاوت بين الأفراد في العائلة بحسب السن والجنس.

ويتعدد الأعضاء الذين يكونون العائلة تتعقد العلاقات بينهم أشد التعقيد. ولنتعرف الآن ـ عن طريق الشكل التالي ـ علي أعضاء إحدي العائلات المعقدة لتوضيح كل ذلك:


ع س ص
م ب ك
ش و ن ج ط ى ل

الرجل ع تزوج من المرأة س أولا (س هى الزوجة الأولى «الرئيسية») ، تزوج من المرأة ص بعد ذلك (الزوجة الثانية)

وأنجب من س الأبناء أ ، ب

ومن ص الأبناء جـ، د

ثم تزوج الابن أ وأنجب من زوجته الابناء هـ، و، ز ، ح (على الترتيب)

، تزوج الابن ب وأنجب من زوجته الأبناء ط ، ي

، تزوج الابن د وأنجب من زوجته الأبناء ك ، ل

ثم تزوج الحفيد ك وأنجب من زوجته الأبناء ى، ق وكذلك الحفيد هـ وأنجب م،ن.

اولا: بالنسبة لترتيب المكانة (للزوجات والابناء)*

الزوجة س > الزوجة ص بحسب أولوية الزواج وكل من س، ص > زوجات الأبناء والأحفاد، اللائى يرتبن أيضا فيما بينهن بحسب الأولوية الخاصة بأزواجهن .

الجيل الاول من الابناء:

أ، ب > جـ ، د(بحسب أولوية مكانة الأمهات المشتقة من أولوية زواجهن)

لكن أ > ب (بحسب أولوية الميلاد)

، جـ > د (بحسب أولوية الميلاد)

∴ الترتيب النهائى لأبناء هذا الجيل هو : أ > ب > جـ > د

---

* العلامة > تعنى : له أولها أو لهم أو لهن الأولوية علي...

الجيل الثانى من الأبناء:

أعضاء الجيل الأول يورثون أبناءهم نفس أولوياتهم، مع وضع أولويات الزواج ومكانة الأمهات والميلاد فى الاعتبار:

هـ ، و ، ز، ح ، ط ، ى > ك، ل (بحسب أولويات آبائهم المشتقة من أولويات أمهاتهم)

لكن هـ ، و ، ز، ح > ط، ى (بحسب أولويات آبائهم المشتقة من أولويات ميلادهم)

، هـ ، و > ز ، ح (بحسب أولويات مكانة أمهاتهم المشتقة من أولويات زواجهن)

، هـ > و (بحسب أولويات الميلاد)

، ز > ح (بحسب أولويات الميلاد)

، ط > ى (بحسب أولويات الميلاد)

، ك > ل (بحسب أولويات الميلاد)

∴ الترتيب النهائى لأبناء الجيل الثانى هو:

هـ > و > ز > ح > ط > ى > ك > ل

الجيل الثالث من الابناء:

أعضاء الجيل الثانى يورثون أبناءهم نفس أولوياتهم مع وضع أولويات الزواج ومكانة الأمهات والميلاد والآباء فى الاعتبار:

م ، ن > ف ، ق (بحسب أولويات أمهاتهم)

، م > ن (بحسب أولويات الميلاد)

، ف > ق (بحسب أولويات الميلاد)

∴ الترتيب النهائى لابناء الجيل الثالث هو:

م > ن > ف > ق

ويحسب أولوية ألأجيال يكون الترتيب النهائى لأولويات كل الأبناء فى تلك العائلة هو : أ > ب > جـ > د > هـ > و > ز > ح > ط >

ى > ك > ل > م > ن > ف > ق

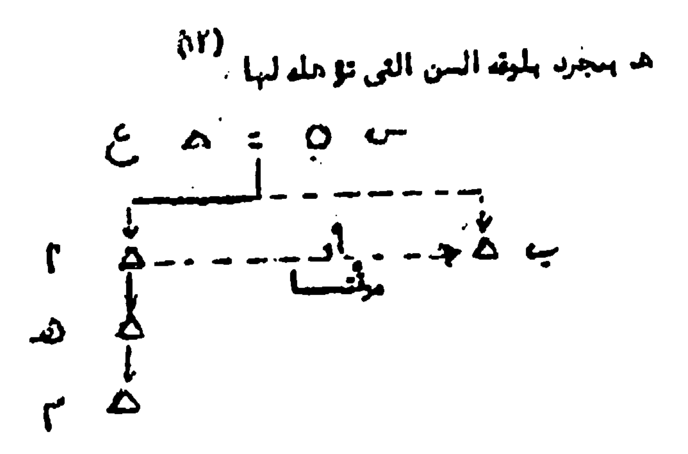
وقد استبعد من المثال كل الإناث (باستثناء الزوجات نظرا لأهميتهن فى التوضيح) لأنهن لا يدخلن فى ترتيب أولويات المكانة الا بحسب السن فيما بينهن فقط، ويعتبرن جميعا أقل مكانة بالنسبة للذكور، ثم يستبعد تماما عند زواجهن(٦١)

ثانيا: بالنسبة لترتيب الإرث (الخلافة فى مركز الرئاسة ووراثة الممتلكات):

(مع ملاحظة أن الأولاد أعضاء فى بدنة أبيهم (زوج الأم) ومن ثم فإن كل حقوق وراثتهم تبقى فيها، ما لم يكن أحدهم طفلا غير شرعى أو لم يعترف به الأب الفيزيقى ولم يدفع لأمه مهرا، فيبقى فى هذه الحالة منتميا لبدنة أمه وتبقى حقوق وراثته فيها، أى أن حقوق الإرث الشرعى - أيا كان - تتبع الخط الأبوى العاصب فى ذلك المجتمع)(٦٣)

(أ) الخلافة فى مركز الرئاسة:

يختلف الحال فيما يتعلق بخلافة مركز رب العائلة عند موته عما بدا عند عرض ترتيب المكانة الاجتماعية. فالوريث الشرعى لمركز رب العائلة هو (دائما) الإبن الأكبر الحى من زوجته الرئيسية، وفى مثالنا يكون ذلك الوريث هو (أ) ، ثم يليه فى الوراثة مباشرة عندموته (هـ) وليس (ب) الذى له مكانة ثانية دائما بالنسبة لـ (أ). وهذا منطقى لأن رب العائلة (آنذاك) هو (أ) فيجب - بناء على مبدأ أن الوريث هو الابن الاكبر الحى لزوجة رب العائلة الرئيسية - أن يرثه إبنه الأكبر الحى من زوجته الرئيسية وهو (هـ) وطبيعى أن الذى يرث (هـ) بعد ذلك هو (م) . لكن ربما يكون (هـ) مثلا صغيرا حين مات (أ) - فى هذه الحالة فقط ينتقل مركز الرئاسة (مؤقتا) الى (ب) ذى الأولوية الثانية بعد (أ) الذى مات. لكن المتوقع دائما أن تعود الرئاسة ثانية الى الوريث الشرعى هـ بمجرد بلوغه السن التى تؤهله لها (٦٣)

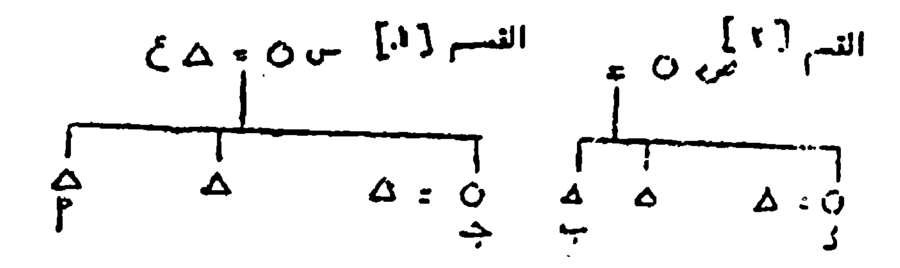


(الخلافة فى مركز الرئاسة)

من هنا يتضح أن رب العائله ليس دائما هو أكبر الذكورسنا فى العائلة فمركز الرئاسة فى العائلات لا يتوقف على السن بقدر ما يتوقف على أولوية الخلافة. وربما ذلك هو أحد الأسباب الجوهرية لانشقاق الأسر البسيطة عن العائلة الكبيرة لتكوين عائلات مستقلة باستمرار، كما هو الحال مثلا حين يرفض أحد الإخوة الخضوع للرئاسة التى آلت الى الاخ غير الشقيق (من أم أخري) الذى يصغره سنا بسبب قاعدة الأولوية فى الخلافة (٦٤)

(ب) وراثة الممتلكات:

كل قسم من أقسام السكن مستقل اقتصاديا عن الآخر داخل الوحدة الأم (المسكن الكبير) بأوانيه ومخزن حبوبه وحديقته وحقوله وحيواناته الصغيرة ودواجنه ، لكن تلك الأقسام تتحد اقتصاديا معا من جديد فيما يتعلق بالماشية المشتركة بينها جميعا والتى هى أساسا ملك لرب العائلة (٦٥) الذى يخصص لأبنائه عند زواجهم أعدادا منها ليقدموها مهورا لزوجاتهم طبقا لأولويات معينة:



(وراثـة الممتلكـات)

فـاذا تزوجت الابنة (جـ) مـثـلا فـإن مـهـرها يـؤول أسـاسـا الى أبيـهـا (ع) الذى يستطيع أن يتصرف فيه كيفما شاء ، فيمكنه مثلا أن يتـزوج عن طـريقـه زوجـة جـديدة، التى تكـون فى هذه الحـالة تابعـة للقـسم الذى أتى منه مـهـر زواجها (وهو «١»)، والمفـروض (الى جانب ما سبق) أن يوزع الأب ماشية مهر ابنته (جـ) كالتالي:

يكون للابن أ (وهو ذو الأولوية فى القـسم «١») الحق فى الزواج عن طريق ماشية مهر أختـه الشقيقة (جـ) (الى جانب ما يدفـعه الأب من ماشيه) وإذا تزوجت الابنه (د) فإن مهرها يؤول أيضا إلى أبيها (ع) . فـاذا تزوج (ع) فـان الزوجة الجديدة تكون تابعة للقسم «٢» الذى أتى منه مـهر زواجها. واذا وزع الأب ماشية المهر على ابنائه فإن من حق الابن (أ) [وهو ذو الأولوية الرئيسية فى العائلة بعد الأب] أن يتزوج من ماشية مهر أخته غير الشقيقة (د) وكذلك يكون الابن (ب) [وهو ذو الأولوية فى القسم٢] أن يتزوج من ماشية مهر أخته الشقيقـة د (الـى جانـب ما يدفـعه الأب). واذا ماتت الزوجة (س) فإن لأولادها

(فى قسم ١) دون غيرهم الحق فى كل ممتلكاتها التى كانت تتمتع بها فى حياتها . واذا ماتت الزوجة ص يحدث نفس الشئ بالنسبة لأولادها (فى قسم ٢) دون غيرهم.

أما اذا مات رب العائلة وهو محور الاهتمام فى العائلة كلها، فإن خليفته فى الرئاسة أ [الابن الأكبر للزوجة الرئيسية] يتوقع منه أن يبقى على نفس الوضع الذى كان قائما فى حياة رب العائلة الأول. فيكون لكل قسم استقلاله الاقتصادى (بشرط أن تبقى أرامل رب العائلة مقيمات فى أماكنهن التى كانت تشغلنها فى حياته) وفى نفس الوقت يكون متحدا مع الأقسام الأخرى فيما يتعلق بالماشية مع ملاحظة أن مالم يوزعه رب العائلة فى حياته من ممتلكات على الأقسام التابعة له يصير من حق ذلك الوريث. لكن قد تنشأ خلافات على الماشية، مما يدعو أحيانا الى انشقاق الأسر الأولية فى العائلة الكبيرة، مؤسسة عائلات مستقلة. لكن فى الاغلب ان مثل تلك المسائل تسوى داخليا بين أعضاء العائلة وأحيانا بالاستعانة برئيس المنطقة

ثالثا: المنازعات:

اذا قامت منازعات بين أعضاء العائلة الكبيرة فان رب العائلة هو الذى يقوم بحسمها .لكن قبل أن يقرر رب العائلة الحل الذى يجب أن يرتضيه الجميع قد تكون هناك خطوات لحسم الموضوع من خلال أعضاء المسكن أنفسهم على أساس المكانة التى يتمتع بها كل منهم بالنسبة للآخر كما يتضح من المثال التالى :

يتدخل هـ مثلا لفض النزاع الذى ينشب بين ، و، ز أو و، ح أو ز، ح

فان لم يوفق فإن الذى يتدخل هو أ. و على العموم فان رب العائلة ع هو الذى له الكلمة الأخيرة فى حسم أى خلاف ويجب أن تطاع كلمته تلك من جميع المنحدرين منه والتابعين له . وأحيانا تنشق بعض الأسر الصغيرةعن الجماعة الكبيرة فى حالة عدم رضا أعضائها عن الحل الذى فرضه رب العائلة.

انماط السلوك:

يلتزم الأب تجاه أولاده بالتزامات أهمها حمايتهم ورعايتهم وتوفير المعيشة لهم من مأكل وملبس واقامة، وعلاجهم عند مرضهم ، وتعليمهم واجباتهم الدينية والمعتقدات، كما يسهم مع الأم فى تعريفهم بأعراف وتقاليد وقيم مجتمعهم ، وهو مسئول عن أخطائهم قبل الغير لذا فهو يعمل دائما على كبح سلوكهم الأهوج، ويساعد الأبناء عند زواجهم بمدهم بماشية المهر ، كما يسهم ببعض الهدايا ليست من الماشية ـ عند زواج بناته، كذلك يمد الأبناء المتزوجين بكوخ خاص وأرض للزراعة (٦٦)

وفى المقابل يتوقع من الأولاد الاعتراف بسلطة والدهم وإطاعتها ، والمساعدة فى أعماله بحسب مقدرتهم، فيرعى الأبناء فى صغرهم الحيوانات الصغيرة وحين يشبون يشتركون فى رعى الماشية، كما أنهم يسهمون مع الأب فى قطع الأشجار وبناء هياكل الأكواخ . كما أنهم ينبغى أن يقوموا على خدمة الوالد فى شيخوخته (٦٧).

وتلتزم الأم تجاه أولادها بإرضاعهم فى الصغر وحمايتهم ورعايتهم وتعليمهم الكلام ثم أعراف وتقاليد وقيم مجتمعهم، كما أنها تطعمهم وتصنع وتنظف ملابسهم وتتوسط لهم قبل الأب فى طلباتهم وهى دائما فى جانبهم حتى بالنسبة للأب (٦٨)

وفى المقابل يتوقع من الأولاد اطاعتها واحترامها ومساعدتها فى أعمالها وبخاصة من جانب البنات سواء فى شئون المنزل اليومية أو فى زرع الحديقة أوالحقل الخاص بها.

أما التزامات الزوج تجاه زوجته فتتلخص فى أنه الراعى لها فى كل شئونها والوصى عليها والمسئول عن كل أفعالها، فالنساء دائما يعتبرن قاصرات .ويمدها بأرض ويساعدها فى تمهيدها للزراعة، وفى بناء الكوخ الخاص بها وأولادها، ويزودها باحتياجاتها من ملابس وأوانى وأثاث وان كانت هى التى تقوم بصنع، معظم تلك الأشياء ، ويعالجهاعند مرضها (٦٩).

وفى المقابل فان الزوجة ينبغى أن تطيع زوجها وتحترمه وأن تقدم له ولضيوفه الطعام وتصنع وتنظف ملابسه وتقوم بكل الاعمال المنزلية التى توفر له سبل الراحة .

أما العلاقة بين الزوجات المشاركات لرجل واحد فتتسم بالحذر والحقد فضلا عن أنها تخلو من أى معنى للتعاون فيما بينهن، ما لم تكن تلك الزوجات أخوات (Sororate) وكثيرا ما يتهمن بعضهن بالسحر والحسد والواقع أن هذه العلاقة الحذرة المتسمة بالحقد لا تقتصر على الزوجات المشاركات فحسب بل وأيضا تكون قائمة عموما بين نساء المسكن غير الأخوات. فنجدها مثلا بين زوجات الإخوة بعضهن وبعض وبين زوجة الابن وأمه (حماتها). وربما كانت هذه العلاقة هى السبب (أو أحد الأسباب) فى تفضيل أحد الأبناء المتزوجين فى العائلة الكبيرة الاستقلال بأسرته عن تلك العائلة لتكوين عائلة متميزة يكون هو رئيسها، تجنبا للخلافات .

والنمط السلوكى المتوقع بين الاخوة والأخوات هو احترام البنات دائما

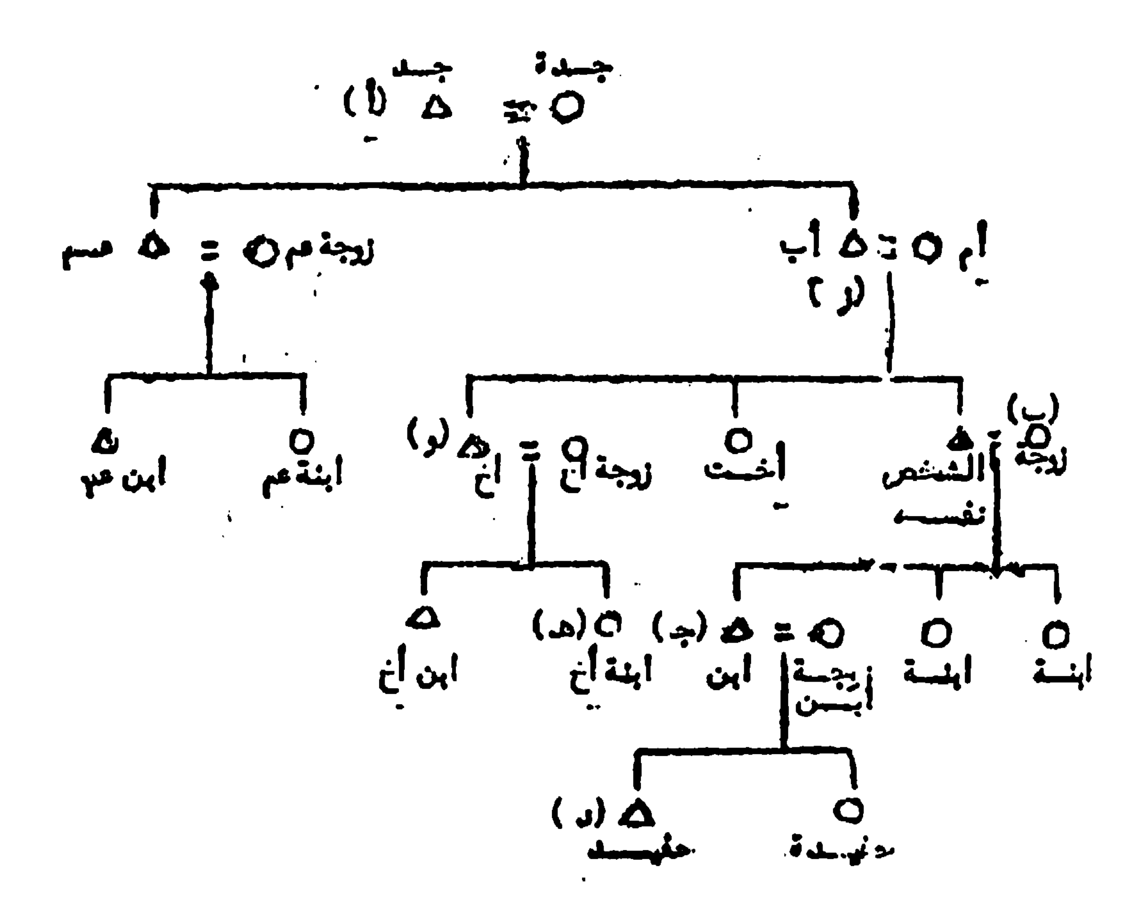
للذكور بصرف النظر عن اعتبارات السن لأن الاناث أقل مكانة من الذكور عموما(٧٢) وفى فئة الذكور يتوقع أن يحترم الصغير الكبير وأن يعطف الكبير على الصغير ويساعده .وعموما فالعلاقة بين الأخوة والأخوات الأشقاء أقوى من تلك التى بين غير الأشقاء فى نفس العائلة.

أما علاقة الأحفاد بالاجداد فتتصف من ناحية بالاحترام الشديد ومن الناحية الأخرى بالتدليل الزائد . لكن يتوقع دائما أن يكون احترام الأحفاد لأجدادهم عن طريق الأب أشد منه للأجداد عن طريق الأم (٧٣) ربما لأن الأول يعتبرون عاصبين للأحفاد أو على ما يقول ريدر (٧٤) من نفس الدم . وتنسحب هذه العلاقة على بقية الأقارب فى كلا الاتجاهين فتقوى العلاقات بين الأقارب العاصبين (عن طريق الانحدار الأبوى ـ فى خط الذكور) وتفتر نوعا بين الأقارب بالمصاهرة (عن طريق الانحدار فى خط الاناث) بالنسبة لنفس الشخص .

أخيرا فإن هناك علاقة الزوجة بأقارب زوجها وعلاقة الزوج بأقارب زوجته ويكفى هنا عرض علاقات التحاشى والتجنب، فهى أهم ما يميز تلك العلاقات. فمن ناحية ينبغى أن تتجنب «الزوجة» تناول اللبن واللحم فى بيت أهل الزوج قبل أن تؤدى لها المراسيم الخاصة ويدخل بها الزوج، ويجب أن تتحاشى السير فى أماكن الرجال (بعد انتقالها الى مسكن الزوج) وبخاصة فى حظيرة الماشية، وأن تغطى جسدها دائما قبل أصهارها الذكور البالغين، وأن تمتنع عن استخدام أسمائهم الأصلية، وأن تتجنب حماها على وجه الخصوص.، لكن علاقات التحاشى والتقيد تلك تصير أكثر يسرا بإنجابها الأطفال فهى تصبح بذلك أما للقرية وللسكن. ومن ناحية أخرى فان الرجل يتحاشى حماته لكنه يكون معها اكثر حرية من زوجته فى علاقتها بحميها،، وكذلك يكون أكثر حرية

مع أخواتها منها مع إخوته. وهو لا ينبغى أن يتناول فى بيت أهل زوجته اللحم ما لم تذبح له ذبيحة خاصة (٧٥)

ربما تكون هذه هى أهم العلاقات العائلية داخل المسكن (وقد أشير ضمنها الى بعض العلاقات خارج المسكن كعلاقات الأولاد بأجدادهم عن طريق الأم، وعلاقة الزوج بوالدى زوجته) لكنها لم تشمل بالطبع كل العلاقات التى تتعقد وتتداخل أشد التعقيد والتداخل ليس فقط بتعدد أعضاء العائلة الواحدة بل وأيضا باختلاف علاقة الشخص الواحد بغيره . فقد يكون ذلك الشخص زوجا وأبا وابنا وأخا وحفيدا وجدا فى نفس الوقت بالنسبة لأشخاص مختلفين. وبحسب موقعه من غيره تتحدد علاقاته بذلك الغير، وباختلاف الغير تتعدد أنماط سلوكه، كما أن أنماط سلوك الآخرين المتوقعة تجاهه تختلف من شخص الى آخر بحسب العلاقة التى تربطهم به. وربما يوضح الشكل التالى ذلك مع الاكتفاء بالاشارة الى بعض الأقارب فقط بالنسبة لشخص واحد داخل المسكن

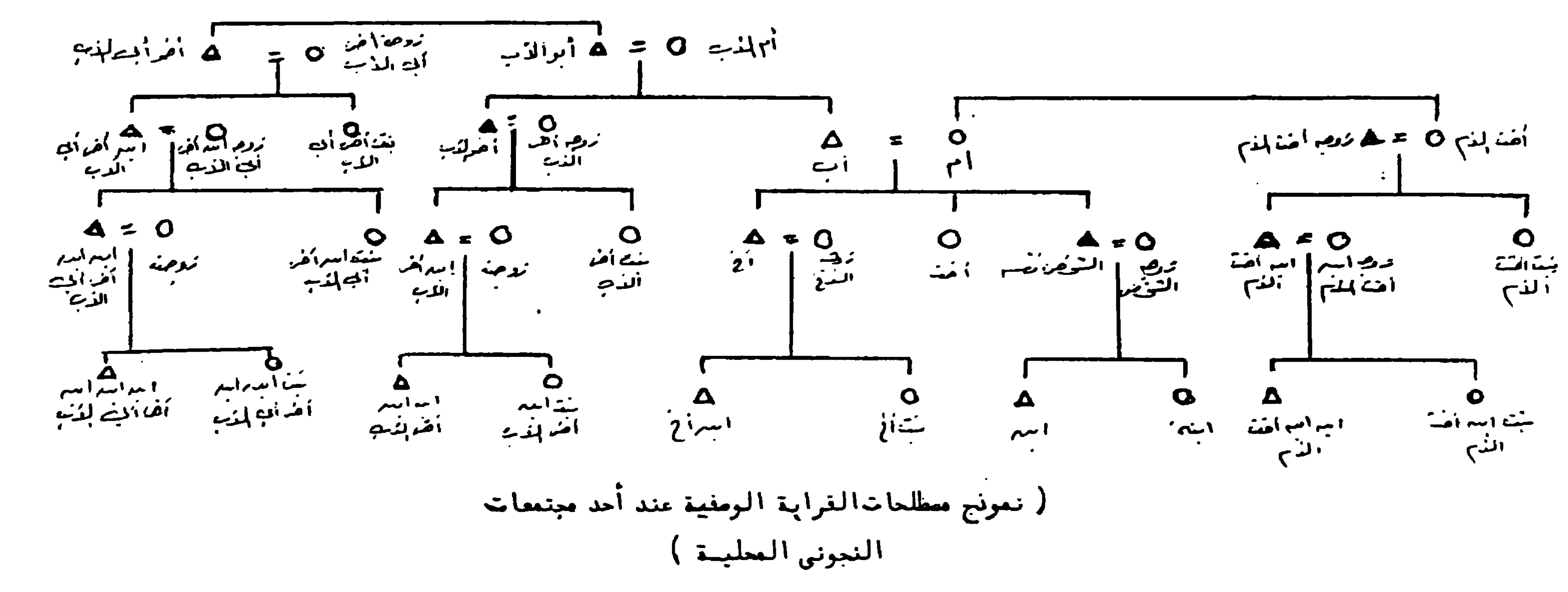


(تعدد العلاقات والأشخاص بالنسبة للفرد)

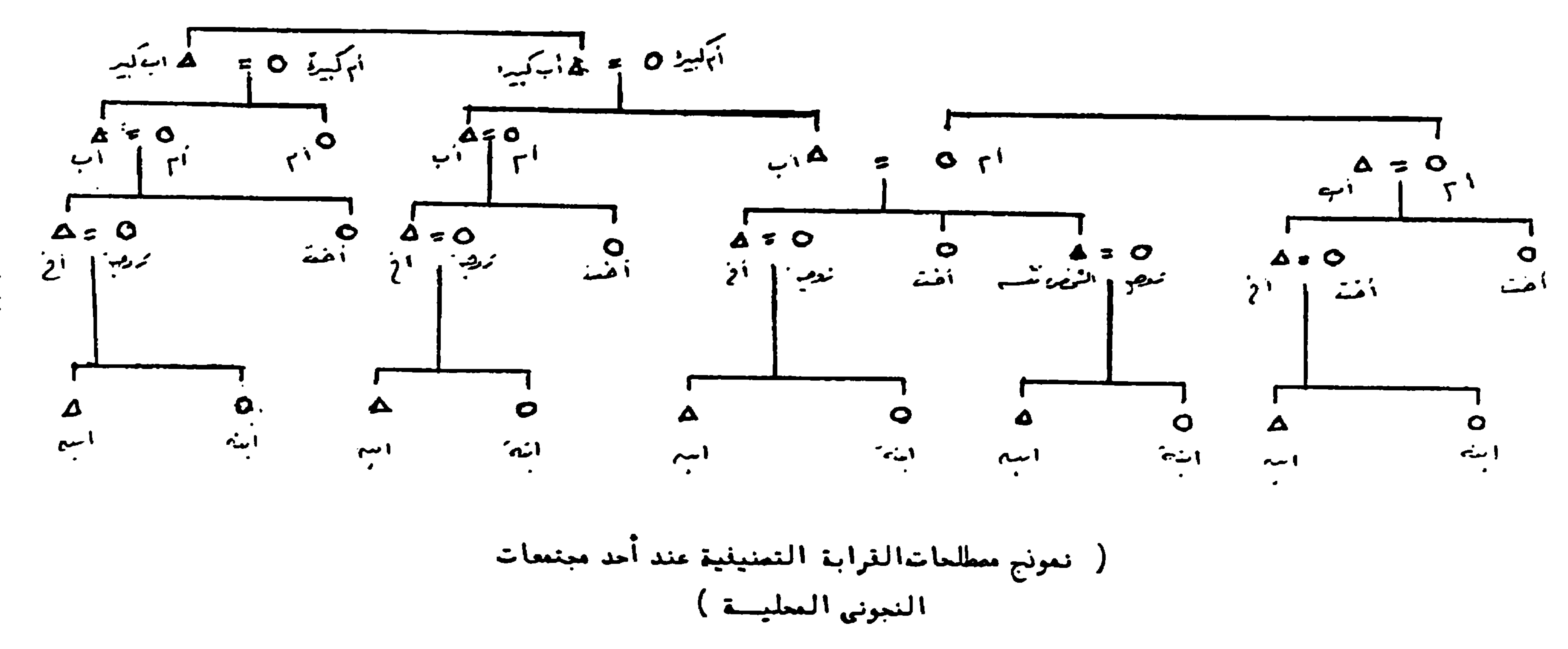
من الشكل يتضح اختلاف وتعدد الأشخاص بالنسبة للشخص الواحد، كما أنه هو نفسه يختلف موقعه بالنسبة لغيره باختلاف موقعهم منه. فقد يكون الشخص حفيدا بالنسبة لـ (أ)، وزوجا بالنسبة لـ (ب) ، وأبا بالنسبة لـ (جـ) ، وجدا بالنسبة لـ (د) وعما لـ (هـ) وأخا لـ (و) وابنا لـ (ز) . والواقع أن الأمر لا يقف عند هذا الحد . فإلى جانب كل هؤلاء أيضا يوجد أقارب آخرون عن طريق

المصاهرة ، يعيش بعضهم خارج السكن (كأب وأم الزوجة وإخوتها وأخواتها) والبعض الآخر يعيش فى نفس المسكن (مثل زوجة الابن وزوجة الحفيد) فضلا عن الاقارب عن طريق الانحدار لكلا الزوجين مثل أبناء اخوة وأخوات أبى وأم الزوج أوالزوجة. ويؤدى ذلك بغير شك الى شبكة أوسع وأكثر تعقيدا بكثير من شبكة العلاقات الموضحة فى الشكل مما يصعب معه بحق تتبع كل العلاقات وأنماط السلوك المترتبة عليها أو حتى بعضها. ويزيد الأمر تعقيدا لوأن تلك العائلة (أو العائلات) كانت تمتد الى خمسة أو ست أجيال مثلا.

ومع ذلك فان الأمر ليس بمثل تلك الصعوبة التى أوضحتها مصطلحات القرابة الوصفية Descriptive Terms (٧٦) فالمجتمع نفسه يلجأ الى استخدام ما يطلق عليه فى الانثروبولوجيا مصطلحات القرابة التصنيفية Clas-sifactory Terms (٧٧) كى يضغط علاقات القرابة البعيدة والمتعددة فى عدد قليل من درجات القرابة مع اهمال التفاصيل أو التغاضى عنها، . ولا شك أن ذلك يؤدى الى تماسك الجماعة القرابية عن طريق تقريب أفرادها (٧٨) من جهة والى امكان تتبع العلاقات وما يترتب عليها من أنماط سلوكية مختلفة من جهة أخرى لأن استخدام مصطلح قرابى واحد لأكثر من فئة واحدة من الأقارب يستوجب ولو مبدئيا وجود نفس الالتزامات والحقوق (ومن ثم وجود نفس أنماط السلوك) بالنسبة لكل تلك الفئات التى يطلق عليها ذلك المصطلح القرابى الواحد(٧٩)



(نموذج مصطلحات القرابة الوصفية عند أحد مجتمعات
النجوني المحليـة)



(نموذج مصطلحات القرابة التصنيفية عند أحد مجتمعات
النجوني المحليـــة)

ويلاحظ أنه الى جانب تلك المصطلحات التصنيفية توجد بالفعل مصطلحات وصفية لكل من هؤلاء الأفراد بالنسبة للفرد الواحد بمعنى أن الفرد يعرف درجات القرابة الفعلية التى تفصل بينه وبين كل واحد منهم (٨٠) وبخاصة فيما يتعلق بالأقربين. لكن مع وجود مصطلحات القرابة التصنيفية لا يتوقع أن تكون تلك الالتزامات والحقوق متطابقة تمام التطابق أو متماثلة تمام التماثل باستخدام نفس المصطلح لأكثر من فئه (٨١) فاذا كانت زوجات اخوة الشخص مماثلات تصنيفيا لزوجته ـ فهو يدعوهن بالفعل بمصطلح «زوجاتي» . فانه لا يتوقع مطلقا ان التزاماته وحقوقه قبل زوجته فى المضاجعة ينسحب الى هؤلاء «الزوجات» على الأقل فى حياة اخوته (أزواجهن) . كذلك اذا كان ذلك الشخص يطلق لفظا معينا واحدا على أبيه وعلى عمه وزوج خالته ـ وهو ما يحدث بالفعل ـ فانه لا يتوقع منه أن يسلك حيالهم جميعا نفس النمط السلوكى بدون تفرقة، فهو يعرف درجات القرابة التى تفصل بينه وبين كل واحد منهم على نحو ما سبق قوله. لكن مع ذلك فان أنماط سلوكه حيال أعضاء فئة تصنيفية معينة (تكاد) تكون بالنسبة لهم جميعا متطابقة وربما عن طريق المبدأ الذى أقره راد كليف براون (٨٢) يمكن توضيح مدى التماثل فى علاقات الشخص بفئة تصنيفية معينة (٨٣) وهذا المبدأ هو مبدأ «وحدة جماعة الأشقاء»

«The principle of the unity of the Sibling Group»

الذى من خلاله ترى جماعة الاشقاء عبارة عن وحدة متضامنة ومتحدة بالنسبة لمن ينظر اليها من الخارج مهما وجد فيها من اختلافات وتمايزات بين أعضائها. فأى شخص يرتبط بعلاقة معينة بأحد أفرادها يرى نفسه وهو يقف خارجها، داخلاً فى علاقة معينة بالذات بالنسبة لكل أفراد هذه الجماعة. فالإبن الذى يقف خارج وحدة الأشقاء التى تنتمى اليها أمه يرى نفسه فى علاقة مع أعضائها (إخوة وأخوات الأم، أو أخوال وخالات الابن) مماثلة لتلك التى بينه وبين أمه

باعتبار أن هذه الوحدة تؤلف بالنسبة له وحدة واحدة متكاملة. فيطلق الابن على أخوات الأم نفس المصطلح الذى يطلقه على أمه وبذلك يعتبر أزواج أخوات الأم «آباء» تصنيفيين له، وأولادهم إخوة وأخوات له، بينما يعتبر اخو الأم (خال الابن) أما ذكرا Male Mother ويطلق عليه مصطلحا مشتقا من الأم وبذلك تعتبر زوجات إخوة الام «امهات» تصنيفات له ، واولادهم اخوة وأخوات له.

ونفس الشئ ينطبق على اخوة واخوات الأب وأولادهم (باستثناء أولاد أخت الأب) فالابن يطلق على أبيه مصطلحا وينسحب ذلك أيضا علي اخوة الأب (أعمام الابن) وبذلك تعتبر زوجات إخوة الأب «أمهات» تصنيفيات للابن، وأولادهم إخوة وأخوات له.

بينما تعتبر أخت الأب (عمة الابن) أبا انثى Female Father وهو يطلق عليها مصطلحا مشتقا من الأب ايضا وقد يطلق عليها أيضا نفس المصطلح الذى يطلقه على أبيه. بدون اعتبار لفارق الجنس، ومن ثم فانه يعتبر زوج العمة «أبا» تصنيفيا له.

وواضح أن نظرة الشخص من الخارج الى جماعة الأشقاء أيا كانت تجعله يقف من جميع افرادها موقفا موحدا بغض النظر عن اعتبارات الجنس والسن وإن كان لهذه الاعتبارات أحيانا أهميتها . فاذا كانت علاقة الإبن بأبيه فى مجملها هى علاقة احترام وخضوع من ناحية وسيطرة وتسلط من الناحية الأخرى فإن ذلك ينسحب على اخوة واخوات الأب الحقيقيين والتصنيفيين، وبالمثل اذا كانت علاقة الابن بأمه فى مجملها هى علاقة حب واعتماد من ناحية وحنان ورعاية من الناحية الأخرى فإن ذلك ينسحب على اخوة واخوات الأم الحقيقيين والتصنيفيين أيضا. وعلى ذلك فان ما قيل فى الانماط السلوكية رغم أنه يقتصر على عدد قليل من الأقارب، ينطبق أيضا على عدد أكبر بكثير من هؤلاء الأقارب

(عن طريق المصطلحات التصنيفية ـ لا الوصفية ـ) مع ملاحظة أن قواعد السلوك تكون أكثر وضوحا وأهمية بالنسبة للأقارب القريبين عنها بالنسبة للبعيدين (٨٤)

ويمكن عن طريق توسيع وتطوير هذا المبدأ أن نعتبر جماعات أشقاء مختلفة ترتبط عن طريق الانحدار أو المصاهرة بجماعة أشقاء معينة، هى جماعة واحدة متحدة ومتكاملة. وبذلك ينطبق عليها جميعا باعتبارها وحدة واحدة ما ينطبق على تلك الجماعة المعينة من قواعد سلوكية وحقوق والتزامات.

فمن ناحية، يعتبر أقارب الأم جميعا (وهم يكونون جماعات أشقاء مختلفة) جماعة واحدة متحدة ومتكاملة بالنسبة للشخص، وأقارب الأب كذلك يعتبرون جماعة واحدة متحدة ومتكاملة بالنسبة لنفس الشخص. وبذلك يمكن تفسير لماذا مثلا تتسم علاقة الابن بجده عن طريق الأب باحترام أشد مما تتسم به علاقته بجده عن طريق الأم وذلك الى جانب ما قيل سلفا

ومن ناحية اخرى يكون اقارب الشخص جميعا (من جهة الأب والأم) وحدة متحدة ومتكاملة بالنسبة لزوجة ذلك الشخص، وفى نفس الوقت يعتبر اقارب الزوجة جميعا (وهم يؤلفون جماعتين بالنسبة لها) جماعة واحدة متكاملة ومتحدة بالنسبة لزوجها (الشخص نفسه). وربما بذلك يمكن أن نفسر لماذا تدعو الزوجة كل أقارب زوجها بمصطلح معين، ويدعو الزوج كل أقاربه بمصطلح معين آخر، على الرغم من وجود مصطلحات خاصة ومحددة لكلا الزوجين بالنسبة لأقارب كل منهما (٨٥)

وبطول العشرة تتبنى الزوجة نفس المصطلحات التى يطلقها زوجها على أهله، وقد يكون ذلك طبيعيا بالنسبة لها لأنها تقيم بالفعل بينهم، لكن الزوج

أيضا يمكنه أن ينادى أبوى زوجته بنفس المصطلح الذى تطلقه هى عليهما رغم أنه لا يعيش معهما. وطبقا للمبدأ المشار اليه فإن ذلك قد يرجع الى أن العائلتين قد توحدتا فى وحدة واحدة بمرور الزمن بالنسبة لكلا الزوجين رغم ما يوجد من اختلافات وتمايزات بينهما وفى داخلهما ،. وتكون العائلتان كذلك وحدة واحدة بالنسبة لأى شخص ينظر إليها من الخارج .

وتوسيعا أكثر لتلك القاعدة فإن أعضاء عشيرة معينة يؤلفون وحدة قرابية واحدة ـ رغم ما بها من تمايزات واختلافات ـ بالنسبة لأى شخص فيها أو فى عشيرة أخري. وعلى ذلك فإنه يمكن تفسير لماذا يعتبر أعضاء العشيرة رئيسها بمثابة أب ويناد ونه بنفس المصطلح المستخدم بالفعل للأب على الرغم من أنه قد لا يرتبط ببعضهم بأية روابط قرابية فعلية .

الحواشـــي:

١ ـ الفرع الأول هو ما يعرف عادة باسم «الأنثروبولوجيا الفيزيقية» Physical Anthroppoogy ويهتم بالانسان باعتباره كائنا عضويا حيا، فيدرس نشأته الأولى وتطوره عن الرئيسيات السابقة والمراحل أو الخطوات التى مر بها هذا التطور، والتشابهات والاختلافات الفيزيقية بينه وبين بقية الرئيسيات. كما يهتم هذا الفرع بمشكلة تصنيف السلالات البشرية الموجودة حاليا، وقياس خصائصها الفيزيقية كشكل وحجم الجمجمة وارتفاع القامة ولون البشرة ونوع الشعر ونسيجه وكذلك دراسة الخصائص السلالية المتوارثة وتداخل السلالات وامتراجها.

والفرع الثانى هو «الأنثروبولوجيا الاجتماعية» Social Anthropology» التى تدرس الانسان من حيث هو كائن اجتماعى يعيش فى مجتمعات متماسكة لها قوانينها ونظمها وأنساقها الاجتماعية المتمايزة. فالأنثروبولوجيا الاجتماعية تعنى بدراسة السلوك الاجتماعى الذى يتخذ شكل نظم واضحة مثل العائلة وروابط القرابة والنظام السياسى والعلاقات الاقتصادية والعبادات الدينية والاجراءات القانونية وما الى ذلك ، كما تهتم بتحليل العلاقات المتبادلة بين هذ النظم المختلفة التى تؤلف ما يعرف باسم: البناء الاجتماعي» .

أما الفرع الثالث فانه يعنى بوجه خاص بدراسة ثقافات الشعوب المختلفة، وبخاصة ثقافات الشعوب البدائية أو البسيطة ، ولذا يطلق على هذا الفرع اسم «الأنثروبولوجيا الثقافية» Cultrul Anthropology «والمقصود بالثقافة هنا» كل منتجات الانسان: المادية كالمسكن والملبس وأدوات العمل والترويح..... ومنتجاته المعنوية كالأفكار والعرف والتقاليد والعادات والمعايير الاجتماعية والأخلاقية... أى أن الأنثروبولوجيا الثقافية تهتم بدراسة « طريقة معيشة مجتمع

معين»، لكنها تهتم (أساسا) بتفاصيل التعبيرات الثقافية التى ينطوى عليها سلوك أعضاء المجتمع أكثر مما تهتم بدراسة النظم الاجتماعية والعلاقات البنائية التى يحتاج فهمها الى درجة عالية من التجريد، وان كان التمييز بين الثقافة والمجتمع أمرا عسيرا لأن الأنثروبولوجى حينما يحاول دراسة أحد المجتمعات فإن الذى يدرسه فى واقع الأمر هو السلوك الظاهر المشخص الذى يشمل المجتمع والثقافة معا.

٢ ـ المرجع ١٦ ص ٣٤

٣ ـ المرجع ١ ص ص ٢٩١ ـــ ٢٩٢

٤ ـ المرجع ١٦ ص ٤

٥ ـ المرجع ١ ص ٢٩٤

٦ ـ كما يلى ذكره من أمثلة.

٧ ـ المرجع ١٦ ص ٤

٨ ـ يشير مصطلح Cognates الى الأقارب الذين ينحدرون من سلف مشترك فى خط واحد Unilineal (سواء كان ذلك خط الذكور Patrilineal فينتج الأقارب العاصبين Agnates أم فى خط الاناث Matrilineal فينتج الاقارب من ذوى الأرحام Utrines أنظر المرجع ١٥ ص ٧٥

٩ ـ قارن المرجع ١٦ ص ٦٥

١٠ ـ المرجع ٩ ص ١٨٤

١١ ـ نفس المرجع والصفحة

١٢ ـ قارن المرجع ٣ ص ٤٧٣

١٣ ـ المرجع ٢ ص ص ٢٥٥ ـ ٢٥٧

١٤ ـ المرجع ١٦ ص ٣

١٥ ـ قارن المرجع ١ ص ٣٠٣

١٦ ـ قارن المرجع ٢ ص ٢٥٥

١٧ ـ المرجع ١ ص ٢٩٠

١٨ ـ المرجع ١ ص ٣٠٩

١٩ ـ انظر المرجع ٣ص ٥١٢ وكذلك المرجع ١٥ ص ٧٩ حيث يوجد مثال آخر (كعلاقة الشخص بزوجة خاله) مما يؤدى الى توسيع الدائرة أكثر فأكثر.

٢٠ ـ قارن المرجع ٤ ص ٦٠

٢١ ـ لأن الزواج ينطوى على تعاقد ليس فقط بين شخصين (الزوجين) وانما يعتبر تعاقدا بين أسرتين. انظر المرجع ٣ ص ٥٢٣.

٢٢ ـ لأن صور الأسرة تتعاظم فى المجتمعات البسيطة والتقليدية بحيث تتعدى حدود الأسرة الزواجية البسيطة الى عائلات مشتركة وبدنات وعشائر.

٢٣ ـ قارن المرجع ٥ ص ٣١٢

٢٤ ـ المرجع ٥ ص ٣٧٠

٢٥ ـ قارن المرجع ١٩ ص ٢٠٣

٢٦ ـ المرجع ٧ ص ص ٢٨ ـ ٢٩

٢٧ ـ المرجع ٧ ص ٢٩

٢٨ ـ البدنة lineage هى الوحدة التى تتألف من كل الأشخاص المنحدرين من سلف واحد مشترك فى خط واحد (الخط الأبوى أو العاصب عند النجوني) خلال عدد محدد من الأجيال، انظر المرجع ١٥ ص ٨٨.

٢٩ ـ المرجع ٧ ص ٢٩

٣٠ ـ المرجع ٩ ص ١٦٩

٣١ ـ المرجع ١ ص ٣٢١

٣٢ ـ المرجع ٩ ص ١٦٩

٣٣ ـ الواقع أنه ليس من السهل دائما التمييز بين البدنة والعشيرة، فربما يمكن اعتبار العشيرة هى البدنة الكبرى التى يعترف بها المجتمع، لكن كثيرا ما تكون البدنة قسما من أقسام العشيرة. انظر المرجع ١٥ ص ٨٨، وعلى ذلك فان مصطلح البدنة فى الحالة الأولى يصبح مرادفاً لمصطلح العشيرة، بينما فى الحالة الثانية تكون العشيرة مشتملة على عدد من البدنات التى يستقل كل منها عن الأخرى جينولوجيا، وان كانت جميعا تدعى انحدارها من سلف بعيد مشترك. ومع ذلك فانه يمكن تعريف العشيرة عموما بأنها «جماعة من الناس من كلا الجنسين يحدد عضويتهم فيها انحدارهم فى خط واحد سواء كان مزعوما أم حقيقيا، ويلتزم الواحد منهم تجاه الآخر بالتزامات محددة واضحة. انظر المرجع نفسه ص ص ٨٩ ـ ٩٠.

٣٤ ـ قاعدة الاكسوجامية أو قاعدة الزواج من الخارج exogamy هى القاعدة التى تحرم الزواج من داخل جماعة معينة هى دائما العشيرة، لكن ليس معنى هذا أن كل العشائر تتبع قاعدة الاكسوجامية على نحو ما كان يظن من قبل (المرجع ١٥ ص ص ٨٩ ـ ١١٥ وكذلك المرجع ١ ص ٣٤٩) . ويعتبر ما كميلان (من علماء القرن الـ ١٩) هو صاحب الفضل فى ادخال مصطلح الاكسوجامية (وكذلك الاندوجامية endogamy) وكان يعنى بها نوع ـ وليس قاعدة ـ الزواج من خارج (ومن داخل)جماعة محددة (على التوالي). انظر المرجع ١٤ ص ٢٢.

٣٥ - المرجع ٢٠ ص ص ١٦٩-١٧٠

٣٦ ـ المرجع ٩ ص ١٧٥، والمرجع ١٩ ص ٢٠٢،

٣٧ ـ المهر أو مدفوعات الزواج Payment of Marriage هو المصطلح الذى يستخدم لكل السلع والهبات أو حتى الخدمات التى تنتقل من العريس أوعائلته الى العروس وعائلتها بمناسبة الزواج.، انظر المرجع ١٥ ص ١١٦. وقد يطلق على المهر مصطلح Bride price ثمن العروس أو Bride Wealth ثروة العروس. لكن لهذه المصطلحات دلالات خطيرة اذا قد تعنى أن العروس عبارة عن سلعة اقتصادية قابلة للبيع والشراء والمساومة أو أنها أحد ممتلكات الرجل وهذا ما لا تقصد اليه المجتمعات التى تمارس نظام المهر فى الأغلب. قارن المرجع ١٣ ص ٢٣.

٣٨ ـ المرجع ١٢ ص ص ٣٧١ ـ ٣٧٢.

٣٩ ـ يذهب المهر كله الى أبى العروس الذى قد يقسمه بين أقربائه العاصبين (المقصود هنا أبناؤه)، ويعطى العريس بقرة واحدة لا تدخل ضمن مدفوعات الزواج لأم عروسه (أو لخالها ان كان هو الذى أشرف على تربيتها) لعنايتها بزوجته ومحافظتها على عذريتها (ويطلق على تلك البقرة بقرة العذرية) ولكن ليس للأم أو لأقاربها العاصبين نصيب فى مهر الابنة. انظرالمرجع ٩ ص ص ١٩٤ ـ ١٩٥، والمرجع ١٩ ص ٢٠٣.

٤٠ ـ من ذلك مايطلق على ماكس جلوكمان فى دراسته للزولو (المرجع ٩ ص ١٨٣) مصطلح «العائلة الطبيعية» ، ويقصدبها الوحدة التى تتكون من رجل وامرأة وأولادهما دون أن يعترف بها المجتمع أو يقرها.

٤١ ـ ليس المقصود هنا بانتقال حق الاتصال الجنسى من جماعة الزوجة الى الزوج أنه يحق لأعضاء تلك الجماعة قبل زواج الفتاه مضاجعتها، لكن

المقـصـــود هو أن يكون لهم «حق سلبي» فى ذلك بمعنى منع أى شـخص من الاتصال بها جنسيا.

٤٢ ـ قارن المرجع ١ ص ص ٣٥٥ ـ ٣٥٦

٤٣ ـ المرجع ١٩ ص ص ٢٠٤ وما بعدها.

٤٤ ـ المرجع ١٧ ص ٤١.

٤٥ ـ المرجع ٩ ص ١٨٥، وما بعدها ، والمرجع ١٩ص ٢٠٢

٤٦ ـ المرجع ١٧ ص ٤١ ، والمرجع ٩ ص ١٨٤

٤٧ ـ المرجع ٦ ص ٢٨٤

٤٨ ـ يقـول جلوكمـان (المرجع ٩ ص ١٨٤) انهم فى الماضى كـانوا يبـدأون فى تقـديم ماشية المهر لأهل الزوجة فـقط عندما يولد الأولاد. كما يقـول (نفس المرجع ص ١٨٩) ان العنصر المهم فى التعاقد هو أن تنجب المرأة. ان جلوكمان هنا يحاول أن يؤكد أن المهر هو المقابل للأولاد الذين يحصل عليهم الزوج.

٤٩ ـ المرجع ١٧ ص ٤١

٥٠ ـ المرجع ١٩ ص ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤

٥١ ـ المرجع ٩ ص ص ١٨٨ ـ ١٨٩

٥٢ ـ المرجع ١٦ ص ٦٥

٥٣ ـ المرجع ٩ ص ١٩٥

٥٤ ـ المرجع ٩ ص ص ١٩٤ ، ١٩٥

٥٥ ـ لجلوكمان رأى آخر فى هذا الصدد فهو يرى أن تعويض الزوج الذى ماتت زوجته قبل أن تنجب بزوجة أخرى من قبل الجماعة القرابية لتلك الزوجة

التى ماتت، يرجع الى أن الزوجة الأولى لم تنجز الغرض الذى من أجله دفع فيها المهر وهو الانجاب (المرجع ٩ص ١٨٥) . وربما كان ذلك صحيحا، لكن جلوكمان لم يبين لماذا يفضل أهل الزوجة تعويض الزوج بأخت زوجته أو غيرها بدلا من رد المهر اليه.

٥٦ ـ المرجع١٠ ص ١١٧

٥٧ ـ قارن المرجع ٦ ص ٢٨٩

٥٨ ـ المرجع ٩ ص ١٥٨

٥٩ ـ المرجع ١١ ص ٤٤

٦٠ ـ المرجع ٩ ص ص ١٨٦ ، ١٩٦، والمرجع ١٦ ص ٧٧

٦١ ـ المرجع ١٨ ص ص ١١١ ـ ١١٣

٦٢ ـ المرجع ٩ ص ص ١٧٠، ١٧٧

٦٣ ـ المرجع ١٨ ص ١١٤

٦٤ ـ قارن المرجع ٧ ص ص٢٢ ـ ٢٥

٦٥ ـ يعتقد جلوكمان (المرجع ٩ ص ١٩٥) ـ مع ملاحظة أن معلوماته عن ملكية المرأة غير واضحة تماما على ما يقول هو نفسه ـ أن الماشية يوزعها رب العائلة بين زوجاته تماما مثل الأرض والأكواخ وأية ممتلكات أخرى. ثم يقول (نفس المرجع والصفحة) «وطبقا لقانون الزولو فالمرأة لا يمكنها أن تتملك شيئا وان حدث فانها تكون تحت رعاية وصيها الأكبر» . ويبدو أن الماشية التى تملكها الزوجات ـ ان وجدت ـ لا تدخل ضمن القطيع الرئيسى الذى يملكه رب العائلة بناء على معلومات جلوكمان ذاته (فى مكان آخر) ـ أنظر المرجع ٧ ص ٢٨٩ .

٦٦ـ المرجع ١٨ ص ص ١٣٢ ـ ١٣٣

٦٧ ـ المرجع ١٨ ص ١٤٣

٦٨ ـ المرجع ١٨ ص ١٣٧

٦٩ ـ المرجع ١٨ ص ص ١٦٠ ـ ١٦١

٧٠ ـ المرجع ١٨ ص ص ١٦١ ـ ١٦٢

٧١ ـ المرجع ٨ ص ص٩٨ ـ ٩٩

٧٢ ـ المرجع ٢٠ ـ ص ٣٠٣ لكن ذلك لا يعنى أن البنات غير مرغوب فيهن عند الزولو أو النجونى بل وفى شرق افريقيا على العموم فى المنطقة المعروفة باسم مركب الماشية. قارن المرجع ١٢ ص ٣٦١.

٧٣ ـ المرجع ٩ ص ١٧٠

٧٤ ـ المرجع ١٨ ص ١٢٩ ، وسيأتى تفسير آخر عند عرض نظام القرابة التصنيفي.

٧٥ ـ المرجع ٩ ص ١٧١

٧٦ ـ نظام مصطلحات القرابة هو الأداه أو الوسيلة لتحديد الفئات أو الزمر القرابية التى ينتمى اليها الشخص. ومصطلحات (القرابة الوصفية) هى تلك التى تصف بكل دقة درجة القرابة والخطوات الوسيطة التى تفصل بين أى اثنين من الأقارب وهى تنشأ عن اضافة مصطلحات (القرابة المحددة أو البسيطة) (أى التى تطلق على أعضاء الأسرة المباشرين كالاب والابن) إحداها للأخري.

٧٧ ـ مصطلحات (القرابة التصنيفية) هى التى يستخدم فيها مصطلح القرابة الواحد من المصطلحات المحددة أو النوعية لأشخاص يرتبطون بروابط قرابية مختلفة بالشخص الذى يستخدم ذلك المصطلح فيطلق اللفظ على جميع الاشخاص الذين ينتمون الى جيل واحد بغض النظرعن مدى قرابتهم الفعلية

لذلك الشخص. قارن مصطلحات القرابة عموما فى المرجع ١٥ ص ص، ٧٦ ـ ٨٤.

٧٨ ـ المرجع ١ ص ٣٨٤

٧٩ ـ المرجع ـ ١ ص ٣٩٥

٨٠ ـ وذلك عكس ما يعتقده سرفيز (المرجع ٢٠ ص ٣٠٤) من أن هناك جهلا أو قصورا فى الاهتمام بالروابط الجينولوجية الفعلية.

٨١ ـ قارن المرجع١ ص ٤٠٨

٨٢ ـ المرجع ١٦ ص ص٢٣ ـ ٢٦

٨٣ ـ يهتم المبدأ أيضا ببيان الظروف التى تحتها يمكن أن يحل قريب محل الآخر بالنسبة لشخص معين انظر المرجع ١٦ ص ٢٦

٨٤ ـ المرجع ١٦ص ٢٥ وكذلك المرجع ١ ص ٤٠٨

٨٥ ـ قارن المرجع ٩ ص ص ١٧٠ ـ ١٧١

المراجـــع:

١ ـ أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعي، مدخل لدراسة المجتمع ، الجزء الثاني، الانساق، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧

٢ ـ بوتومور : تمهيد فى علم الاجتماع، (ترجمة وتعليق وتقديم د. محمد الجوهرى وآخرون)، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الخامسة، ١٩٨١

٣ ـ رالف ل بيلز، هارى هويجر : مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة (ترجمة د. محمد الجوهري، د. السيد محمد الحسيني)،القاهرة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٦

٤ ـ علياء شكري : الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الاسرة، الاسكندرية، دار المعرفةالجامعية، ١٩٨٩

٥ ـ محمد الجوهري : المدخل الى علم الاجتماع، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى ، ١٩٨٤

٦ ـ وليام هاولز : ما وراء التاريخ (ترجمة وتقديم د. احمد أبو زيد)، القاهرة دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٦٥

7 - Gluckman, M.; Analysis of a social Modern Zululand Manchester University Press, London, 1968.

8 - Gluckman, M: custom and conflict in Africa, Basil Blackwell, Oxford, 1975.

9 - Gluckman, M., "Kinship and Marriage among the Lozi of Northen Rhodesia and the Zulu of Natal", in: Radcliffe -- Brown, A. R. and Forde, D. (eds.): African Systems of Kinship and Marriage, Oxford University Press, London 1950

10 - Gluckman, M.: Order and Rebellion in Tribal Africa, Cohen & West Ltd., London, 1973.

11 - Gluckman, M., "The Kingdom of the Zulu of South Africa ", in : Fortes, M. &Evans - Pritchard, E.E. (eds.) ; African political Systems, Oxford University Press, London, (5th imp.), 1975.

12 - Herskovits, M.J.;"The Cattle Complex in East Africa ", in: American Anthropologist, Vol 28, (1920), New york, 1962.

13 - Kupper, H.: The Swazi, a South African Kingdom, Halt Rinehart &Winston, INC. UsA., 1973

14 - Mair, L.; An Introduction to Social Anthropology, (3 ed.), Clarendon press, Oxford, London, 1979.

15 - Notes and Queries on Anthropology, a Committee of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland, Routledge & Kegan Paul Ltd. , London, (7 the ed.). 1970

16 - Radcliffe - Brown, A. R., "Introduction", in; Radcliffe - Brown, A.R. & Forde, D. (eds.) . African Systems of Kinship and Marriage, op. cit.

17 - Radcliffe - Brown, A.R. ; Structure and Function in Primtive Society, Cohen & West Ltd., London, (8 the imp.)1979.

18 - Reader, D.H;Zulu Tribe in Transition, Manchester University Press, London, 1981.

19 - Schapera, I.: "Law and Justice", in : Schapera, I. ed.): Bantu - Speaking Tribes of South Africa, Routledge &Kegan Paul Ltd.; London. (6 the imp.) , 1975.

20 - Service, E. ; Profiles in Ethnology, Harper & Raw, UsA., 1963.

الجـــزء الثـالـــث

الثقـافة الافريقيـة

إعــداد

دكتورة سعاد على شعبان

استاذ الانثربولوچية

الثقـــافة الافريقيـــة

مقـــدمة

إن التعريف الشائع للثقافة هو طريقة معيشة مجموعة من الافراد[١] ومن الافضل التفكير فى الثقافة على أنها موجودة فى البيئة وما حولها من العوامل الخارجية وبالتحديد العوامل الايكولوجية المحيطة وطبيعة السكان[٢].

والثقافة هى كل ماليس بيولوجيا ولكنه منقول اجتماعيا فى المجتمع[٣] ولكن هذا لايعنى أن الثقافة ليس لها أساس بيولوجي، فالاساس البيولوجى عنصر ضرورى للسلوك البشرى ولكن كيفية اشباع المطالب الفطرية هو عن طريق التعلم فاشباع غريزة الجوع بالطعام سواء الاكل بالاصابع أو بالشوكة والسكين يتحدد بواسطة تعلم الثقافة، واستيعاب الثقافة يتوقف على الخصائص الفزيقية الموروثة بالجينات فبينما تنتقل الخصائص الوراثية بواسطة الجينات فان الثقافة تنتقل بواسطة الرموز التى يطلق عليها اللغة. وهذه الرموز يمتلكها الجنس البشرى فقط، أما طرق التواصل بين بقية الكائنات الحية فتنتقل عن طريق اشارات وهذه تورث بالجينات وغير قابلة للتغيير. أما الرموز فهى قابلة للتعديل بشكل غير نهائي، فاللغة تمكن الناس من توصيل مايرغبون عملة وتنظيم خبراتهم، والتعبير عن الافكار فالعديد من فروع الثقافة كالاخلاق، الدين الفلسفة، الادب، العلم، الاقتصاد والتكنولوجيا.... الخ تعتمد جميعا على هذا النمط ذات المستوى الاتصالى الرفيع (اللغة) لهذا السبب فانه يقال بأن الثقافة كامنة فى اللغة[٤].

ويقر بعض علماء الاجتماع أن معظم السلوك يرجع جزئيا للتأثير الجيني، حتى التعليم الذى ينقل السلوك الاجتماعى الى الاجيال يرجع فى الاصل الى جهاز عصبي، وأيضا قدراتنا على التعليم لها ضرورة جينية.

ولكن المتطلبات الاساسية من طعام، ومأوى وجنس ليست فقط مطالبنا البيولجية الاساسية، فان الحاجة الى التفاعل الاجتماعى مطلب أساسى للبشر مثل الحاجة الى الطعام والراحة والاشباع الجنسي(٥).

ومن الجدير بالذكر أن بعض العوامل الايكولوجية يمكن أن تتغير بواسطة عوامل الثقافة مثلا سطح الأرض قد تغير فى كثير من البلاد المتقدمة وعلى سبيل المثال فان فلاحة الارض الصحراوية جعلها أرضا خصبة لانتاج المحاصيل وكذلك بالنسبة لجسم الانسان فان بعض الشعوب مثلا تربط رأس الوليد حتى تصبح مستديرة وليست مستطيلة(٦).

ومما هو معروف أن الثقافة عماد الحياة الانسانية، وأن الجماعات البشرية تسلك سلوك يتبع غالبا ثلاثة أشياء فى المجتمع، البيئة والنشاط الاقتصادى والتعليم فالثقافة ظاهرة حقيقية وعامة وهى ليست موجودة عند تفكير شخص بعينة ومن هنا نجد أن الثقافة تفكير جماعى وتطبيع للافراد الجدد بهذا النمط من التفكير، وهى تفكير وسلوك فى نفس الوقت وهى قابلة للتغيير نتيجة احتكاكها بثقافات أخري.

ومن نتائج الدراسات العديدة التى اهتم بها العلماء أنهم قسموا الثقافة الى قسمين:

ثقافة ما دية وأخرى معنوية فكل الاشياء الطبيعية التى يصنعها الانسان

تعتبر ثقافة مادية وتتمثل هذه الاشياء فى الغذاء والملابس والمساكن والاثاث والادوات.. الخ وغيرها من مظاهر الحياة وكل مايتصل بالانتاج والتكنولوجيا والاختراعات التى تحدث مثل هذه الاشياء.

أما الثقافة غير المادية فهى كل خواص الثقافة التى يعملها الانسان ولاتدرك بالحواس مثل المهارات التكنولوجية بالمعايير، المعرفة المعتقدات، وجهات النظر واللغة(٧).

وفى راستنا للثقافة الافريقية لابد أن نأخذ فى الاعتبار التباين الكبير الواضح فمساحة القارة تبلغ حوالى ٣٠ مليون كيلو متر مربع، وجدير بالذكر أن ثلث أرض.. أفريقيا يغطى بالغابات والصحارى الى جانب بعض المناطق الزراعية.

فأفريقيا اذا متعددة الالوان من حيث سكانها وحيواناتها ونباتاتها ونجد أن الصحراء أضفت على سكانها لونا معينا من الشخصية والصفات وذلك نتيجة التغيرات الجوية والجفاف وفقر الارض والتغيير السريع لانواع الغذاء الى جانب قسوة الحياه نفسها. بجانب هذه المناطق الجافة هناك مناطق أخرى خصبة يزرع فيها أنواع مختلفة من الحاصلات الزراعية وهناك بعض المناطق الطاردة لسكانها وتتمثل فى الغابا.

ويوجد بالقارة عديد من الانهار أهمها النيل والزمبيزى والفال والكنغو والنيجر والسنغال وغيرها كثير.

وأفريقيا ليست منعزلة عن العالم فهناك ثلاثة مواضع تقربها من أوروبا وآسيا هى جبل طارق وبرزخ السويس وباب المندب. ورغم هذا التواصل

والاتصال فمعظم شعوب أفريقيا احتفظت على مر العصور بشخصيتها وثقافتها، فالبيئة والانسان والثقافة يكونون لحد ما وحدة. وتتوزع بالقارة تقريبا بالتساوى السلالات القوقازية فى الشمال والشمال الشرقى والسلالات الزنجية فى الجنوب والغرب وتعتبرالسلالات الزنجية أقدم بكثير من القوقازية(٨).

هذا وينقسم الزنوج الى قسمين: سلالات البانتو المتشابهة اللغات، السلالات السودانية المتعددة اللغات.

وتنقسم السلالات القوقازية أيضا الى قسمين: سلالات حامية وأخرى سامية والاولى هى التى تحتل منطقة قرن أفريقيا وبعض الجهات الواقعة الى الغرب من البحر الاحمر وبعض جهات أفريقيا الشمالية، أما السلالات السامية فتجاور الحاميين فى شرق أفريقيا وشمالها وتحتل معظم أجزاء هضبة الحبشة وحوض النيل وشمال أفريقيا(٩).

والى جانب ذلك توجد سلالاتان فى أقصى الجنوب الغربى تختلفان عن الجنس الزنجي، ولايمكن أن نعدهما فرعا منه وهما سلالتا البشمن والهوتنتوت، ويذكر معهما سلاله أخرى سلاله الاقزام التى يعيش أفرادها مبعثرين فى غابات ايتوري(١٠).

وهكذا تنقسم شعوب أفريقيا الى الاتي: ـ

١ ـ البشمن والهوتنتوت والاقزام.

٢ ـ الزنوج من سوادنيين وبانتو

٣ ـ القوقازيون من حاميين و ساميين

٤ ـ أنصاف الحاميين أو كما يسمون الآن النيليون الحاميون.

ويتحتم علينا فى دراستنا للثقافة الافريقية أن نشير الى انماط الاقتصاد الذى تمارسة سلالات وشعوب أفريقيا لما للاقتصاد أهمية قصوى فى ابراز ثقافة هذه الشعوب من مأكل وملبس ومسكن وأدوات وفنون فنجد التنوع الهائل فى هذا المجال الاقتصادى فهناك:

١ ـ الجمع والالتقاط والصيد والقنص

٢ ـ الرعي

٣ ـ الزراعة بنوعيها (البسيطة والمكثفة)

٤ ـ الصناعة والتعدين

وبالنسبة للجماعات التى تمارس الجمع والالتقاط والصيد والقنص فهى جماعات قليلة وفى طريقها للانقراض.

أما الجماعات التى تمارس مهنة الرعى فهى عديدة وسنحصرها فى الاتي:

١ ـ الهوتنتوت

٢ ـ حما (حما، حما، توسي، وهندا)

٣ ـ الماساي، سوك، تركانا، نادي

٤ ـ جالا، صومال (أفار) (دناكيل) وساهو أو (شوهو)

٥ ـ بجا (البشاريون، الامرأر، الهدندوة والبنى عامر)

٦ ـ الطوارق (بربر)

٧ ـ الفلبا بورورو (فول، فولا، فولاني، فلاتا، بويل)

٨ ـ توبو، تبو، تيبو، تدا

٩ ـ العرب بين شارى والنيل

١٠ ـ الهررو

١١ ـ النيليون (شيلوك، دنكا، نوير)

أن تربية الحيوان من الحرف الرئيسية لدى هذه الشعوب حتى ولو كانوا يمارسون بجانبها حرفا أخري. ويطلق على هذه الشعوب البدو أو الرعاه وتسمى حرفتهم البداوة أو الرعى فالبدو هم شعوب تعيش كلية على قطعانها ولاتوطن أنفسها على الزراعة[١١] وهم فئة من السكان يتميزون بخصائص معينة، وسلوك خاص ترسمة البيئة الصحراوية المحيطة بهم، ولاتسمح باقامة حياة سكانية مستقرة[١٢]. وهناك فلاحى الصحراء والسافانا وفلاحى الغابات.

وهذه شعوب كثيرة لاحصر لها.

يتضح مما سبق التنوع الهائل فى أجناس وشعوب أفريقيا والحرف التى تمارسها، ولقد تعرفنا كذلك على الثقافة وأنها طريقة معيشة مجموعة من الافراد، وأنها عماد الحياة الانسانية وقد قسمها العلماء الى ثقافة مادية وأخرى معنوية، وتتمثل فى الاشياء الطبيعية التى يصنعها الانسان مثل الغذاء والملبس والمسكن والاثاث والادوات والفنون... الخ.

وسوف نهتم فى هذه الدراسة ببعض عناصر الثقافة المادية مثل الفن الملبس والمسكن . فعندما نحاول دراسة الثقافة المادية لدى شعب من الشعوب فاننا نبدأ بالبحث عن الانسان وانتاحة الفنى الذى ينفرد به كل شعب على حده وكيف يهتم الانسان بنظافته ومظهره من الرأس الى القدم ثم بملابسة وننتقل بعد ذلك الى المسكن.

الفصـــل الأول

الفــــن

الفن هو مجموع المهارات البشرية على اختلاف ألوانها، وللعمل الفنى وحدته المادية التى تجعل منه موضوعا حسيا يتصف بالتماسك والانسجام، ولكل فن مادته، يستوى فى ذلك ان تكون لفظا أو صوتا أوحركة أو تشكيلا أو نقشا أو رسما أوزخرفة أو نحتا... الخ. ولكن المادة الخام لاتكتسب صبغة فنية إلا بعد أن تكون يد الفنان قد امتدت اليها فخلقت منها محسوسا جماليا(١٣).

والظاهرة الفنية ظاهرة اجتماعية، لكن الفن لم ينشأ فى الاصل عن مصدر اجتماعى صرف، ولئن كان أثر البيئة قد يطبع العمل الفنى بطابع واضح كل الوضوح الا أن الفن مع ذلك ظاهرة بشرية قد نبعت عن أصل فردي.

ومما لاشك فيه أن هناك صلة وثيقة بين الفن والمجتمع الذى يعيش فيه الانسان بكل مايشملة ذلك المجتمع من المظاهر البيئية والثقافية والدينية السائدة فيه. ومن تلك المظاهر مجتمعة يستمد الفنان الافكار والصور الذهنية والوسائل التى تظهر فى شكل أو أخر من أشكال التعبير الفنى سواء كانت رسما أو نحتا أو فنونا زخرفية كما تظهر فى أشكال الرقص والموسيقى والقصص الشعبى وغيرها من وسائل التعبير.

واصطلاح الفنون الجميلة اصطلاح يحمل مدولا واسعا، اذ يشير الى أنواع

كثيرة من مظاهر النشاط الابداعى وتنتج الفنون الجميلة كتكوينات ثقافية من عملية ابداعية تتعامل مع الحركة والصوت والخامة اذا يمكن تعريف الانتاج الفنى الجمالى كطرق للتفكير فى مثل هذه الاشكال.

ومن منظور الثقافة المادية فان الفنون تكون متكاملة اذا توافقت مع كل مستويات الثقافة الثلاثة، انتاج الخامات والتلاحم الاجتماعية والتعبير الفكري.

والتحليل الانثروبولوجى لاشكال الثقافة عادة ما يحاول استنباط الوظيفة والبناء، والفنون ليست مستثناه من هذا التحليل. ولقد زادت العلاقات البنائية بين الفن والمجتمع بوضوح فى السنوات الاخيرة.

وفى كل مظاهر الفنون يوجد الفنان الذى ينتج العمل الاساسى ولكن هذا الفنان يكتشف وتتم تجربتة بواسطة الجمهور، فالهوية الرئيسية للعمل تكون شخصية ولكن فى نفس الوقت ثقافية وانسانية(١٤) فلكل فن جمهورة فى الماضى والحاضر والمستقبل، وكل فن لابد أن يتطلب الجمهور، فلا يمكن أن تكون ثمة قيمة جمالية بدون جمهور(١٥).

والابداع الفنى هو القدرة على التعبير على أشكال تثير عاطفة واحساس المشاهد ولذا فان المشاهد يتفاعل مع العمل على مستوى ثقافتة الخاصة تبعا لتوقعاته النفسية أو المزاجية وخلفيتة التراثية ومع تسليمنا بأن المجتمع هو الذى يوحى للانسان بوسيلة التعبير الفنية فان ما ينتجه الفنان أيضا يوظف فى النهاية لصالح المجتمع وأفرادة والملاحظ أن الشكل الفنى لايمثل فقط انعكاس المجتمع ولكن يمثل أيضا اتجاهات عامة لذلك فان الاشكال الفنية تتغير بتغير اتجاهات المجتمع فنجد مثلا أن معظم الشعراء انما كانوا يتناولون فى قصائدهم موضوعات اجتماعية يعبرون فيها عن مشاعر جماعية.

ووظائف الفن متنوعة، احديي هذه الوظائف هى اعطاء الشبع والرضا الجمالى ولكن ذلك فى حالة «الفن من أجل الفن فقط» وبالنسبة للمجتمع فان الفن غالبا مايمثل صمام الامان للتعبيرات الخطرة والافكار المنعزلة أو المحظورة.، وربما يعمل الفن مع أو ضد التيارات السياسية أو الدينية فيقال بأن الفن يطلق رسائل، لاتستطيع الكلمات أن تنقلها لذلك فان معظم الاشكال الفنية تشجع وتعزز المعتقدات الدينية والاوامر الاجتماعية فى المجتمع.

ان للفن علاقات ضرورية بالدين والاخلاق والسياسة والاقتصاد وغيرها من ظواهر المجتمع ويسهم الفنان فى تكوين التراث الجمالى لمجتمعة، بقدر ما ينجح فى اضافة خيوط جديدة الى ذلك النسيج الحضارى الذى يتألف منه كيان المجتمع. فالفن عنصر من العناصر الأصلية الهامة التى تدخل فى تركيب المجتمع نفسة وينبع الفن من صميم الحياه نفسها. ان الجمال شهور خصب ملىء بالحياة، والفن لايخرج عن كونة نشاطا اجتماعيا تنحصر غايتة فى الحياة أو الواقع نفسة، فالفن اجتماعى فى نشأته وفى غايتة وماهيتة ووظيفتة، فهو ظاهرة ذات طابع اجتماعي. وكثير من العلماء يربطون بين الدين والفن، فيقولون ان الظاهرة الجمالية قد نشأت أول ما نشأت فى أحضان المعبد ، لان المعبد هو الذى عمل على ظهور أقدم الفنون البشرية جميعا وهو فن المعمار، ثم ظهرت الحاجة الى تزيين جدران المعابد بالنقوش والتماثيل والاشكال البارزة فكان من ذلك أن ظهر فن النحت ولم يلبث المثالون أن تفننوا فى التماثيل الملونة، فكان من ذلك أن ظهر فن التصوير الذى لم يكن يستعمل فى الاصل الا لتزيين جدران المعابد.

ولما كانت العبادة تستلزم بالضرورة اقامة الاحتفالات الدينية، فقد ظهرت على التعاقب فنون الرقص المقدس والموسيقى خصوصا الغناء والشعر الغنائي.

وهكذا نشأت معظم الفنون الجميلة فى أحضان المعبد، فكان الدين هو الظاهرة الاجتماعية الكبرى التى عملت على ظهور الفن وتطورة وترقيه[١٦].

ومن هنا نجد أن للمعتقدات الدينية والطقوس أو الشعائر والنظام الاجتماعى تأثير عظيم على الفن، فالاشياء التى ترتبط بالطقوس والشعائر أيا كانت صورتها قد تلقى عناية خاصة ويمكن أن تعتبر رموزا لتطور جمالى وفن عظيم، فالمعابد قد تصبح أثرا حيث توجد بها التماثيل الخاصة بالالهة والابطال والاسلاف والاعمدة الضخمة والردهات الواسعة.... الخ، وقد يؤثر وجود الملوك أو القادة على تطور الفن واسلوبه، فمنازلهم وقصورهم يتم زخرفتها بطريقة خاصة.

وقد تستخدم أساليب فنية أخرى فى مناسبات عامة كاقامه دور الندوات والاحتفالات....الخ وكذلك للاغنياء والموسرين من القوم أثر على الفن حيث يتنافسون فى امتلاك القصور المزخرفة والتحف النادرة[١٧].

الفن البدائى :-

تشير الفنون البدائية الى فنون شعوب المجتمعات التى لاتعرف القراءة والكتابة ولقد سجل الرجل البدائى على جدران وأسقف الكهوف التى اتخذها مأوى له ولاسرته رسوما بسيطة ولكنها و اضحة ومعبرة، وتشكل فى مفرداتها الافيال والوعول والزراف وغيرها، وكانت هذه الرسوم مرسومة على هيئة حفر غائر فى الصخور ولذلك احتفظ الملون فيها بألوانه. وكثيرا مايسجل الرجل البدائى رسوماته وانطباعاته على عظام الحيوانات وقرون الوعول بل تعدى ذلك على النقش على الاجسام الادمية نفسها بما يسمى الوشم.

وعلى هذا فان الفنون البدائية تغطى كثير من الانشطة مثل النحت والرسم وفن صنع السلال والنسيج وصنع الملابس والأقنعة وزينة الاشخاص والعمارة والغناء والرقص والموسيقى والشعر. هذه الفنون البدائية تحمل على عاتقها الرسالة الدينية والروحية وغالبيتها تلتزم بزيادة الاتصال بين القبائل والتماثيل والانسجام والهوية القبلية والعسكرية (الحربية)

ويعتقد أن لهذه الفنون البدائية فى حد ذاتها قوة السحر والحماية من الارواح الشريرة، وانتاجها يكون لغرض استخدامها فى الطقوس القبلية الخاصة بهم وغالبا ماتكون صناعة الأقنعة والعرائس والرسومات وسائل تعليمية متخصصة وتستخدم فى الطقوس الدينية والاحوال المدنية لتدريب الصغار وتعريفهم بذاتهم وقيمهم القبلية(١٨).

وتكشف الاثار البدائية عن الصفاء وصدق التعبير وربما كان قصد البدائى فى ممارسة الفن هو اتخاذه وسيلة لكسب القوت أو سبيلا الى تبادل الافكار بينه وبين أفراد جماعته. وكان هدف البدائيين من انتاج سلعهم هو خدمة الاغراض النفعية كصنع أدوات الصيد والزراعة وانتاج أوانى الفخار ومع ذلك فان أغلب ماشكلوه لايخلو من لمحات فنية ذات طابع جمالي.

الفنون الافريقية:

توحى لنا دراسة الفن الافريقى عن خلفية ذات الالغاز، حيث فى تناولها مفتاح للثقافة الافريقية.

والمقصود بالفن الافريقى مهما تعددت صورة هو ذلك الانتاج الفنى الصادق النقى الذى لايحتوى على المهارة التقنية بقدر مايعبر عن التلقائية والصدق، ذلك

الانتاج الصادر عن احساس فنان ينتمى بأصلة وجذورة البعيدة الى ارض هذه القارة الخضراء... دون مؤثرات وافده اليه من خارج بيئتة.. ربما وسط الاكواخ البسيطة بعيدا عن العمران.. بين الادغال الكثيفة أو وسط الشجيرات.. على شواطىء الانهار أو البحيرات. فن فطرى لم تشوبة شائبة.

والفنان الافريقى ذو حساسية مرهفة وقدرة فذة على ادراك العلاقات الشكلية واللونية والنفعية. فهناك علاقات وثيقة بين الشكل التخيلى للكوخ وما يمكن أن يصلح لصنعة من جذوع الاشجار الجافة وأعواد الخيزران وكذلك نوع القش الصالح له كغطاء للسقف والبيئة الافريقية كانت ولاتزال تزخر بالكثير من المواد التى تتناولها الرجل الافريقى فى انتاج ما يحتاج اليه من ادوات ولقد لعبت تلك المواد دورا هاما فى توجيه سلوك الفنان الافريقى وتفكيره.

ويلعب الحداد دورا أساسيا وعظيما فى الثقافة الافريقية. انه حرفى فى المقام الاول وهو ينتج أدوات مثل الفأس، الجاكوش(المطرقة) وكذلك الرماح والاسهم. وتعتمد كل الشعائر فى المجتمع الذى يعيش فيه بشكل أساسى على نشاطة علاوه على انتاج الادروات المعدنية وهو وحده قادر على نحت تمثال ذو علاقة بالاسلاف وبالارواح والدين كعبادات محلية فهو يضيف وظائف أخرى لطبيعة المجتمع.

وهو يلعب دورا ليس فقط بين أعضاء المجتمع ولكن بين الموتى والاحياء أيضا(١٩).

لقد نشأت عملية الانتاج الفنى من محاولة الانسان فهم الحياة، وللبيئة أهمية خاصة فالفن يرتبط بالاحوال البيئية والثقافية السائدة فى المجتمع، كما أن المواد الخام والاسلوب والوسط المحيط، كل هذه العوامل تؤثر وتحدد نوعية أنماط العمل الفني.

ومما لاشك فيه أن المنتجات التى أخرجها الفنان الافريقى توضح وتؤكد أن تلك المواد التى عثر عليها فى محيط بيئتة كانت تحدد له الى درجة كبيرة نوع الانتاج الذى تصلح له على أن يتولى هو طريقة تشكيلها واخراجها.

ولذا كان لدراسة فنون المجتمعات البسيطة والتقليدية بصفة عامة والفنون الافريقية بصفة خاصة أهمية بالغة.

الفن والمجتمع:ـ

يرتبط الاختلاف بين الفنانين بالمواقف الاجتماعية والسياسية التى يعيشونها حيث تحدد المستوى الجمالى والاساليب الفنية لهم.

وفى هذا المجال يمكن أن نحدد نوعين من الاساليب الفنية المرتبطة بأنوا ع محدده من المجتمع.

النوع الاول يشمل التماثيل والاقنعة ذات التصميم الهندسى المحدود فنيا.

النوع الثاني: ذو الخصائص الطبيعية

وهذان النوعان يمثلان قطبى الانتاج الفنى الافريقى فمثلا لو لاحظنا الانتاج الفنى لدى شعوب الكنغو والنيجريين والسودانيين كل فى محيطة نستطيع أن نميز نوعا الانتاج الفنى للافريقيين.

فنجد أن فن الكنغو والنيجيريين يتمثل فى التعبير عن قيم الحياة الاجتماعية المتمثلة فى زعيم القبيلة وحارسها أيضا(٢٠).

ولكنه ليس من الضرورى أن نجد نوعين متشابهين من المجتمعات من حيث

النظام السياسى والادارى ينتجان أعمالا فنية متشابهة فى الشكل حتى لو كانا ينتجان فنا رسميا.

ومن وجهة نظر أخرى نجد أن حضارة السودانيين تختلف عن الكنغو وعن نيجريا حيث أنها تعطى أهمية كبيرة للعلاقات الاجتماعية بين الافراد والجماعات من ناحية وبين الجماعات الوثنية وباقى أنحاء العالم من ناحية أخري.

فنجد أن الفنان لدى هذه الشعوب يحاول خلق نماذج فنية هامة، فنجد مثلا أن أغطية الرأس واللحى تعتبر من الصفات الرئيسية لرئيس القبيلة (Dogon) وكان الراقصون فى الحفلات التنكرية يرتدون أقنعة الاشخاص الذين يمثلونهم.

ونجد أنه من المؤكد أن النظام السياسى والتنظيم الداخلى يشجع على تطور الفن هذا من ناحية، ولكن من وجهة نظر أخرى نجد أن متطلبات الافراد أو الشعور بالتنافس بين الفنانين يعتبر عامل أساسى فى نشاط الفنان وابداعه(٢١).

ولذلك سوف نبدأ بالاشارة الى بعض أنواع الفنون الافريقية.

الرقص والموسيقى :-

يرتبط الرقص دائما بالموسيقي، ويمكن اعتبارة صورة من صور الفن أو التسلية أو النشاط الديني، كل من هذه الانشطة يمكن أن يكون له رقصاته الخاصة ويمكن أن يتحدوا فى رقصة واحده، وطبيعة الرقصة وتشكيلها تمليها المناسبة أو طبيعة الاحتفال.

ويختلف الرقص أيضا باختلاف استخداماتة، الرمزية نوع العادات الالات المستخدمة كما يتأثر الرقص بطبيعة النشاط الاقتصادى فنجد المجتمعات التى تعيش على الصيد يغلب على رقصتها محاكاة المطاردة بين الصياد والفريسة(٢٢).

واذا نظرنا الى تأثير الموسيقى واختلاف استخداماتها فاننا سوف نندهش لحقيقة أنها سمات شاملة للثقافة. ومن بعض هذه الاستخدامات الاحتجاج، الاتصالات، الرقص، التعبير عن الحب، الاهانه، العمل، الشفاء، الصيد، العرافة والسحر، رواية القصص الحزن المساندة السياسية، التربية(٢٣).

ان الرقص من أبرز الفنون عند الافريقيين فهم يرقصون ويتمايلون جماعات أو فرادى مهما تباعدت بينهم المسافات واختلفت بينهم العقائد والاديان. والرقص عندهم ميل فطرى يكاد يكون شبة غريزى يبدو واضحا فى القبائل الى ممارسة الرقص وارتداء الملابس الخاصة بحلقات الرقص وهم يرقصون سواء توافرت لديهم المصاحبة الموسيقية أما كان الرقص عملا قائما بذاته تصاحبة أنواع معينة من الصرخات أو الغناء الجماعي.

وغالبا ما يصاحب الرقص الافريقى ايقاعا من الدق على الطبول والنفخ فى الابواق ويتصارع الراقصون فى حركاتهم وتتميز كل رقصة عن الاخرى بنوع من الصرخات والاصوات المصاحبة ويلازم كل هذا أنواع من الزينة من قطع الفراء وجلود الصيد وريش الطيور والحلقات المعدنية التى يكون لها رنين رتيب طوال مدة الرقص، وهناك من الرقصات مايشترك فيه الرجال والنساء على السواء فهناك رقصة الترحيب ورقصة الحب ورقصة التقرب للالهة ورقصة الصيد ورقصة الحرب بل ورقصة الموت.

وترتبط الموسيقى ارتباطا وثيقا وتعتبر الطبول الافريقية من أكثر الالات الموسيقية انتشارا والكثير من هذه الطبول مصنوع من البوص الضخم الحجم والبعض الاخر مصنوع من جذوع الاشجار الجافة بعد إجراء التجويف اللازم لها وتغطى غالبية الطبول بأنواع رقيقة من جلد الحيوان وتشد شدا محكا مما يساعد على تباين الاصوات الصادرة منه.

وتظهر وظائف الموسيقى فى المجال السياسى فى الاغانى التى تمدح الزعماء وحتى الادوات التى تستخدم لها معان ووظائف مثل الطبول حيث ترمز الى القوة السياسية عند كثير من شعوب افريقيا لدرجة أنه لايمسح باقتناء مثل هذه الطبول لغير عائلة الزعيم أو الملك وتظهر بوضوح وظائف الموسيقى فى مجال النظم الاجتماعية فى مراسم الميلاد والزواج والموت.

ومن أبرز وظائفها فى مجال الضبط الاجتماعى نجد الاغانى وما يصاحبها من موسيقى ورقص وتندد بأولئك الذين يهملون واجباتهم وأخرى تستنكر حوادث الظلم الاجتماعى وغيرها من عوامل الضبط الاجتماعى .

ومن هنا نجد أن للموسيقى الافريقية قيمة وظيفية من ناحيتين.

الأولى/ أنها تندمج اندماجا كاملا مع ضروب النشاط الاخرى فى الحياة اليومية.

الثانية / أنها تمارسها أعداد كبيرة من الناس فى المجتمع ويستمتعون بها فالموسيقى نشاط يسهم فيه الجمهور الى جانب الممارسين لها. ويكاد كل فرد يحسن الغناء ويمارسة فعلا.

الدراما:ـ

تعرف الدراما فى هذه المجتمعات على أنها تعبير حركى عن المعتقدات، القيم، المشاعر، التسلية أو هى تعبير عن الجو النفسي. ويبدو أن الدراما تعبير عن رغبة الانسان فى رسم وتجسيد الاشياء التى نادرا مايشعر بها أو التى تسيطر على حياته دون أن يلاحظها. فهم لايرون الارواح والالهة ولايسمعونها ولكنهم من خلال الاقنعة والشعائر يحاولون التصرف كما تتصرف الالهة. وبهذا يوفر التمثيل نوع من الارضاء النفسى فى التعبير عن أشياء يتمنونها ولكنها لايمكن أن تحدث(٢٤).

الفنون الزخرفية والتشكيلية:ـ

يمكن أن يعبر عن الاشكال الفنية بنمط طبيعى تقليدي، أو يمكن ادخال رسوم هندسية يعبر بها عن المعانى التى تخص أو تميز الفنان أو المجتمع أو المجال الذى نبع منه الفن كأن يعبر عن الشمس ومقلة العين مثلا، وكثير من الزهور والفواكة برسم دائرة بسبب شكلها الدائري.

ويمكن أن تستخدم الدوائر بشكل رمزى تعبيرى بفكرة الالة أو العالم اللانهائى أو بعض الافكار المجردة. وبنفس الطريقة فجميع الخطوط المتقاطعة أو المتداخلة ينشأ عنها أشكال الصلبان أو النجوم التى يقصد بها رموز دينية أو سحرية ومن المحتمل أن كثير من الفن الزخرفى نتج أو نشأ من الاستخدام المستمر للرموز وعرضها بعد أن كانت معانيها واستخداماتها مهملة، فالدافع للزخرفة له قيمة كبرى وكثير من الدوافع لايمثل التسمية التى اطلقت عليه، فقد يتداخل مع رموز أخري، ويمكن للفنان أن يرمز لقوى الطبيعة بأشكال انسانية أو حيوانية ويرتب بعض الرسوم الزخرفيه بطريقة خاصه وربما من نسج خيالة

وفى احيان كثيرة يكون هدف الفنان توضيح معان دينية أو سحرية أو قيم اجتماعية تمارس وتطبق على الافراد والاشياء ويستخدم الفنان هذه الرموز لاغراض شتى منها حماية الانسان من الاذى والشر والقوى الخارقة للطبيعة، أو لتحقيق الامانى والوصول للهدف والغاية. ونعنى بالفن الزخرفى كل مايتعلق بالتصميم والزخرفة وعندما نتحدث عن التصميم فى نمط يرضينا بما فية من منفعة وجمال فى الوقت نفسة وهكذا تدخل الزخرفة ضمن التصميم. وظهرت بوضوح زخرفة الصخور وجدران الكهوف وحوائط الاكواخ، وكانت تدهن غالبا بالأصباغ النباتية أو الطين(٢٥).

وهكذا كان اللون والصلصال والخشب والمعادن والالياف النباتية والبوص تستغل أحسن استغلال فى تجميل جدران المبانى وكذلك أنواع الحصير المنسوج والمحاك والمجدول، أما الاقمشة فيوجد منها الاقمشة المطرزة والمدهونة والمطبوعة والمصبوغة. وكذلك السلال فهناك السلال المنسوجة والمجدولة.

يتضح من كل ما تقدم أنه عند دراسة الفن فى افريقيا لابد أن نتحدث عنه فى مناطق محددة حيث يظهر جليا الاختلاف فى شكل ونوع الفنون تبعا للاقتصاد القائم والمواد المتاحة.

شــرق افريقيــا

تعتمد معظم شعوب شرق أفريقا على الرعى والزراعة، ومن هنا ظهرت الاعمال المنحوتة من الخشب والقوالب الطينية وكذلك أقنعة الاعشاب التى تستعمل فى حفلات التكريس لانتقال الاطفال الى مرحلة البلوغ، وقد وجد هذا النوع من الانتاج الفنى لدى قبائل التوتسى فى رواندا، وقد صنعت قبيلة الماكوندى أقنعة لنفس الغرض، وأشكال خشبية صغيرة ترمز الى النساء الى جانب أوانى خزفية مزخرفة وأخرى خشبية ذات أغطية عليها نماذج ترمز الى الافيال والكركدن وغيرها من الحيوانات وقد خبر الفنان الافريقى أنوا ع الاشجار التى تصلح لانتاجة الفنى ان بعض أنوا ع الاشجار غير ملائمة للنحت لانها تكون صلبة أو كثيره العقد وبعضها يفسد بسرعة نتيجة للجو أو هجوم النمل الأبيض . وقبل أن يبدأ فى استخدام النوع المناسب يقوم بممارسات وطقوس معينة يشعر الفنان بعدها بأن الشجرة التى اختارها تبدو ملائمة للنحت ويتم النحت بصورة مباشرة على الخشب. ويستخدم فى ذلك الازميل والقدوم وسكين حادة ورمح سميك.

ويبدو أن النحات يحمل فى عقلة الشكل الكامل وأنه يبدأ برأس التمثال وينتهى منها قبل التعامل مع الاعضاء الاخر(٢٦).

ويصنع الفنان فى هذه المناطق من الخشب ومن جلد البقر ومن الخيوط النباتية جدرانا للأقنعة ويرمز للاسلاف بأشكال من الخشب وفى جنوب شرق منطقة البانتو صنعت أوعية اللبن الجميلة من الخشب وكذلك كراسى خشبية

منخفضة بدون مساند، ومساند للرقبة وطبول وأكواب خشبية وأوعية بأغطية وعصى للمشى وملاعق وصحون وغيرها .

ولكن كل هذا لايبرز الجانب الفنى الجمالى فى هذه المنطقة، وانما يظهر ذلك فى صنع الخرز، والضفائر وخواتم النحاس الاصفر وتسريحات الشعر المختلفة، والملابس الجلدية والدروع المزينة بزخارف بسيطة وكذلك الرماح المصنوعة من الحديد والخشب والتى تكتسب جمالاخاصا بسبب ماتمتاز به من تناسق وانسجام بين أجزائها .

ونجد أن الأزياء التى تصمم للمناسبات الخاصة والاحتفالات الرسمية تنم عن وسائلهم فى التعبير الجمالى ولذلك يمكن أن تعتبر شكلا متميزا من أشكال الفن كل هذا يثبت أن وسائل التعبير عن النفس بالنسبة لسكان أفريقيا الشرقية لاتقتصر على النحت والصب ولاتدخل ضمن أطار الفن التشكيلى أو التصويرى ولكنها تجد دائما مجالا للنشاط الخلاق ومصدرا للاستمتاع الجمالى حتى فى تزيين بيوتهم بالودع والخرز والجلود والحصر والاوانى الخزفية وفى الطريقة التى يتبعونها فى ترتيب هذه الاشياء.

وسط أفريقيا:

ولقد استطاعت شعوب زائير والمناطق المجاورة أن تنتج كثير من الأعمال النحتية والتماثيل وعمل الوسائد والكراسى والزجاجيات والصناديق والطبول والاقنعة وتماثيل صغيرة للحيوانات والانسان وكذلك الفؤوس ومقابض السكاكين وخلافة. ومعظم هذه المنتجات كان للاخشاب النصيب الاكبر فيها واستخدم أيضا العاج والعظام والحديد والنحاس والحجارة والطمى وبعض هذه المنتجات

غنى جدا بالزخارف وكانت الالوان غالبا الاحمر والابيض والاسود وأحيانا كانوا يلجأون الى طرق أخرى لجعل المنتج يأخذ اللون الاسود مثل الحرق بالدخان والحديد الساخن أو بمعالجتها بواسطة الوحل أو مستخلصات النبات أو باستخدام الزيوت(٢٧).

وتصنع فى أماكن عديدة من هذه المناطق أعمال الحدادة بدلا من النحت وتتمثل هذه الاعمال فى أشكال متنوعة من السكاكين ـ والاسلحة وقطع الغيار ورؤوس السهام والخلاخيل وزينة العنق وقد حاول كل من أولبرشتس Olbrechts وماسن Maesen، تصنيف أنواع وأشكال الفنون المختلفة فى وسط أفريقيا، وأضاف أخرون بعد ذلك الكثير من هذه التصنيفات، ولكن لايوجد توضيح لاستخدامات ووظائف ودلالات هذه الاعمال النحتية، ويرتبط كثير منها مباشرة بالاشكال المختلفة لعبادات الاسلاف بمعنى الاعجاب بالاسلاف ويرتبط البعض الاخر مع المعتقدات عن الوجود والروح والحياة وقوة الحياة وتستخدم فى الربط بين احتفالات دفن الموتى ومواقع القبور، وقليل من الاعمال يمثل جزء جوهرى من أساليب العلاج والقنص والسحر والتنبؤات، كما ترتبط أيضا بالاحتفالات القبلية والمناسبات، بالاضافة الى وظائف هذه الاعمال فى الطقوس الدينية والاجتماعية.

كما تعتبر هذه الاعمال الفنية المنحوتة ممتلكات وشارات للسلطة، فانها تدل على الرتبة والوضع الاجتماعى لاصحابها ومصدر قوة ودليل على سمو منزلة الشخص ويوجد الكثير من الاعمال الفنية بوظائفها وأشكالها المختلفة فى العديد من القبائل وربما يحمل العمل الفنى الواحد أكثر من وظيفة، ويعتمد هذا على مضمون استخدامة وبصفة عامة نجد أن عددا قليلا من الافراد، هو الذى

يعرف شيئا عن الفنانين جيدا وأسلوبهم فى العمل وتدريبهم وحريتهم الابداعية. ويرجع عدم المعرفة بالفنانين وأعمالهم الى التفتت السريع للتراث الفنى العظيم فى وسط افريقيا بسبب قوى الاستعمار والمستعمرين.

لايعمل الفنانون كفريق عمل شامل ولكنهم يؤدون أعمالهم بمساعدة عائلاتهم وأقاربهم، وغالبا مايكون مستخدمى الاعمال الفنية وأصحابها من الرجال، ولكن هذا لايمنع أن المرأة فى بعض المناطق تكون لها علاقة خاصة بالفن.

وكثيرامن الاعمال الفنية تكون مملوكة لرئيس القبيلة، والقواد والشخصيات العامة بها. وبعض الاعمال توجد فى أماكن عامة وليس لشخصيات بعينها[٢٨].

غرب افريقيا:

لقد شهدت أفريقيا الغربية قيام عدد من الممالك الكبيرة مثل ممالك مالى وغانا وايفى وبنين وغيرها ثم سقطت بعض هذه الممالك، ولاتزال بعض هذه الدول قائمة ومنها ايفى التى توجد داخل اقليم يوروبا، وبنين التى لاتضم الان الامدينة بنين والمناطق المحيطة بها مباشرة، وداهومى وأشانتى التى تشكل جزءا من دولة غانا الحديثة.

ونشأت فى هذه المنطقة مجتمعات زراعية بسيطة انحصر نشاطها الاقتصادى فى تأمين الحاجات الاساسية واقتصرت منتجاتها الفنية على عدد قليل من الاقنعة التى كانت تستعمل فى الطقوس الاجتماعية الخفيفة وعلى بعض الاشكال التى ترمز الى الارواح والالهة.

ويمكن القول بأن البؤرة التى تمركزت فيها ثقافات أفريقيا الغربية هى الدين مع أن أشكال الدين تختلف من جماعة لاخري، فبعض الجماعات تعتقد فى قوة الالهة الطبيعية، وبعضها يمارس عبادة الاسلاف عموما، وأخرى تؤكد عبادة الاسلاف من السلالات الملكية، وأما الهة الطبيعة فيكون لها أهمية ثانوية، البعض يرفع من شأن الارواح المحلية الفرعية وتمنحها منزلة أعلى من ألهة الطبيعة. ومن هذه الناحية نجد جماعة تركز على الاقنعة التى تعتبر مقر قوة الهة الطبيعة والارواح المحلية والاموات، وبعضها تصور الاعضاء البارزين فى العائلة الملكية مع حاشيتهم أو تركز على انتاج أشكال كاملة من البرونز أو الطين ترمز الى عائلتها ورسلها.

يعتبر غرب افريقيا واحد من أهم وأبرز وأعظم مناطق تصنيع الفنون فى العالم(٢٩). وتبدأ مساحة المنطقة من الساحل الاطلنطى فى السنغال متجة شرقا الى الكاميرون يحدها جنوبا ساحل غنيا متجة شمالا يتخللها غابات استوائية وسافانا وتصل الى حافة الصحراء الافريقية.

وللفن فى غرب افريقيا تاريخ طويل، ولكنه اضمحل، فلم تعد تصنع بعض الاقنعة والاشكال وكذلك أعمال النحاس لم تعد تجهز لفرش الاضرحة المقدسة، وتغيرت أيضا وتطورت الاحتفالات القبلية والطقوس الدينية والحفلات التنكرية وبالرغم من ذلك فان شهرة فن غرب افريقيا مازالت معروفة، وينظر الية كشكل ديناميكى له دور محرك فى المجتمع. وتوظف هذه الاعمال المنحوتة لعنصر حيوى فى حياة الاحياء. ولكن الاقنعة المنحوتة كانت تعبر دوما عن الارواح والمنافع التى تحضرها للناس، وتعتبر فقط أعمالا فنية عند ما تستخدم فى الحفلات التنكرية، وكذلك لابعاد الامال المحبطة لحياة الناس ولاضافة الاثارة والترفية.

ان فن غرب افريقيا يدوم ويستمر حتى ولو كانت أشكاله التعبيرية معدلة وموظفة بطرق جديدة لان الفنون التشكيلية العظيمة تصنع وتنتج بواسطة العديد من الافراد فى غرب افريقيا.

ولابد أن نذكر هنا أعمال النسيج والغزل الدقيقة واستخدام العديد من الخامات فى الملبس وتستخدم النساء فى عملية الغزل والنسج أنوال عمودية بينما يستخدم الرجال أنوال عرضية. كذلك صناعة الفخار من أجل الطقوس الدينية والاستخدامات المنزلية ويقوم بتصنيع الفخار غالبا النساء وأحيانا الرجال. ولديهم أيضا فنون العمارة والتشييد وأعمال أخرى من الطمى فى المناطق الجافة متقنة الصنع(٣٠).

وتعد منطقة غرب افريقيا من أخصب المناطق بالتراث الفنى وخاصة أقنعة شعوب غرب افريقيا، والرسوم المتناقضة الالوان والدروع المزينة والنحت على الخشب وابراز التقاطيع الدقيقة للرؤوس البرونزية وغيرها كثير من الاعمال الفنية الافريقية.

فللأقنعة فى غرب افريقيا وظيفة دينية وجمالية منذ أقدم العصور والى جانب الاقنعة فهناك أزياء من القماش تغطى الجسم كلة، كما أن هناك أيضا أشياء أخرى توضع على الرأس غير الاقنعة مثل أنوا ع معينة من الصحون تغطى أيضا بالقماش لتهبط عليها الروح إذا ماحضرت خلال اقامة احدى الشعائر الدينية. وكذلك أيضا أغطية للرأس من الريش المزخرف ترمز الى قوة خفية.

وهناك الى جانب الطقوس الدينية طقوس أخرى تقام للاحتفال بانتقال الاطفال الى مرحلة البلوغ ولها أقنعتها الخاصة.

من النقوش التى وجدت على الصخور يتضح أن الاقنعة قد استخدمت لفترة غير محدودة، وهى تستخدم حاليا مصاحبة لزراعة الارض والجنائز أو لبدء الاحتفالات الدينية، ولقد اتضح ان الاقنعة غير معروفة عند المجتمعات الرعوية وبهذا يمكن القول بأن الاقنعة ظهرت مرتبطة بالزراعة.

الأقنعة والشعائر الدينية:

الشعائر التى تستخدم فيها الاقنعة هى عادة زراعية أو جنائزية وتصاحب هذه الشعائر غالبا الاناشيد والموسيقى ورواية الاساطير لتكون فى النهاية عناصر متناسقة من الالوان والحركة والرقص والغناء. وغالبا مايكون ارتداء القناع خاص بالرجال فقط حيث لايسمح للنساء بأن تراهم. ولكن فى بعض المجتمعات مثل الهند فى سيراليون توجد شعائر خاصة بالنساء وفى الجنائز أو فى بداية مواسم الزراعة أو الحصاد يكون ارتداء الاقنعة بمثابة استدعاء للقوى المهمة التى صنعت العالم والمجتمعات ووظيفة القناع هى التاكيد على حقيقة الوجود المباشر للاساطير فى الحياه اليومية.

وتستخدم بشكل مختلف فى بداية الشعائر، حيث يجمع الشباب خارج القرية ويخضعون لسلسلة من التجارب لقياس درجة نضجهم الفزيائية والمعنوية، ويخضعون لمراحل تعليمية تكشف لهم بعض التفاصيل الدينية السرية بالاضافة الى غرس أحترام قوانين المجتمع داخل أذهانهم ويظهر القناع من حين لاخر كتجسيد للروح التى أنشأت الجنس البشرى ويستخدم القناع أيضا للحماية من الغزاه ومن السحرة، كما تستخدم كأداه ضغط سياسية فى أيدى الرهبان ويستخدم كذلك فى الرقصات التى تسبق المعارك الحربية.

ويصنع القناع لحماية حاملة وهو مصمم لكى يمتص قوة الحياه التى تخرج من الانسان أو من الحيوان لحظة موتة، فالقوة الحية المنطلقة لحظة الموت تكون هائمة وتشكل ارهاقا للاحياء يظهر فى اضطراب وجوههم، ويمكن للاقنعة اصطياد واستغلال هذه القوى وعندئذ يمكن توزيعها لاجل الصالح العام، وتحمى الاقنعة أيضا الراقص خلال أداء الشعائر من الالات التى يتعامل معها. ويختلف القناع عن التمثال حيث أن القناع يشمل الصفات الحيوانية والادمية.

كما يعتبر تلوين الوجة أيضا نوعا من الاقنعة ويتم ازالتة بعد أداء الشعائر. وبما ان تلوين الوجة يكون مؤقتا ويظل طوال فترة الرقص فقط، لذا يجب تمييزة عن الوشم أو خدوش الجلد أو حشو الاسنان والتى تترك أثرا دائما وتكون فى ذات الوقت منشقة عن العادات الاجتماعية وليست متعلقة بشعائر الاقنعة. ويمكن أن يصنع القناع على هيئة قبعة من الالياف تغذى الرأس أو يكون على شكل خوذة تثبت على الاكتاف بواسطة الحوامل. واذا كان من المفروض تغطية وجة الراقص تماما أثناء الرقصة وحدث أن كشف ولو لحظة واحده يعتبر ذلك نذير شؤم فيجب أن تعمل الاحتياطات الكافية لتغطية جسد الراقص بالكامل حتى لايتعرى جزء يمكن أن يدخل منه أشياء شريرة. وكذلك لايترك راقصى الاقنعة فى المجتمعات النسائية ببوندا فى ميند بسيراليون لايتركون الافتحات صغيرة للعينين أثناء الرقص وهذا شائع فى المناطق الاخرى.

ومع أن الاقنعة مصممة لكى تحمى حاملها من أن تحل بداخله الروح التى يتقمصها، لكنها فى نفس الوقت يمكنها الامساك بقوة هذه الروح، ولذلك فأى اخلال بقواعد ارتداء القناع يعرض الراقص لاحلال هذه القوى بداخلة، ومن جهة أخرى فان القناع نفسة يكون مكان لاستقرار تلك القوى الحيوية. والراقص الذى لايستطيع تحمل هذه القوى يكون عرضة لهجومها علية والذين يرتدون

الاقنعة يعرفون ما الذى يجب عليهم عملة أثناء نحت الاقنعة وكذلك المحاذير التى تسبق ارتدائها وهى محاذير ذات طبيعة جنسية وهم يطهرون أنفسهم ويقدمون القرابين، وعندما يمتلك شخص رجلا كان أو امرأة بواسطة تلك القوى الروحيه فانه لايمكن التمييز بينه وبين تلك القوى .

والحقيقة وراء ارتداء القناع هو محاولة تجسيد فكرة استمرار الحياه من خلال الموت ثم اعادة الروح للظهور من جديد. ولايصبح الراقص متحدا مع تلك القوى الروحية ولكنة يشعر بارتباطة معها وأن قواه قد غذيت بوجود يسمح له بالتخلى عن جسدة الفانى ودخول الحياة الابدية.

وقد افترض العالم الالمانى ليوفر وبنيوس نوعين من المجتمعات تلك التى فيها شعائر الاحلال تذهب بعيدا عن التصوف، والاخرى المجتمعات التى تستخدم القناع والتمثال على أسس سحرية، وهناك مجموعات أخرى تجمع بين المفهومين.

انواع الأقنعة:-

أن القناع من وجهة النظر الافريقية يعتبر الجزء الاهم فى تقاليدهم ويضاف الى الرأس أو الوجة المصمم فى القناع عناصر أخرى مثل الشعر أو اللحى وتكون مصنوعة من الياف النبات أو من القماش.

اقنعة القماش والأوراق :-

تعتبر هذه الاقنعة نمطا بسيطا من الاقنعة وعادة لايحتفظ به بعد مراسم الرقص وتقوم جماعة الميندو فى أقصى الجنوب الشرقى للكاميرون بأداء رقصة تمثل الصراع بين قوة الساحر ومحاربية مع روح الغابة التى ترتدى قناع

مصنوع من الالياف والاوراق والاعشاب وهناك أقنعة أخرى تصنع من القماش، وهناك مرحلة انتقالية مابين الاقنعة المرنة وتلك المصنوعة من الخشب، وهذه مصنوعة من القصب ويتم صنعها عن طريق نسج هذه الالياف وليس عن طريق الحفر، وهذا النوع من الاقنعة موجود فى الكنغو وزامبيا و أنجولا وعلى الرغم من كبر هذه الاقنعة الا أنها خفيفة الوزن وهى تغطى الراقص تماما. وهناك فى بعض المناطق فى الكنغو تجمع فى بعض الاحيان بين الاقنعة الخشبية المنحوتة وتلك المصنوعة من الخوص أو القصب حيث يضاف الى القناع الخشبى ملحقات من الخوص الملون. عالم الاقنعة هو عالم التخيلات حيث يندمج الراقصون و المشاهدون فى الاحداث لدرجة أنهم يعتبرون مايقومون به هو الحقيقة.

اقنعة الوجة :-

أن ملامح الوجة أخذت الكثير من أهتمام النحاتين الافارقة الذين أنتجوا العديد من الاشكال فى بعض الاعمال الخشبية الملونة يكون الاهتمام موجة الى تجريد العناصر ثم يظهر ملامح الوجة بعد ذلك عن طريق الخطوط والالوان، ويحتوى هذا النوع على أشكال منحوتة على نحو خفيف، وهناك بعض أعمال النحت تكون فيها منطقة الوسط منخفضة حتى أن الوجة بارزا للخارج، وفى بعض الاحيان تكون هذه الاقنعة على شكل قلب ومحاطة بقرنين محيطين بمستوى الوجة. وتشكل الشفاه اهتماما كبيرا عند الفنانين حيث يعتقد أن أطرافها هى المكان الذى تخرج منه الروح عند الموت. وهناك أقنعة صنعت من الذهب وجدت عند الاشانتى وهى عملت غالبا لملوكهم، فالملوك فى معتقداتهم يحيون فى السماء بعد موتهم ولكنهم يراقبون شعوبهم من هذا المكان المميز الذى توضع فيه الاقنعة الذهبية عند أضرحتهم. كما توجد أقنعة مصنوعة من النحاس والقصدير فى الايف، وأخرى من البرونز والعاج من بنين. وتتميز الاقنعة الذهبية والبرونزية بغناها التشكيلى الذى يجعلها مشابهة أكثر للوجة الانساني.

اقنعة الخوذة :-

قناع الخوذة ينحت من قطعة واحدة من الخشب على شكل انسان أو حيوان أو رأس أسطورية تغطى رأس مرتديها بالكامل، وقناع الخوذة يمكن رؤيته من كافة الزوايا بخلاف قناع الوجة. وهناك بعض الاقنعة تغطى بطبقة من جلد البقر المدبوغ، وفى بعض الاحيان تكون الاقنعة من وجهين أمراة ورجل ملتحي. الرأسان يكونان مرتبطين ببعضهما ولكنهما لايكونان وحدة متجانسة. وهناك أقنعة لاتصنع من قطعة واحدة ولكن من أجزاء متكاملة تكون نصف تمثال، والاجزاء المنحوتة تمتد لتشمل الرأس وأجزاء من العنق والصدر.

وبعض الاقنعة ليست بأوجة منحوتة ولانصف تمثال ولاأقنعة على شكل خوذة وانما هى غطاء دائرى يغطى رأس الراقص.

القمم الخوذية:-

تمثل هذه الاعمال بعض الاشكال التى لاتخفى وجة أو رأس الراقص وانما ترتدى فوق غطاء منسوج.

الاقنعة سيفية الشكل:-

بعض الاقنعة تتوج بسيف خشبى يصل طولة الى ١٥ قدم لقد اقتصر استخدام القناع السيفى على ثلاث ثقافات متشابهة وهى الدوجون والموسى والبوبوكيلي.

الربط بين الاقنعة والتماثيل يمكن اجراءه بطريقتين. وفى الوقت الذى كان فيه القناع السيفى يعتمد على خلفية خشبية مزينة نجد أن التماثيل الصغيرة بها خلفية هى امتداد للاذرع المرفوعة ونلاحظ أن هذه الخلفية تتلاشى تدريجيا حتى تختفى تماما من ظهر التمثال.

الاقنعة والقدرة التعبيرية :-

أن بعض أقنعة اليوروبا تظهر تعبيرات لاشخاص تبدو عليهم ملامح البهجة، كما تظهر بعض السمات الوجهية وخاصة العينين اللذين يكونان ظاهرين وبارزين. والبعض يتساءل هل يمكن البحث عن مشاعر مثل الالم والفزع أو الكرب فى ملامح القناع، هنا يجب التمييز بين السمات الى يمكن الاحساس بها ويمكن انتقالها بواسطة القناع وبين الشعور المستحث عند المشاهد. بخلاف هذا فان شفرة التعبيرات المؤثرة يختلف معناها من ثقافة لاخرى واذا كان هناك وجود للغة القناع فانها لايمكن ان تكون لغة عالمية حتى فى المجتمع أو المجموعة الواحدة لايمكن تعريف أى لغة تخاطب كل فرد بشكل مختلف عن الاخر.

فى النهاية فان تأثير القناع ليس بالضرورة موضحا بواسطة النحت الخشبي، ولكن تفسيرة يأتى من فهم العادات ودلالات الاشياء وكذلك المغزى الدينى للقصة التى يستخدم فيها القناع.

هذا ويؤكد كثير من العلماء على أن معظم الاقنعة توصف وتتسم بالرعب واشاعة الخوف فى القلوب.

وتفسيرنا للفن يفرض علينا طرح كافة الاحتمالات، بعض الاقنعة يظهر مغزاها من الجو المحيط داخل البيئة التى تستخدمها.

يجب أن نعلم أن القناع ليس صـورة رجل ولكنه تجـسـيـد للروح لايمكن تغييره وشكل لايمكن للزمن أن يبدله.

فالقناع الافريقى ليس تسجيلا لتعبيرات الانسان ولكنة تجسيد لتلك الارواح التى تسكنة ولهذا فإن النحات لايمكن أن يجسد شبح لايعرفه ولكنه يستدعى قوة هذه الروح لكى يعبر عنها بتلك التركيبات وتأخذ معظم الاقنعة شكل رجل، والاقنعـة التى توجـد على هيـئـة حـيـوانات ليـست الا تجـسـيـدا لارواح هذه المخلوقات.

تظهر كثير من الاقنعة بجفون منتفخة ومظهر أنثوي، وغالبا لايوجد تحديد لجنس التمـثال، ويرجع هذا الى أن الروح تعمل بشكل خـفي، والقـضـيـة ليست قـضـيـة جنس، وربما يرمـز المظهر الانثـوى فى بعض الاحـيـان الى خـصـوبة الارض، وعلى أية حال فان الجنس ليس مقصودا ولكن الحياه هى المطلوبة.

ويبدوا أن القناع الافريقى أو التمـثال اتحاد من الاشـارات التى تعيد خلق الواقع (Reality) بمساعدة مـعانى ثابتة عناصـرها ليس وحيا من الطبيـعة ولكنها تحمل قالب وفلسفة خاصة(٣١).

فن جنوب أفريقيا :ـ

عنما نتـحـدث عن فن جنوب أفـريقـيـا فـيكون المقـصـود به فن البـشـمن وهى منطقـة فن هائلة، وربما يكون للبـشـمن الحـاليين نصـيب فى هذا الفن حتى ولو كـان بسـيطا . ولقـد قـدم هذا الفن فى ذروة تطوره فى المقـام الاول اشكالا وحيوانات وفى المرتبة الثـانية أشخاصـا ونباتات واشكالا هندسية وتتميز أحسن النماذج الفنية بأنها تمثل حقائق الطبيعة العظيمة، كما هو الحال فى أعمال فن

الصحراء وتتوافر مثل هذه الرسوم الصخرية فى المنطقة من مدينة الكاب شمالا الى زمبيزى ومن الجبال المحيطة فى جنوب غرب أفريقيا الى الحدود الشرقية لروديسيا.

ولقد اشتهر البشمن الذين يمارسون الصيد بفن الرسم والنحت والتصوير ولكن يبدو أنه منذ بداية القرن العشرين، قد توقف هذا النوع من الفن، فقد ظهرت أشكال هندسية مكررة فى المنطقة الشمالية الغربية لجماعات البشمن على الحجارة وعلى المزامير المصنوعة من العظام، وكذلك على الغلاف الخارجى لبيض النعام الذى كان يستعمل لحفظ الماء، وكانت أكياس الجلد تزين أيضا بأنماط مماثلة، وفى بعض الاحيان كانت الادوات الخشبية والعصى تزخرف بتشكيلات من الخطوط تثبت عليها بطريقة الكي.

يضاف الى كل ماتقدم المواد التى اشتهرت فى أفريقيا بالانتاج الفني.

الخشب :-

يعتبر الخشب هو المادة الصناعية الطبيعية المتاحة، ويصنع الافريقى منه ومن جلد البقر ومن الخيوط النباتية جدرانا للاقنعة. ويرمز للأسلاف بأشكال من الخشب.

أما الادوات التى تستخدم فى التصنيع فهى الفأس والسكين والمنقش، (آلة النقش) والأزميل، (آلة النحت)، والمسحل، فارة النجار، والمبرد. ومن الاشياء التى يستخدمها الانسان أيضا لزخرفة الخشب والتى أحضرها البيض، هى الصقل بشظايا الحجر ورقائق من الزلط، بالاضافة الى التلميع والتطعيم بالخشب الاحمر المعالج بالدخان وعصير الاوراق للدهان. ومن تلك الوسائل

أيضا التغطية بالجلد أو الشغل بالخرز واستخدام رقائق الذهب أو الواح الفضة ورقائق الصفيح أو القصدير، وهكذا حافظ الانسان على أعمال الخشب. وفى جنوب شرق منطقة البانتو صنعت أوعية اللبن الجميلة من الخشب، وكذلك كراسى خشبية منخفضة بدون مساند، ومساند للرقبة، وطبول وأكواب خشبية وأوعية بأغطية وعصى للمشى وملاعق وصحون وغير ذلك كثير. ويمكن للمرء أن يجد من الاوعية المزينة ذات اللمحات الفنية الخالصة التى تشير الى مغزى دينى الى جانب أوعية أخرى من مثل تلك اللمحات وتتمثل الاولى فى أعمال الفخار والثانية فى أوعية القرع العسلى وأوعية اللبن التى تولع بها شعوب مثل الماساى والفلبا وشعوب رعوية أخري.

ومن المواد المفضلة والتى توجد فقط فى الساحات الملكية وترمز الى القوة **سن الفيل**. ففى بنين القديمة واليوروبا انتاج فنى رفيع فى مجال نحت سن الفيل منها الملاعق المصنوعة من سن الفيل وحلقات الاذرع المزدوجة المفتوحة والنمور العظيمة ذات القواعد النحاسية والاقنعة المعلقة وأسنان الفيل والاجراس والابواق التى تستعمل للنداء.

يضاف الى العاج أعمال **العظام والاسنان والقواقع وقشر البيض** ويستخدم الصيادون الكبار والملوك والامراء للزينة أسنان القطط البرية والاسود والنمور ولكنها تستخدم أيضا كرمز للقوة والسلطة، كما تستخدم عظام وفقرات الثعابين والاسماك والأفيال، ونفس الشيء بالنسبة لشعر الفيل والزرافة فى الزينة، ويستخرج من جسم بعض القواقع شرائح بيضاء مصقولة، وتعتبر فى روديسيا والكنغو وأنجولا وشرق أفريقيا رمزا للزعامة.

ويعد **الصدف** عنصرا هاما كأداة للزينة وكوسيلة نقدية في أفريقيا السوداء.

ومن الاشياء التى كانت تستعمل ايضا فى التبادل سلاسل مصنوعة من بيض النعام المصقول والمشغول مع الخرز وكذلك سلاسل من قطع القواقع ولقد ظن الرحالة الأوائل أنها سمة مميزة مقصورة على البشمن والهوتنتوت.

أما تصنيع **الحجر** فكان نادراً لدى الزنوج، ومع ذلك فقد وجدت مكتشفات حجرية تستحق الذكر فى إيفى Ife والاشكال الحجرية فى سيراليون والكنغو السفلى وشرائح الأحجار الكريمة والاحجار العادية فى زمبابوى وحلقات اليد الحجرية عند الطوارق والأوانى الحجرية لدى البشاريين والعبابدة فى شمال شرق أفريقيا.

أما صناعة نحت **التماثيل الطينية** فهى عكس ذلك ، تنتشر بكثرة فى القارة ومنها مكتشفات نوك Nok فى نيجيريا، فقد وجد هناك ـ ضمن ما وجد ـ رؤوس وتماثيل نصفية(٣٢).عديدة من الفخار، ومكتشفات الساوSaw(٣٣). فى منطقة بحيرة تشاد (رؤوس كباش فخارية كثيرة)، ومنها أيضاً أشكال فخارية فى القصور الملكية (فى داهومي)، وأشكال حيوانية مختلفة وأقنعة فخارية بالكمرون. أما فى الأشانتى واليوروبا وماتاكام فى جبال المندارا وغيرها فإنهم يصنعون أوعية لحفظ أدوات السلف وتقوم النساء بصناعة نحت التماثيل والأدوات الفخارية ـ وبصفة خاصة الأخيرة ـ وغالباً ما تكون زوجة الحداد «قابلة» وصانعة للأوانى الفخارية فى نفس الوقت. وتخرج من تحت أصابعها الماهرة ـ كما هو الحال مثلا عند المتاكام Matakam فى جبال مندارا ـ جرار الأرواح المشكلة فى شكل بشر (فراى Vray) وكذلك الأوانى المقدسة. وتتكون هذه القطع الفخارية من قطع الفخار الصغيرة البسيطة ونشارة الخشب. أما فى شمال أفريقيا ومصر والهوسا والبا كونجو فتوجد قطع الأوانى الفخارية الحقيقية. وتصنع الصحون والأوانى الفخارية عندهم بطريقتين : فأما أن يصنع

الإناء من قطعة واحدة من كومة الفخار المكسة ويدهن الجدار من الداخل والخارج بنعومة، وإما أن يصنع جدار الوعاء من حلقات فى شكل حلزوني(٣٤).

ثم ينعم بعد ذلك ويتم حرق الفخار فى حقل مفتوح أو مع حرق الحشائش، ويمكن أن تستعمل صانعة الفخار للحرق قطع الغاب وقوالح الذرة والزلط المسطح وبعض قطع القرع العسل الجافة.

ولقد كان **للمعدن** معنى عظيم بالنسبة للأفريقين، وخاصة الحديد. وقد استخرج الحديد من نباتا Nabata ومروى Meroe (منطقة أعال النيل) وانتقل إلى الغرب (حوالى أربعمائة سنة قبل الميلاد) وكذلك أيضاً جاء إلى نوك Nok (نيجيريا) ، وربما يكون الحديد قد وصل فى هذا الوقت من شمال أفريقيا (ليبيا) إلى السودان الغربي(٣٥) وبمعرفة الحديد دخل الزنوج التاريخ. وربما كانت معرفة تصنيع الحيديد وقفاً على الملوك والقساوسة وسراً يحتفظون به وما زال يعتبر الحداد إلى اليوم شخصية مرموقة بين الزنوج، ومن هنا يلعب الحديد فى طقوس الزنوج دوراً كبيراً ، ومع ذلك فإن الحداد محتقر عند الحاميين كما هو الحال مثلا عند الماساى ، ولذلك فإن طبقة الحدادين تتزاوج داخلياً ولا يسمح لهم بالزواج من خارج تلك الطبقة وقد ظهر الاهتمام بالحديد أيضاً باستخدامه فى أدوات الزينة المتعددة كالسلاسل وفى المآزر المصنوعة من الشرائط وفى تصنيعه فى شكل حبات كما هو عند الماساي، جنوب شرق السودان وعند التوجو والهررو.

إن أطراف الرماح والسهام ، الفئوس والسكاكين والمشكلة بطريقة فنية رائعة والسيوف والمطارق وغير ذلك من الأدوات الحديدية والتماثيل التى تحمل معنى معينا والمصنوعة من الحديد فى داهومي(٣٦) مثلا والتماثيل الحديدية التى تشتهر بها شعوب أفريقية كثيرة. يشير كل ذلك إلى المعنى العظيم الذى اكتسبه

الحديد فى مجالات فنية وأعمال يدوية مختلفة فى أفريقيا. ويعد نحت أشكال كبيرة من الخشب على هيئة طيور وحيوانات مختلفة، وتغطيتها بألواح حديدية ، أحدها الأساليب الفنية التى ترمز إلى العائلات الملكية[٣٧] وهناك حالات كان الطائر الخشبى يغطى فيها بألواح رقيقة من النحاس الأصفر وترفق به أجنحة من الحديد المطاوع.

ويبدو أن معادن النحاس والفضة والذهب قد بدئ باستعمالها فى أفريقيا مبكراً . ومما ذكر فى هذا المجال أن العامة فى بنين استعملوا أدوات الزينة النحاسية فى شكل أساور وخلاخيل فى أواخر القرن الرابع عشر [٣٨]

وكانت بدا Bida تعد مركزاً لصناعة متقدمة فى صب القصدير والبرونز وفى النقش وإنتاج أسلاك الفضة وتصنيع الخرز ويذكر لويزنجر Leu-zinger[٣٩] أن زمبابوى وأثيوبيا والقرن الشرقى وبلاد الهوساكانت مراكز لإنتاج القصدير .

وتستخدم الفضة أساساً فى الزينة، وبصفة خاصة لدى الدول الإسلامية وكذلك البلاد التى تقع تحت التأثير العربي، وخاصة على الساحل الشرقى لأفريقيا، حيث اشتهرت بإضافة بعض المواد إلى الفضة، منها شرائح ذهبية وورود صغيرة ونقط على شكل خطوط وعناقيد وكذلك أدوات الزينة الفضية المخرمة، والحلقات التى تلبس فى الأذرع وحلقات الأرجل الفضية على النمط العربي. ولكن نمط تزيين الأنف والأذن فيرجع إلى تأثيرات هندية. وكانت المادة الخام لأعمال الفضية تأتى غالباً من وديان ماريا تريزا [٤٠]. حيث تصهر ثم تدق وتسحب إلى أن تصبح أسلاكاً، ونجد سحب الأسلاك الفضية منتشراً فى شرق ليبيريا إلى شمال أداوما Adauma ، وكانت تعد من بضائع التصدير المرغوبة مع الذهب والعبيد والعاج وفلفل الملاجيتا Malagetta حيث تصل هذه

البضائع من جنوب القارة إلى السودان ومن هناك إلى الشمال وهكذا اتخذت بعض مناطق التصدير أسمائها تبعاً للسلع التى اشتهرت بها مثل «ساحل العاج»، «وساحل الذهب»و«ساحل الفلفل»، وأخيراً «ساحل العبيد» . ولقد اصبحت تجارة الذهب والملح محور التعامل القوى لقوافل التجارة المارة بالصحراد وتتحدث روايات الرحالة والمؤرخين عن قبيلة الأشانتى والواح الذهب الرقيقة التى استعملت لتصفيح الكرسى الملكى وكذلك عن حلى ذهبية يتزين بها أعضاء العائلة الملكية[٤١] حتى أن الثروة الذهبية لملك الأشانتى فاقت كل تصور وكذلك المونوموتابا Monomotaba فقد لقب بملك مناجم زمبابوي[٤٢] وكان الملك منساموسي[٤٣] أحد ملوك دولة مالى الكبيرة فى السودان الغربى ويعتبر شخصية مرموقة نظرا لما حمله معه فى رحلته إلى مكة للحج من كميات هائلة من الذهب التى وزعها بسخاء كصدقات خلال مرورة عن طريق أولاتا وواحة توات والقاهرة . وكذلك اشهرت الأشانتى بأعمالها الذهبية، فهناك «أقنعة» صغيرة من الذهب ربما استعملت كحلى متدلية ووصلت بأسلاك ذهبية، وهذه الأقنعة على شكل وجوه بشرية أو رؤوس كباش ناطحة.. ومن أشهر هذه الاعمال هو القناع الذى يزن حوالى كيلو ونصف من الذهب الخالص من كنز ملك الأشانتى كوفى ككالي Kofi Kalkalli وتشتهر هناك كذلك القطع الذهبية الكبيرة المطروقة والمنقوشة والتى تستعمل كازرار. وكان الصيا غ يكونون طبقة فى قصر الملك ولم يكن يسمح لأحد غيرهم باستعمال المجوهرات خارج الساحة الملكية للأشانتي.

إن استخدام الذهب على الملابس وعلى مقابض وأعمدة الأسلحة وزخرفة التيجان بأزرار ذهبية وورود صغيرة من الذهب ونجوم ذهبية يدل على مقدرة أخرى للعمل اليدوى العظيم.

وهناك تقارير تشير أيضاً إلى استعمال البرونز عند الأسانتى والمناطق المجاورة لها . وقد انتشر استعمال الصب بطريقة القوالب الشمعية فى السودان الأعلى ، وأغلب الظن أن معرفته فد جاءت عن طريق مشابه لصناعة الحديد، فمرة جاء عبر الصحراء ومرة أخرى عن طريق وادى النيل خلال السودان على بحيرة تشاد إلى يوروبا وبنين حيث استخدم فى ساحات قصور الملوك والسلاطين . أما عند الأشانتى فكان النحاس الأصفر أو البرونز أكثر شيوعاً من المعادن الأخرى ، واستعمل فى صنع موازين صغيرة للذهب وفق تصميمات دقيقة، وكذلك فى صنع موازين صغيرة وجرار مزخرفة من النحاس العادى والنحاس الأصفر . وكان للزنوج ولع شديد بإستخدام النحاس والحديد أكثر من المعادن الأخري.

ويعتبر **الجلد** مادة تصنيع أخرى بنفس المستوى الفنى العالي. وهو المادة الخام عند الرعاة والصيادين وأبسط طريقة للدبغ هى المعاملة بالدهن ، وأما الدبغ بعصير النباتات فيرجع إلى حضارة عالية. وعند الحاميين الشرقيين توضع قطع الفرو والجلد مع بعضها (على طريق المزايكو (Mosaic - Work) وعند الماساى نرى دروعاً من الجلد مرسومة بطريقة فنية رائعة، وتزين المعاطف المصنوعة من الجلد بأهداب مزخرفة بالخرز والقواقع . أما الماندنجو والهوسا والفلبا فقد بلغ عندهم تصنيع الجلد الذروة. ويحتل تجار الجلد منهم فى السودان مكانة عالية . وكذلك وصل تصنيع الجلد لدى الطوارق إلى درجة مرموقة من التطور، إذ أن الرسم والتشقيق والنقش والضغط والتجديل ٠عمل الضفائر) والقشط والإضافة والتطريز كلها تعتبر من فنون زخرفة الجلد ، ويحصل صانعو الجلود على الألوان من البذور وأكسيد الحديد. ولقد اشتهرت تقنية صناعة الجلود بصفة خاصة فى السودان ودول غينيا بتصنيع الشنط والوسائد ومعدات اللجام ومقابض السيوف والخناجر المزخرفة والأبواق والأغماد التى توضع فيها الخناجر وكذلك القبعات والأحذية والصنادل.

وقد أدخلت الصناعة الأجنبية الحديثة على صناعة الجلد القديمة تعديلات مناسبة ذكية، وذلك عن طريق التطور المستمر للأشياء التقليدية وجعلها فى وضع يقارب القديم بهدف الكسب ولقد أشار لويزينجر Leuzinger إلى عملية التجديل كعمل لشغل وقت فراغ الرجال وهم يستخدمون فى ذلك أسنانهم وأصابعهم إلى جانب السكاكين والأمشاط . وفى الأدغال والسافانا يستخدم فى عملية التجديل خيوط الأوراق وفتائل من جذوع نخيل البلح ونخيل الرافيا وأوراق البردى papyrus والذرة وأنواع أخرى مختلفة من الحشائش.

وتمثل الملابس لوناً أخر من الفن ، وبصفة خاصة ما يرسم على القماش وقطع لحاء الشجر والطبع عن طريق الختم (أشانتى وباجندا ومنجوتو) بالإضافة إلى طريقة أخرى هى الكى . وفى البامبارا والماندجو يصنع النسيج القطنى بعصير جذور صفراء ، وترسم فوقه المرأة ـــ التى تقوم بعملية الصبغ أو التلوين ـــ زخارف ونقوشاً وتدهنها بمادة محلية كاوية وبعد ذلك تغطى القطعة كلها بطبقة من الطين وتنفض بعد أن تجف . وبعد غسلها عدة مرات أو بعد وضعها في مجري مائي تصبح نظيفة تماماً من الطين. وهناك طريقة ثانية وهي طي قطعة القماش وربطها في شكل لفائف، كما تحاك عليها أيضاً قطع حجرية صغيرة ومواسير (في ساحل العاج والهوسا والجيكون واليوروبا وكوبا)، ثم توضع في محلول ملون (النيله)، وبعد ذلك تفرد وتترك لكي تجف. ثم تفك بروز القطعة ولفائفها وتفصل القطع عن بعضها وتبعد الأحجار وقطع المواسير. ويبدو أن فن الطباعة علي القماش حالياً مأخوذ من هذه الطرق القديمة ولكن بطريقة ماهرة مناسبة.. وتستخدم بعض الشعوب، مثل الطوارق، حتي الآن ملابس مصبوغة باللون الأزرق الغامق شديد الزرقة، وينقع القماش المنسوج يدوياً لمدة يومين كاملين فيما يسمي بآبار التلوين وفيها يذاب لون النيلة

ثم يخرج القماش ويضرب بلوح خشبي عريض إلي أن يجف. والأماكن الهامة المشهورة بإنتاج هذا القماش هي كانو وكورا kano, kora.

وتنتج المصانع الإنجليزية أنواعاً من الأقمشة تلقي رواجاً لدي الطوارق لأنها تتضمن المزايا المفضلة لديهم وهي اللمعان الجميل والتلوين القوي والأشكال المخططة التي تتكون من حياكة الأطراف الضيقة مع بعضها. ويمكن نسخ شرائط ضيقة علي أنوال الأهالي ثم تحاك هذه الشرائط معاً وكخاصية رابعة نذكر رائحة النيلة النموذجية ...

الهوامـــش

1 - R. Tylaz: cultural ways, 1980 .p18
2 - I bid. p.p. 31 - 34
3 - winick. charles: 1964. p. 144.
4 - Palg. f.and Bats D.G.: 1980. p. 15.
5 - Palg: op. cit. p. 279
6 - R. Tylar: 1980. p. 18.
7 - Theodorson G. and Th.A.: 1969.p.96
8 - محمد عوض : ١٩٦٥
9 - المرجع السابق
10 - seligman, G., G : 1968. p.5.
11 Winick.ch. : 1964. P. 384.
12 - أحمد زكي بدوي:١٩٧٨ ص ٢٨٥.
13 - زكريا ابراهيم: ١٩٦٤ ص ١٣
14. David E. Hunter: 1976. p.p. 20 - 23.
15. أحمد أبو زيد ١٩٥٧ ص ١٩٥
16. زكريا إبراهيم، مرجع سابق ص ١٠٦وما بعدها
17. Notes and Queries on Anthro. 1964 p.p. 308 - 335.
18.: Gerbrand: 1954. p. 45.
19. Jean L. : 1973. P.85..
20 - Ibid P.P.101 128.
21 - Ibid p. 113
22 - Robert . l. : 1973 p.p. 245-246.
23 - Ibid. p. 244.(ميريام) ١٩٦٤ ص٢١٦)
24 - Robert. Op. cit ,p.p246 - 247

25 - مرجريت تروبل: ١٩٨٢ ص ٨

وصفوت كمال: ١٩٩٠ صفحات ٧، ١١، ٥٩

26 -Jean l. : Op.. cit . p..p. 76 - 77

27 - David. H : cp. cit. p. 23.

28. .Ibid. p. 24.

29 - Ibid. p. 15.

30 - Ibid. p. 15.

30. Ibid. p.25.

31- Tean L. :op. cit:(5) P.P. 137 - 180.

32 - Hirschberg., w. 1965. p. 208.

33 - Ibid. P. 209

34 - Ibid P. 209

35 - هرسكوفتز: ١٩٦٦ ص ٦٦

36 - نفس المرجع السابق ص ٦٥

37 - نفس المرجع السابق ص٦٧

Dapper., o. : 1970

38 - Leuzinger,E.: 1959.

39 - Der Kleine Brockhaus, :Eweiter Band. p. 69. 1962

40 - هرسكوفتز: مرجع سابق ١٩٦٦ ص ٦٧

41 - Hirschberg W. : Op.cit:1965. p. 211

42 - Seligman. 1956 . P. 35

المرجــع العربيــة :

١ ـ أحمد أبو زيد:يايلور، سلسلة توابع الفكرالعربي، دار المعارف ١٩٥٧

٢ ـ أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبة لبنان ١٩٧٨

٣ ـ زكريا إبراهيم: مشكلة الفن، مكتبة جامعة القاهرة ١٩٦٤

٤ ـ صفوت كمال:مجلة الفنون الشعبية، العدد ٣٠ ـ ٣١ يناير ـ يونية، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠.

٥ ـ مرجريت تروبل: الفن الزخرفي في أفريقيا، أصول التصميم في الفن الأفريقي. ترجمة مجدي فريد، الطبعة الثالثة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٨٢.

٦ ـ محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الافريقية، سلسلةدراسات أفريقية، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٥.

٧ ـ هرسكفتر ملفيل، وليم باسكوب: الثقافة الإفريقية، ترجمة عبد الملك الناشف، المكتبه العصرية ١٩٦٦.

المراجع الأجنبية

1) Dapper, o., : umstandliche und Eigentliche Beschreibung Von Afrika. Amsterdam 1970

2) David E. Hunte, Encychlo pedia of Anthropology 1946

3) Der kleine Brockhaus, Zweiter Band L - Z. 196

4) Gerbrand:In Encyclopdia of Anthropology 1957, p.45

5) HirschbergW.,: Volkerkunde Afrikas, 1965.

p 20

6) Jean laude: The Arts of Black Africa.Translatet by Jean De-cock. university of california press, Berkley losAngeles, London 1973

7) leuzinger E.: Kunst der negervolker. In kunsder welt, Baden Baden 1959.

8 Notes and Queries on Anthr., sixth, Ed., Committee of Royal Anthropological Institute of Great Britain and Irland. Routledge and Kegan LTD. 1964 p.p. 308. 335.

9) Polg, F. and Bates, D.G.: cultural anhthro. 2 nd. ed Alfred A. Knopf New york, 1980

10) Robert B. Tylor:culturalWays, Allyn and Bacon Bosten, 1980.

11) Seligman, G.G.:Races of Africa, Oxford university press,1968.

الفصل الثانى

الملبس والزينة

العناية بالجسم والتزين (١):

مما يميز الانسان عادة أنه يزين ويجمل سماته الطبيعية بوسائل صناعية فهو يحاول تأكيد شخصه فى وضع مناسب حيث يجمل أو يخفى أو يغير صفات مظهره الشخصي. كملامحه وبشرته وشعره، فنجده يزين نفسه بزينات شخصية ويغطى نفسه بالملابس لتحميه أو لتميزه عن غيره.

(أ) النظافة:

تبدو النظافة الشخصية، والتى تختلف درجتها اختلافا كبيرا من المميزات القبلية وهى لا ترتبط غالبا بوفرة الماء أو ندرته. فنجد شعوبا كثيرة تهتم بالاغتسال فى أوقات منتظمة قبل الأكل وبعده، وقبل الذهاب إلى الأعمال الرسمية وبعد العودة منها: كالزيارات أو فى مناسبات اقامة الطقوس والشعائر. وتدهن بعض الشعوب أجسامها بالزيت أو الدهن أو بالرماد الناعم ربما للحفاظ على الجلد فى حالة طبيعية لحمايته من الحشرات أو من الطفيليات الخارجية. وغالبا توجد أماكن وأدوات محددة للاغتسال والاستحمام، كما تختلف المنظفات حسب اختلاف الشعوب. ولبعض الشعوب رائحة مميزة بالنسبة للجسم والملبس. وتستخدم العطور غالبا لتخفى الرائحة الطبيعية، سواء كان ذلك

مقصودا أو كنتيجة لرائحة المراهم أو طلاء الوجه، أو مستحضر تجميلى أخر كالكريم وغيره، وربما تستخدم العطور أو مواد أخرى ذات رائحة لتقوية الجاذبية الجنسية.

وبغض النظر عن النظافة فان المظهر الشخصى للانسان ينال منه اهتماما كبيرا ويأخذ صورا مختلفة فالبعض يعدل من مظهره الطبيعى ولهذا سببه الأكيد وأول هذا التعديل:

ب ـ الحلاقة:

وهى واحدة من أكثر وسائل التزين أو تغيير المظهر الشخصى شيوعا، سواء كانت بغرض الملاءمة أو التزين، أو للتمييز بين الأفراد والجنسين والمراتب الاجتماعية كالزعماء المتزوجين وغير المتزوجين، والمواطنين والأشخاص ذوى المكانة الخاصة، وتختلف الشعوب فى الطريقة التى يحلق بها الشعر وشكل الشعر، فمنهم من يقصر الشعر فقط أو يحلق بعضه أو تترك خصلات معينة أو يزال جزء كامل منه أو يترك بدون قص. وربما تحدث هذه التغيرات للجنسين أو لأحدهما، أو تكون شائعة بين كل الناس أو خاصة بطبقة معينة أو بأرباب حرفة ما، وبعضها يمثل اتجاها طبيعيا يميز أحد القبائل أو الشعوب.

وتسهل الرخاوة الكبيرة التى يتميز بها رأس الطفل حديث الولادة فى تشكيلها الى أحد الأشكال التى غالبا ما تختلف بشكل ملحوظ عن الوضع الطبيعي. ويمكن تقسيم التغييرات فى شكل الرأس الى قسمين رئيسيين:

١ ـ تلقائية: فعلى سبيل المثال يمكن أن يحدث تستطيح تام لمؤخرة الرأس نتيجة لرقاد الطفل فى فراش صلب أو لشده بأربطة ملفوفة الى لوح الفراش.

ويمكن أن تفقد الرأس تناسقها من أثر وضعها على نفس الجانب أو حملها على نفس الذراع كذلك يمكن تعديل الشكل من غير قصد باستخدام نوع ضيق من أغطية الرأس حيث يسبب ذلك تسطيحا للجبهة أو يؤدى الى أن يكون مؤخر الرأس مخروطيا أو كلاهما.

٢ ـ مقصودة: وتتم هذه التغيرات المقصودة:

(أ) بمجرد تشكيل رأس الطفل باليد. (ب) أو باستخدام الأربطة (جـ) ـ أو بوضع لوح أو أكثر أو قطع من اللباد حتى يبلغ أقصى طوله له وربما تكون هذه الطرق مرتبطة بالعمر أو بالحالة الاجتماعية كالزواج، والحداد فى حالة الوفاة أو بسبب الدين. ويقوم بعملية الحلاقة أو التقصير غالبا شخص معين يستخدم أدوات محددة.

هذا وطريقة تصفيف الشعر من الأشياء التى تتفنن فيها الشعوب فمنهم من يجدل العشر أو يلفه فى تجعدات والبعض يزينه بأنواع من الحلى مثل الأمشاط والدبابيس والخرز والريش والزهور ويدهنه بعضهم بالزيت والشحم والدهن والطين أو ربما يصبغ لغرض ما، وقد تلبس بعض الشعوب باروكة فى مناسبات معينة وكذلك قد يتركون اللحى والشوارب تنمو بشكل طبيعي.

(جـ) الأظافر:

وتحتل الأظافر كذلك مكانة فى العناية فيقلم أغلب الناس أظافر أيديهم بصفة منتظمة وبعضهم يقلمون أظافر أقدامهم ايضا، ويثقب آخرون أظافرهم أو يطلونها وهذا الطلاء تتعدد الوانه ومادته.

(د) التغيرات فى الشكل:

من الشائع تشكيل الجسم طبقا لنموذج جمالى مقصود سلفا، أو لأغراض طقوسية أو كنتيجة لعملية جراحية، أو لتسهيل وضع حليه ما، يمكن أن تثبت حول الرأس بالأربطة، أو النوم على نوع معين من أسرة الأطفال أو أداة ما تثبت بالمهد.

ومن الأنماط المشهورة للتغييرات فى شكل الرأس ما يأتي:

١ ـ تسطيح الجبهة مع زيادة أو نقص إظهار الجمجمة.

٢ ـ تسطيح الجمجمة مع الزيادة فى ارتفاع وعرض الرأس.

٣ ـ تسطيح كل من الجبهة والجمجمة مع الزيادة الملحوظة فى العرض.

٤ ـ استطالة مخروطية أو استطوانية فى الجمجمة أو أعلى الرأس. وربما تؤثر هذه العملية على الصحة أو الصفات العقلية أو المعنوية.

التغييرات فى الوجه:

تقع مثل هذه التغييرات أساسا على الأنف والأذنين والخدين والشفتين والأسنان.

وتنشأ أكثر التغييرات فى شكل الأنف شيوعا من:

١ ـ التشكيل البسيط لأنف الطفل والذى تقوم به الأم أو المربية، أما لضغطة أو ابرازه

٢ ـ ثقب جدار الأنف.

٣ ـ ثقب أحد أو كلتا الفتحتين.

٤ ـ عمل ثقب فى طرف الأنف.

وتصنع الحلى التى تثبت فى الأنف من مواد متنوعة كما أن لها أشكال وأحجام وأوزان مختلفة وربما لا تلبس فى جميع الأوقات ولا لكل الأعمار ولكن فى أوقات معينة ولسن محدد.

أما الأذنين فغالبا ما تثقب ثقبا أو أكثر، اما فى الجزء السفلى أو فى شحمة الأذن أو فى حافتها الخارجية، أو فى الجزء العلوى منها ويمكن وضع الحلى فى هذه الثقوب أو تعليقها فيها. وأحيانا يزداد حجم أو وزن الحلى بالتدريج حتى يفتح الثقب أو الثقوب الموجودة بها.

الخدين والشفتين والأسنان: يمكن ثقبها وتثبيت الحلى بها أحيانا.

التغيرات فى الأسنان: هناك أربع طرق لذلك:

١ ـ تلوينها: هناك تلوين عرضى وتلوين مقصود لتغطيتها بسبب تآكلها أو تلفها ويستخدم فى ذلك مواد معينة تعد بطريقة خاصة.

٢ ـ الحشو والتغطية: ليس هناك شك فى أن لكل مجتمع طريقة لاعداد المواد المستخدمة وكيفية ثقب السن وطريقة تثبيت الحشو والتغطية أو الطلاء.

٣ ـ التهذيب والبرد: هناك أدوات خاصة لاتمام هاتين العمليتين وأشخاص معينين للقيام بهما.

٤ ـ الخلع: يحتاج الخلع كذلك لنفس ما قيل فى عمليتى التهذيب والبرد، ويمكن أن تجرى عملية تغطية الأسنان وحشوها أو خلعها على الأفراد أو الجماعات من صغار السن من الجنسين، وربما يشكل هؤلاء الأشخاص الذين تجرى لهم مثل هذه العمليات نوعا من الجماعات الخاصة فى وقت معين.

التغييرات الحادثة فى الأطراف والجسم:

يطرأ التغيير على الأطراف أحيانا بواحدة أو أكثر من الطرق الآتية:

١ ـ شد الطرف باستخدام الأربطة الضيقة أو الحلى الثقيلة.

٢ ـ الضغط على الأطراف باستخدام الأربطة (كما يفعل الصينيون عندما يعدلون من شكل اقدام النساء)، كما أن الخواتم والحلقات التى ترتدى فى أصابع الأقدام والأحذية والصنادل والشباشب التى تتداخل بين أصابع القدم لها تأثيرها فى تعديل هذه الأطراف

٣ ـ بتر أصبع أو أكثر.

٤ ـ ترك الأظافر تنمو بدون تهذيب أو ثقبها لوضع ما تزين به.

وهناك أماكن غليظة من الجسم وأماكن أخرى بها تجعدات وغيرها من التغييرات غير المتعمدة والناشئة من أوضاع أو أعمال معتادة اما لشعب باكمله أو لمن ينتمون الى طبقات أو صناعات معينة. وأحيانا يضغط خصر الرجل أو المرأة بحزام بسيط أو بلباس أكثر تعقيدا يماثل الكورسيه.

الأيدي: تحاول بعض الجماعات أن تمسك أشياء فى اليدين أو تلف بين الأصابع باستمرار بغية اعطائها شكلا محددا.

(هـ) تزيين الجلد:

يفهم من اصطلاح الزينة زخرفة الأدوات والأواني التي يستخدمها الانسان أو جسم الانسان نفسه بأشكال زخرفية بالرسم أو طرق أخري[٢]. وتندرج أنواع تزيين جلد الانسان تحت الأقسام الآتية: التلوين، الصباغة، الوشم والندوب والتشليخ.

١ ـ التلوين: ويشمل كل أنواع تزيين الجلد بالمواد الملونه (كالمساحيق والطين والجير. الخ) أو الأصباغ المعينة التي توضع على الجلد لتلوينه بصفة مؤقته.

٢ ـ الصباغة: وهي تؤثر على لون الجلد نفسه بشكل دائم تقريبا. وترجع بعض الاختلافات الموضعية في اللون الى أثر حرارة الشمس أو الى البشرة الفردية فيظن أنها مصبوغة، وكذلك يمكن صباغة أظافر اليد والقدم.

٣ ـ الوشم: نقش رسوم معينة على الجلد بغرز الابرة بحيث تعطى شكلا لا يمحي[٣]، ويعمل بصفة خاصة على ظاهر اليد أو الذراع أو أعلى الخد. والوشم عبارة عن عادة بولينيزية، ووجدت منتشرة على نطاق واسع في شرق بولينيزيا على جزيرة ماركاسا وكذلك في غرب بولينيزيا (نيوزيلند)[٤]. وللجماعات في ممارسة هذه العادة طرائق مختلفة بالوخز والتلوين، وكانت بعض الجماعات تمارس الوشم قديما لأغراض نفعية كالمناعة ضد المرض وللحماية من الحسد، أو لا براز امتياز طبقي أو رابطة بين قبيلة أو مكانة اجتماعية، كما كان يستعمل في أن يكتب على جلد العبد اسم سيده [٥]

والوشم تسمية مناسبة فمنشؤها من أثر وخز اللون في الجلد تاركا سطحا ناعما. ويتكون اللون الأسود بصفة خاصة من الهباب أو الفحم بواسطة ادخال

ابرة مغموسة بهذه المادة تحت الجلد. ولاعداد الألوان طريقة خاصة، كما أن هناك ألوان بعينها تنتشر فى بعض الأماكن وربما تكون هذه الألوان مستوردة من أماكن أخرى أو أنها مفضلة وسهلة الحصول من المنطقة.

الندوب: تتم بخدش الجلد وقطعه، وثقبه أو حرقه وعمل رسوم وعلامات على جلد الانسان بواسطة وخز الابر وتحدث الندوب عن طريق منع الشفاء العاجل بقطع الجرح من جديد وعدم التنظيف، بهدف الحصول على ندوب واضحة بارزة بقدر الامكان، ويمكن ترك الجروح لتشفى تلقائيا مكونة الندوب الواضحة، أو تعصر بخفة بمادة معينة، أو تسوء حالتها فتصبح جروحا بليغة، ويمكن أن تنشأ الندوب العالية من اللمس المستمر للقطوع أو بادخال مادة غريبة

٥ ـ التشليخ: هذا نوع آخر للزينة أو للتفرقة بين القبائل وبعضها وهو أقل ألما، ويعمل برسومات صعبة جدا على فترات متباعدة ويستغرق عادة عدة سنوات ويتم بواسطة ابرة فى شكل شوكة أو قطعة خشب فى شكل المشط مدبب الأطراف أو عظم مدبب يشك بها الانسان الجلد فى العلامات والزخارف المرغوبة. وفيها يوضع اللون الذى يستخرج من الهباب وعصير النباتات ويجعل الرسم يظهر بلون أزرق. وكان القائمون بهذا العمل الفنى سكان جزر بحر الجنوب ومن بينهم كان سكان ماركساس Marquesas فى المقام الأول. وكانوا يغطون الجسم كله. بما فيه الجمجمة، حتى جفون العين والشفاه واللثه برسم جميل، عبارة عن صفوف منقطة ودوائر وخطوط متعرجة ومتموجة أو مثلثات وأشكال هندسية، نجوم، شمس وأشكال حلزونية، والأخيرة مرغوبة بصفة خاصة لدى الماورى Maori فى نيوزيلاند. ونادرا ما توضع أشكال ورسومات بجانب بعضها. ولكل منظر اسمه المعين. وبوصول البنات سن البلوغ لابد أن تنتهى عملية التشليخ، ويعمل التشليخ بالنسبة للرجال كعلامة للقبيلة

وللمكانة الاجتماعية. ويصحب التشليخ أغاني الاستعطاف وتقديم الأضاحى والرقصات التى توضح وتعبر عن أهمية وطبيعة المعاملات المقدسة. ولقد كان التشليخ والندوب والوشم منشرا لدى الشعوب البدائية، وحوالى نهاية القرن السابع عشر أتى الى أوربا أول سكان بحر الجنوب، ومن هنا عاد الاهتمام لتقاليد وخز الجلد القديمة فى أوروبا، وظهر فى هذا المجال من بين الشعوب البدائية أساتذة، وصلحت الرسوم اليابانية التى فسرتَ بطريقة أوروبية كنماذج تقلدها الشعوب قديما، ويقابل الانسان أحيانا أيضا فى أوروبا هذه العادة القديمة لدى البحارة والعمال والعساكر، ومع ذلك فقد انمحت اليوم فى جميع أنحاء العالم. وعكس هذه التشكيلات الفنية، اليابانية قبل كل شئ، تظهر ندوب التزيين، وندوب التشيلخ التى هى أكثر خشونة وبدائية. وكثيرا ما يصحب عملها أهداف سحرية تجلب الحظ للصياد مثلا لدى البشمن (جنوب أفريقيا)، وتعمل للأولاد غالبا أثناء تكريسهم عند الوصول لسن البلوغ وتكون بين الحواجب أو بين الأكتاف، وكان هذا من عمل الساحر، وبعد انتهاء هذه العملية المؤلمة يسمح للأولاد أن يعودوا الى أقاربهم، ومن هذه اللحظة يدخلون فى زمرة الرجال البالغين. وقد كانوا يحرقون قطعة لحم حيوان وحشى مرغوب الى أن تصير رمادا ثم توضع فى الجرح. ومن المفروض أن يكتسب الشباب نفس خواص هذا الحيوان الوحشي، مثل سرعة القفز والشجاعة وغيرها. وعلاوة على هذه الدوافع السحرية تدخل أيضا خاصية الزينة الخالصة فى الظهور، وخاصة بالنسبة للسيدات، اللاتى تعمل لهن نفس هذه الندوب على الوجه والفخذ والمقعدة

يوجد الكثير من الشبه بين هذه الأنواع العديدة لتزيين الجلد، حتى ان الملاحظات التالية تنطبق على أى منها، أو عليها جميعا. فيمكن أن يجرى الوشم وعمل الندوب وتلوين جلد شخص واحد فى بعض المناسبات. وكقاعدة عامة ينحصر عمل الندوب فيمن لهم بشرة بالغة السواد. أما الوشم فهو يصلح أكثر

على الجلود التى يمكن أن تزين بالرسـومـات. ويمكن اقـتبـاس الرسـوم من شعوب أخرى كما عرف عن أولئك الذين أجروا الندوب أنهم كانوا يوشمون كذلك، ولهذه الرسوم أهمية بالغة فى مفاهيم الشعوب، ويلاحظ أنها تتم فى مراحل عمرية مختلفة فربما يقصد بها التفرقة بين الأعمال المختلفة أو بين الجنسين أو يكون لتأكيد زيادة الملامح والمحيطات الطبيعية للجسم أو اعطائه تكوينا مستقلا فى الشكل. وأحيانا تدل العلامات الوشمية المميزة لفرد على المكانة الاجتماعية أو الطائفة أو المهنة والعشيرة والقبيلة والد يانة.

ان لأشكال التزين الشخصى معنى معينا لدى بعض الشعوب، ربما يكون هذا المعنى اجتماعيا (أى لتقوية التطور الطبيعي، أو الاشارة الى سن البلوغ، اتمام عقد زواج، عدد الأطفال، الوفاة، الحداد، عضوية جمعية سرية، أو كعلامة على الشجاعة أو القتل... الخ)، أو يكون المعنى دينيا سحريا (قبل ممارسة تجربة خطيرة، كتعويذه للحب، للزينة أو الوقاية أو لأى أسباب سحرية أخري). وقد يدل المعنى على القرابة بين أسرة أو عشيرة يجمع بين أفرادها طوطما مشتركا، أو للتكريس لاله أو التشبه به مما يفيد الفرد فى الحياة الأخري، وكثيرا ما يكون التزيين لذاته لزيادة الجمال الجسمانى أو الحفاظ عليه، لاطالةالشباب بتكرار العملية). وما من شك فى أنه ترتبط بكل من هذه العمليات أساطير. ووظائف محددة.

أما الشخص الذى يقوم بعملية من هذه العمليات فربما قد ينتمى الى عمر أو جنس أو حرفة أو عشيرة أو قبيلة أو ديانة بالذات، أو يكون له علاقة محددة بالمريض أو من أقارب الأشخاص الذين تجرى لهم العملية، وفى كثير من الأحيان يضطر أن يقوم بطقوس مسبقة أو يلاحظ اجراءات معينة، وقد يكون له مكانة خاصة سواء فى وقت قيامه بأحد هذه الطقوس أو بصفة عامة.

الزينة الشخصية:

بغض النظر عن كمية الملابس أو عدم وجودها على الاطلاق، يستعمل أناس كثيرون الحلى التى يمكن وضعها على أى من أجزاء الجسم. وبالرغم من الفرص المتساوية فى الحصول على الحلى الا أن هناك اختلافا كبيرا فى وضعها. ويمكن القول أن استعمال الحلى مقصور على أغراض التزين بها، ولكن مع ذلك فكثير منها له مغزى سحرى أو عقائدي، لهذا فهى تعتبر أحيانا طلاسم لجلب الحظ وبعضها يمثل ثروة ويتاجر فيها فعلا، ويتخذ البعض الآخر كشارات للمكانة الاجتماعية، وعندما يضعها الموظفون فقط أثناء العمل تسمى الشارة وهو اللفظ الذى يمكن اطلاقة على مجموعة محددة من هذه الحلي(٧)، يضعها أولئك الذين أثبتوا أنهم مقاتلون، أو صيادون جديرون. وكثيرا ما ترتبط الحلى بالأحداث الاجتماعية أو الدينية ويضع البعض الزهور بصفة خاصة أو الريش وأشياء أخرى ذات جمال طبيعي.

(أ) العلامات المميزة ـ القبلية والشخصية:

يمكن استخدام أشكال مختلفة من التغيرات وخاصة العلامات المميزة على الجلد كالندوب أو الوشم أو التلوين للتحقق من الفرد، وهكذا تكتسب هذه العلامات معنى اجتماعيا. وقد يكون التوتم فى بعض الحالات تمثيلا أو تقليدا أو رمزا يدل على قبيلة الفرد وهكذا يمكن أن يكون تحذيرا من ارتكاب الفحشاء بالمحارم، وتكتسب هذه العلامات فى حالات أخرى مغزى قبليا، ولكن غالبا ما يؤكد المواطنون أن الغرض من هذه العلامات ليس الا التزين.

هذا ويزين كثير من الناس أنفسهم بطرق مختلفة فيرتدون الأزياء والحلى الغريبة والمتميزة أو أربطة معينة، وتختلف هذه الزينات الفردية من مناسبة

لأخرى فقد يكون لها مغزى اجتماعى كالمقاتلين مثلا وهم فى طريقهم الى الحرب نجد لهم ألوانا وأسلحة خاصة أو أغطية لرؤسهم وغير ذلك من زينات تختلف عن تلك التى تستخدم فى مناسبات أخرى وتميز هذه العلامات أيضا الحيوانات والأشجار والأشياء الطبيعية الأخري، وربما تشير الرموز الى الملكية الفردية أو الجماعية. كذلك الأسلحة والأدوات المنزلية تنقش بعلامات مميزة تشير أحيانا الى المالك أو الصانع. لذلك فالعلامة المميزة على سهم تشير إلى مالكه. ويمكن لصناع الفخار حفر امضاءاتهم الشخصية أو رسوماتهم على مصنوعاتهم. ويوجد أحيانا على الأسلحة علامات أخرى رقمية تشير الى عدد الأشخاص الذين قتلوا بهذا السلاح وبمعنى آخر فان هذه العلامات تميز مالك الشئ لكنها لا تخدم فى أن تفرق بين مالك وآخر.

مما تقدم يتضح أن الزينة فى مفهومها العام ليست قاصرة فقط على الناحية الجمالية فهى الى جانب ذلك تقوم بوظيفة رمزية وخير مثال لذلك هوما ذكره الرحالة فون فورد تشيلد عن غابات الأمازون فى أوائل هذا القرن عندما كان يزور قبيلة «بوتوكودو» وبعد حوار مع احدى سيدات هذه القبيلة استطاع أن يقعنها بأن تبيع له الأقراص الخشبية التى يضعها أعضاء القبيلة فى الأذنين والشفاه، وحينما خلعت هذه «الزينة» شعرت بخجل شديد وجرت مختفية فى الغابة برغم أنها كانت عارية تماما، فالخجل هنا يرتبط بأنها (تعرت) بخلعها الأقراص الخشبية فهذه الأقراص ترمز الى البوتوكود وبدونها يفقد الشخص هويته، كذلك أشكال الوشم هى علامة أو علامات رمزية على الهوية القبلية للشخص (مثل جواز السفر الحالى الذى توضح فيه صورة الشخص وتختمه الدولة بخاتمها) ففى سودان وادى النيل الأوسط تلتزم القبيلة بوشم «واحد» على صورة معينة وان كان الشكل النهائى يختلف فى تفاصيله من شخص لآخر وذلك يرجع الى الطريقة التى يختارها القائم بهذه العملية وهذه تتأثر

بشكل الوجه، وتعمل للذكور غالبا فى سن مبكرة لا تتجاوز الخامسة وتتأخر عند الاناث حتى يبلغن العشر سنوات حين تتضح معالم الوجه ويسهل على الشخص اختيار الصورة المناسبة للوشم. وليس هناك شخص معين ينفرد باجراء العملية اذ الغالب أن يقوم بها الحجام «أو المزين» أو «المطبب» أو «القابلة» وغيرهم.

وصارت هذه العلامات سمة تميز بين قبيلة وأخري[8]. ولما قلت الحاجة للتمييز بين القبائل لاستتباب الأمن عامة ونتيجة للتداخل بين الجماعات القبلية اكتسبت الشلوخ مفاهيم جمالية أخرى خلقت نوعا من الاعتقاد أنها تضفى حسنا وجمالا على المرأة وتكسب وجهها سحرا وكذلك المفهوم الجمالى للوشم الذى تأثر به كثير من النساء فى أجزاء كبيرة من الشرق الأوسط فأصبحت تزين وجوههن الا أن سواد بشرة السودانيات لا يساعد كثيرا فى اظهار الوشم فتقل قيمته الزخرفية، لذا فقد اكتفين باجراء عملية الوشم على الشفتين واللثة.(٩)

وهناك أنواع كثيرة من أشكال الزينة الشخصية ولكن معظم هذه الأشكال تركز على الرأس والوجه والعنق قبل بقية الجسم لأن ذلك الجزء هو ما يميز الانسان تماما وترتبط به عدة وظائف انسانية بحته كالتفكير والكلام الى جانب النظر والشم والسمع، وكل هذا أدى الى تركيز فى أهمية الرأس عامة عند البدائيين والمتقدمين على حد سواء. وان كان الاهتمام بزينة الرأس قد قل كثيرا عند الرجال فى الحضارات الراقية بينما برزت زينة المرأة واحتلت مكان الصدارة فى هذا المجال (١٠)

ولما كان التشليخ والوشم من الوسائل الجمالية الثابتة عند بعض المجتمعات التقليدية فقد ابتكرت بعض الجماعات وسيلة غير ثابتة وهى تلوين الوجه والجسم

بالأصباغ. وكانت هذه تمثل مشكلة عند الجماعات التقليدية نظرا لسهولة ازالتها من على الجسم الا أن ذلك لا يمثل مشكلة فى الوقت الحاضر اذ أن ذلك يتفق مع التغيرات المستمرة للألوان والأصباغ عند نساء المجتمعات الحديثة مثل أحمر الشفاه الذى يمكن استخدامه دون ضرر للجلد، ويلى اللون الأحمر فى الاستخدام اللون الأزرق والأسود ثم الأبيض والأصفر، والأسود أو الأزرق فى منطقة العين (الرموش والجفون)، والأبيض مع مشتقات الأصفر والأحمر للخدود.

أما البدائيون فيستخدمون هذه الألوان أيضا لتلوين أجزاء كثيرة من الجسم بالاضافة الى تلوين الوجه. والتلوين عند البدائيين يرتبط بالمناسبات الطقسية والاحتفالات الرسمية. كما أن المحاربين يلونون أنفسهم بألوان معينة لها ارتباط سحرى أى أن الألوان والمساحيق عند البدائيين لها وظيفة رمزية الى جانب قيمتها الجمالية (مساحيق التجميل والعطور).

(ب) أما تصفيف الشعر كوسيلة جمالية للزينة فقد احتل أهمية كبرى عند الانسان منذ العصور الحجرية. ويتضح هذا فى تمثال فنوس منذ العصر الحجرى الأعلى حيث أعطى المثال اهتماما واضحا لتصفيف الشعر، وكان كثير من البدائيين ينامون منبطحين على بطونهم خوفا من تشويه شكل الشعر واخترع بعضهم نوعا من المساند للرقبة أيضا للغرض نفسه اذا كانوا ينامون على ظهورهم. واشتهر المصريون القدماء بالضفائر الكثيرة الرفيعة، كما نجد عند نساء واحة سيوة حاليا نوع من الضفائر تمثل سمة مميزة لهن.

والى جانب هذه الأشكال من الزينة المرتبطة بالجسم والوجه) توجد أيضا أنواع عديدة من الزينة المضافة الى الجسم مثل الأقراط والعقود والأساور وأحزمة الخصر. هذه الأشكال من الزينة تصنع من خامات متعددة مثل

الخشب، العظام، الأصداف والخرز، ومن المعادن مثل النحاس والفضة والذهب والماس، ومازال عند البدائيين أنواع من الحلقات فى الأنف والفتحات والثقوب التى تعمل فى الأذن والشفاة لوضع الأقراص الخشبية وكذلك توجد أشكال من التشويهات الجسدية المتعمدة المرتبطة بالقيمة الجمالية مثل اطالة الرأس منذ الطفولة أو المحافظة على حجم القدم الصغير وخاصة عند البنات أو برد الأسنان الأمامية أو تسويدها بحيث لا تكون بيضاء كأسنان الكلاب.

فمن الملاحظ كما شاهدنا أن وسائل الزينة تتعدد فى المجتمعات المختلفة وذلك نتيجة لاختلاف القيم الجمالية واختلاف الوظائف وتطور الابتكارات لدى الحضارات المختلفة

وفى أفريقيا نجد أن الأفريقى قد بلغ شأوا بعيدا فى فن زخرفة الجسم من تشريط ووشم وتلوين لأنه يعيش فى جو حار ويعرض أجزاء أكثر من جسمه للزينة، وهو يمارسها فى جدية كما لو كان يزخرف قرعة أو أى وعاء آخر. وهو أيضا يعشق الجسم اللامع المطلى بالزيت وان كان فى بعض الأحيان يغطيه بالطين أو بمادة أخرى ملونة. وسواء كان هذا الطلاء بالزيت أو باللون فانه غالبا ما يعمل تمهيدا للرقص

ويعتبر التشريط أكثر التزين ذيوعا وهناك عدة أسباب لممارسته، فمن العادات الشائعة بين عديد من القبائل تمييز أعضائها بعلامة القبيلة، ويكون ذلك على الخدين غالبا ويستعمل الطب سواء الوقائى أو العلاجي، طريقة تشريط الجسم ثم تدلك الجروح بعقار مفروض فيه أنه يشتمل على خصائص سحرية[١١]. ولكن لاتمارس كل القبائل التشريط على مستوى عال، فكثيرا ما يكون مجرد صفوف من الجروح المتوازية. ومع ذلك فهناك نماذج محكمة جميلة وخاصة بين قبائل أواسط الكنغو حيث تغطى النماذج الزخرفية الجسم كله. ويالها من عملية

مؤلمة، فعلى كل أجزاء الجسم من الجبين الى الوجنتين والعنق والذقن والبطن والعجز والفخذين مع الساقين تشرط الرسومات بسكين حادة أو موس ثم تدلك الجروح بالفحم و بمادة نباتية حتى تنتفخ وتلمع آخر الأمر[١٢]

الملبس[١٣]:

والملبس لفظ يشمل الملابس بدءا من الرباط الى مختلف قطع الملابس. لهذا فالملبس يشمل واحدا أو أكثر من القطع، أو أنواعا معينة من الملابس أو الزي، كذلك يمكن تحديد نوع وشكل كل من أجزاء الملابس باستخداماتها الثانوية، مثلا لتمييز مرتبة اجتماعية وسياسية أو دينيه لمن يرتديها أو عملا ما أو مهنة مفروض أن يؤديها الشخص أثناء ارتدائه لها.

وعندما نتكلم عن الملابس فاننا نجد الانسان ككائن بيولوجى يواجه الظروف الطبيعية عامة والمناخية خاصة ويتغلب عليها بواسطة الثقافة فالانسان أقل تكيفا مع الظروف الطبيعية من بقية الحيوانات ومرد ذلك الى انتشارة فى كافة الأمكنة ذات المناخ المختلف بينما تتأقلم الحيوانات مع مناخات محددة. والانسان لم يهزم الظروف الطبيعية الا بابتكار الملابس أو استعارة فراء وجلود حيوانات البيئة. وأصبحت الملابس الى جانب وظيفتها جزءا جماليا من حضارة الانسان بفضل حب الانسان للجمال، ولا نعنى هنا مجرد الملابس بل ان الزينة جزء من ملابس الانسان فى مختلف الحضارات[١٤] كما سبق أن عرفنا

وإلى جانب وظيفة الملابس وعنصرها الجمالى أيضا فى الحضارة فانها ترتبط باعتيادات المجتمع قبل أن تكون وظيفة أو قالب جماليا، فدور الاعتياد الحضارى أقوى من وظيفة الملابس. ففى بعض المناطق الحارة لابد للرجال من ارتداء سترة كاملة مع ربطة عنق فى كثير من الأماكن وفى المناسبات والحفلات

على حين فى المناطق الباردة ترتدى السيدات ملابس خفيفة تكشف عن الظهر أو الجزء العلوى من الجسم فى المناسبات المختلفة.

والملابس أيضا لا تعنى ما نعنيه فى مفاهيمنا الحضارية العربية أو الغربية، كذلك نجد أن للعرى مفهوما مختلفا(١٥)

وهناك اختلاف كبير فيما يكون من غير اللائق تركه عاريا من مناطق الجسم. وقد يكون لدى بعض الناس ملابس يمكن ارتداؤها لتغطية العورات لكنهم لا يفكرون فى ذلك الا حينما يسخر منهم من يختلفون عنهم فى هذا أو عندما يكون هناك احتمال اللقاء بغرباء على الرغم من أنهم يعودون لعادتهم الخاصة عند انفرادهم بأنفسهم، وفى بعض المجتمعات على سبيل المثال، تعتبر بعض النساء أن ستر أفواههن أمام الناس أهم من عوراتهن.

ولكن عموما فان هناك اتجاها عاما الى أن يكون من بين وظائف الملابس تغطية العورات. فهناك كثير من القبائل البدائية التى تلبس أنواعا مختلفة من المآزر (مثل سترة صغيرة «تشبه الجونله» تتدلى من الوسط مصنوعة من القش أو الخرز أونسيج بدائى أو من الجلد). وحاول بعض الاثنولوجيين القدماء تفسير تغطية هذا الجزء بأنها تمنع العين الشريرة عن الأعضاء التناسلية أى أن الوظيفة هنا ترتبط بالسحر. ولكن ذلك لا ينطبق على الجماعات التى لا تعرف الملابس تماما ومع ذلك تعتقد فى وجود العين الشريرة.

وعند غالبية البدائيين لا يعنى العرى الجنسي، فليس هناك ارتباط بين الاثنين الا حينما تنص اعتيادات مجتمع ما على عكس ذلك وتفرض عقوبات على العرى وبذلك يصبح التعرى جريمة سلوكية، فالاسكيو على سبيل المثال يلبسون رداء الفراء وغطاء الرأس والحذاء فيغطون بذلك الجسم من قمة الرأس الى أخمص

القدم ولكن بمجرد أن يدخلوا المسكن يتعرو تماما حتى برغم وجود غرباء لأنهم جميعا يتجردون من الملابس داخل المسكن: الضيوف وأصحاب البيت. والملبس ليس عند كل الجماعات هو ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ضيق فى لغتنا، فبرغم أن التجرد من الملابس يعد عريا عندنا، الا أنه ليس كذلك عند مجتمعات بدائية كثيرة، فعند الاستراليين الأصليين لا تكون المرأة عارية الا اذا خلعت عقد الخرز الذى تلبسه حول عنقها. كذلك ليس هناك عرى عند المجموعات التى تمارس الوشم أو تصبغ الجسم بألوان مختلفة أو التى تمارس تشريط الجلد فى الوجه. وبهذا فان الفوارق هى بين مايعتبره ملبسا وما نعتبره زينة، وان كانت هذه الفوارق واضحة لدينا فهى صعبة التحديد وغير واضحة بالنسبة لثقافات أخرى كثيرة ويمكن اجمالا أن نقول ان التزين يعتبر جزءا من وظيفة الملابس

مازال السير بدون ملابس تماما يوجد فى العصر الحاضر لدى عدد قليل من قبائل الصيد والقنص الأفريقية، وجنوب شرق آسيا والمحيطات واستراليا وجنوب أمريكا. ويقتصر عند بعض القبائل الأخرى على أحد الجنسين، غالبا الذكور، ويغطى عدد كبير من الشعوب جزء من الجسم على الأقل بالملابس، التى تقى بها الأجسام من التأثيرات الجوية، ومن هنا يوجد الدافع لها، ولكن الشعور بالخجل كعامل محلل لارتداء الملابس هو بدون شك عامل ثانوي، وربما يرجع سبب تغطية الجسم بالملابس لدى كثير من الشعوب البدائية نتيجة لتأثير البعثات التبشيرية. واكثر الملابس بساطة هى مآزر تغطية العورة ويلبسها الرجال والنساء فى كل أنحاء العالم ماعدا أوروبا، ومنها غطاء الذكر الذى يصنع من القماش أو الجلد، ويضعه الرجال فى غينيا New Guinea وأيضا لدى كثير من قبائل زنوج أفريقيا كزى فريد للذكر. وكذلك ازار العورة الذى يوضع بين الأرجل ويربط بشريط أو حزام حول أسفل الظهر (الأرداف)،

ومازالت أغطية العورة لدى كلا الجنسين فى الأحياء اليابانية الريفية هى أبسط ملابس العمل.

ويلبس الأطفال الهنود عمرما أوراقا فضية لتغطية العورة فى شكل وحجم ورق شجرة الزيزفون (التليا) وهى تربط بواسطة حبل حول وسط الجسم، والملابس البسيطة للرجال الهنود عبارة عن فوطة مربوطة على الأرداف وموضوعة بين الأرجل (دوتى Dhoti) وهى تقترب من ازار العورة وتوجد أيضا جونلات تغطية العورة القصيرة لدى كثير من الشعوب البدائية وأحيانا أيضا الشعوب ذات الحضارات العليا، وتعدد هذه الأنواع من الملابس التى تغطى أسفل الجسم وتعتبر النمط المنتشر على نطاق واسع. ويلبس الرجال والنساء بنطولونات لدى بعض الشعوب، وتكون غالبا من الفرو فى الحزام القطبي، وفضفاضة واسعة فى كل الدول الاسلامية بالنسبة للرجال والنساء، ولها غالبا رباط على الظهر واسع وطوله مترين أو أكثر. وهناك أيضا غطاء الساق المصنوع من الجلد أو القماش ويغطى الساقين لدى هنود شمال أمريكا، وهو على هيئة أسطوانة تلف على الساق. وتغطى أكثر الشعوب البدائية الجزء العلوى من الجسم جزئيا بالزينة. ولم تظهر قمصان الرجال وبلوزات السيدات الا بعد الاحتكاك بالأوروبيين، ولكن باستثناء هذا فان الشعوب القطبية تلبس البنطلونات المصنوعة من الفرو ويغطى كذلك الجزء العلوى من الجسم ببلاطى من الفرو أو الجلد أو جلد السمك (أنوراك Anorak).

وتبعا للظروف الجغرافية نجد أن بعض القبائل البدوية العربية تلبس جوارب مشغولة لكى تحمى كعب القدم من رمال الصحراء الساخنة المتوهجة. وتعودت الشعوب القطبية على لبس أحذية طويلة من الفرو، وتنتشر الصنادل المصنوعة من أشغال مجدولة على نطاق واسع فى آسيا وشمال أفريقيا. وتنتشر الأحذية

والصنادل الجلدية حديثا فى آسيا ولدى هنود شمال أمريكا (موكاسين Mok-kassin). ويتراوح حجم غطاء الرأس من ربطة صغيرة تحافظ على الشعر مثلما يوجد فى اليابان، الى لفافة كبيرة من القماش كما هو الحال فالعمامة التى توجد فى الشرق الاسلامى وكذلك الطواقى وأغطية الرأس المختلفة والمصنوعة من الفرو توجد بصفة خاصة فى آسيا على أشكال عديدة لم يسمع عنها، وأيضا أغطية الرأس المصنوعة من الريش والتى توجد فى أمريكا قبل كل شئ وهكذا، كما نجد أيضا علامات الرتب التى تفصل عن الزينة. وبجانب هذه القطع الرئيسية الثابتة للملبس توجد أعداد كبيرة يكون لها أحيانا أهداف أخرى مثل القطع التى تلبس فى اليد، واللثام ومناديل الرأس والحجاب وغيرها. ففى شرق اسيا يعرف الانسان ملابس خاصة للمطر مجدولة من القش أو الحلفا، خيوط من لحاء الشجر.

وبجانب وظيفة الوقاية بالنسبة للملابس، هناك الوظيفة الاجتماعية، فتوجد قطع ملابس معينة أو حتى قطعة واحدة فقط، وأيضا نقش خاص للقماش يخص دائما الطبقات الاجتماعية والقبائل المختلفة[١٧]

ولقد ظهر بوضوح تأثير المبشرين والغرب عامة والاسلام خاصة على الملبس ويؤكد هذا تغير عادات ملبس الافريقيين، فالاستيراد الكبير للملابس الجاهزة والأقمشة الأوروبية والآسيوية لم تترك أى ركن فى أفريقيا بدون أن يمس. أن عرى الرجال والنساء، وغطاء الذكر أو زى أوراق الشجر للسيدات كانت تخص الشعوب الزنجية القديمة، أما أغطية وفوط الذكر تخص شعوب الصيد القديمة التى تقابلنا اليوم فى المناطق المتخلفة المنعزلة، ويرتبط العرى اليوم فى أفريقيا بالفقر

ولقد بدأت الملابس بمعناها الحرفى فى المناطق الباردة للتكيف مع المناخ.

يضـاف الى قلة الملابس دهن الجسم بأنوا ع الشحم والطين والحمرة وكان ذلك سـائدا بين سكان تاسـمانيا القدمـاء وفى مـناطق اخـرى مـثل جـبال الانديز فى بيرو، ولكـن هـذه ليست المقصودة بالملابس بل يقصد بها ما يقضى من خامة ويفـصـل بحـيـث ينسـجـم مع جسم الانسـان. ويتـفـق البـعـض على ان ذلـك حـدث فى منطقـة باردة بواسطـة جمـاعات الصيادين فى شمـال اوربا وآسيا وأمريكا الشمالية.

وكانت اول ابر للحياكة من العظام ترجع الى الحضارة الاوريناسية (العصر الحجرى القديم) وازداد ظهور هذه الابر فى العصور الحجرية التالية وغالبا فان الملابس المخـاطة بهـذه الإبر كـانت من الجلد، أمـا الملابس المصنوعـة من انوا ع النسـيج المخـتلفـة فـترجع الى العصـر الحـجرى الحديث فى حـضـارة سـاكنى البحيرات «سويسرا» حيث كانوا يزرعون الكتان.

وبالرغم من قـدم الحـضـارة فى الشـرق الاسط واليـونان الرومـان، الا ان خياطة الملابس بصورتها الحـالية لم تعرف، بل ان سكان البـحـر المتوسط، رغم معرفتهم للنسيج، فقد كانوا يقتصرون على العباءات والأرواب والمآزر ولعل مرد ذلك الى ان ظروف المناخ لم تكن تتطلب الملابس الثقيلة المخيطة.

وهناك اراء ترجع اصل الملابس المخيطة الى الصين ومنها انتشر شمالا الى سيبريا ثم غربا الى شمال اوربا وشرقا من سيبريا الى امريكا الشمالية والواقع ان احسن مـلابس مـخيطة فى الماضى نجدها بين صيادى الرنة من المغول من قبـائل شمـال آسيا واوروبا وعند الاسكيمو والامريند المجـاورين لهم فى حوض نهـر مـاكنزي، هـى مـلابس مـصنوعـة من فـراء الحـيـوانات الصـغـيـرة ولعل هذا اقتضى الخياطة لربط هذه القطع الصغيرة معا.

الى جانب ماسبق هناك انواع مختلفة من اردية مخيطة تأخذ صورة الروب او الجلباب وتصنع من الجلود يضاف اليها زخرفة من الخرز او الصدف، ثم استبدلت بعد ذلك بملاحف عن الصدف المنسوج بعد دخول الاوروبيين.

ما الخامات والمواد التى تصنع منها الملابس فهى تتعدد بحسب ظروف البيئة والمصادر. فللمحيط والبيئة أثر كبير على الملبس، ويدخل هنا حوادث تاريخية مثل تنقل او تجول الشعوب، الاستعمار والبعثات والعلاقات التجارية وغيرها التى لم تؤثر فقط فى الحاضر ولكن لها ايضا استمرارية تغير عميق غالبا فى الملبس فى العصور التاريخية، ومن هنا فهناك علاقة بين الملبس والبيئة. ففى المناطق البرية والمراعى لبلاد السافانا التى هى المكان الملائم للصيادين ومربى الماشية يسود بالنسبة للزى المادة الحيوانية، اما فى الغابات الاصلية توجد النبات فى المقام الاول (١٩) وتغطى بعض الشعوب العورة بواسطة صدفة او قشر القرع او رباط او قطعة صغيرة من النسيج او اهداب او مجرد ورقة او اوراق من الشجر.

(ب) المواد التى تصنع منها الملابس

ويمكن ان نتحدث عموما بالنسبة لمربى الماشية عن الملابس المصنوعة من الجلد كنمط قديم. وهى تتكون من مآزر واغطية (بلاطي) (٢٠) وعموما تمثل الجلود والفراء الخامة الرئيسية فى صنع الملابس المخيطة فى المناطق الشمالية الباردة ولما كانت الجلود ليست صالحة للاستخدام بدون معالجة فانهم يعالجونها بطرقهم الخاصة مثل كشط الجلد من كل بقياه الدهينة ودقه جيدا لكى يصبح مرنا طريا واستخدام الزيت والنخاع الحيوانى فى عملية الطرق.

كذلك يمثل اللباد الخامة الثانية ويتميز بخفة وزنه ويصنع منه انواع من

الاحذية اشتهرت عند الامريند (موكاسان) ويتم تصنيع اللباد عن طريق تجميع الصوف الحيوانى على حصير ثم يبلل ويلف الحصير بقوة بواسطة عدد من الاشخاص غالبا نساء ثم يطرق جيدا ويعاد لفه وتتكرر العملية الى ان يتماسك الصوف ويصبح قطعة نسيج واحدة ويرجح ان اللباد نشأ فى الصين ثم انتقل الى سيبريا والخامة الثالثه هى الصوف الحيوانى بعد غزله ونسجه وقد يكون الصوف قد استمد اولا من الكلاب من بين الحيوانات المستأنسة ثم بعد ذلك انواع الصوف المختلفة حسب نوع الحيوان السائد مثل الاغنام وقد ظهر الصوف المنسوج فى العالم القديم خلال العصر الحجرى الحديث

اما الملابس المصنوعة من اصول نباية فكثيرة اقدمها وأقلها تنوعا هو استخدام العشب فى عمل المآزر فى جزر المحيط الهادي، اما نسيج لحاء الشجر فقد كان شائعا فى المناطق المدارية بأفريقيا وجنوب شرق آسيا وتستخدم قطع الياف الشجر بكثرة كمادة لازار العورة وهى معروفة لدى الاقزام ووجدت فى اوغندا قطع من لحاء الشجر الكبيرة القوية والمزخرفة بلون الطين تلف على الجسم تماما وتربط على الكتف الايمن (٢١) ويستخدم لملابس اعلى الجسم فى اندونيسيا قطع من الالياف (٢٢) ويستخدم الانسان غالبا لانتاج قطع لحاء الشجر بعد عمل قطعين متقاطعين وقطع طولى ينزع اللحاد من الجذع وتبعد القشرة الخارجية وترسل طبقة الالياف للشغل، وتلين فى الماء وتطرق بخفة على جذع ناعم موضوع على الارض بمطرقة مستوية من الخشب او مطرقة من العاج. وفى اثناء هذه العملية تبلل قطعة مادة لحاء الشجر بالماء عدة مرات ويستمر العجن وعندئذ يظل الانسان ممسكا بها ويسحبها بعناية ويفردها من الاطراف بدقة، ويلينها ويطريها بواسطة الطرق المتواصل (٢٣)

ولقد ظهر ايضا نسيج خيوط خوص النخيل المنتج على النول اليدوى

الرأسى كنسيج خيوط الرافيا وكان هذا النسيج يستخدم للتبادل كنقود وعلى نول نسيج الرافيا يظن الانسان انه انتج نسيجا دقيقا من الياف نسيج نخيل الرافيا ومازال هذا النسيج ينتج لليوم فى الكميرون لعمل الشنط حيث يعكس انتاجه صورة مميزة لمعرفة فن يدوى قديم ولقد لعب نسيج خيوط الرافيا هذا حقيقة دورا كبيرا امام نفاذ القطن ودخل بالتاكيد فى قطع الملبس ولكن لم يعد لنسيج خيوط النخيل القديم معنى بعد، نتيجة ضغط استيراد الاقمشة البفتة المطبوعة (مايسمى طبع افريقي) وكذلك لم تعد قطع الالياف القديمة التى كانت مألوفة فى الغابات الاصلية تثير الانتباه، ولم يعد هناك ميل من جانب الزنوج للبس هذه الاقمشة القديمة الطراز مع تعلق الزنوج بالملابس الاوربية الطراز.[٢٤]

والانسجة النباتية المنتشرة فى الوقت الحاضر هى المنسوجات القطنية والكتانية. وهذه المنسوجات تتطلب المعالجة بواسطة الغزل والنسيج فى نول خاص ونبعت هذه الفكرة من طريقة عمل السلال. ورغم ان الغزل معروف فى جهات كثيرة من العالم الا ان النسيج لم يكن كذلك وقد عرف النول فى منطقة البحر المتوسط والشرق الاوسط والهند منذ فترة طويلة وحدثت طورات كثيرة على النول اليدوى ولايزال له اشكال كثيرة الى ان دخل النول الالى الميكانيكى مجال الانتاج

ولقد انتشرت الملابس القطنية فى مساحات واسعة من افريقيا منذ فترة طويلة قبل التأثير الاوروبى ولقد سيطر على كل شمال افريقيا واندفعت من منطقة البحر المتوسط الى الجنوب والشرق، ومعها يرتبط النسيج وتدخل الملابس القطنية غالبا فى شكل ملابس مخيطة، كما هو الحال على ساحل شرق افريقيا، وهناك حاك الرجال ملابسهم بأنفسهم، وينسج الرجال القطن على النول اليدوى

الذى انتـشـر على نطاق واسع فى السـودان (٢٥) وبذلوا اهتمـام كبيرا بصفة خاصة لشغل الطواقى البيضاء والكوفيات ، التى تغيرت فى نهاية القرن التاسع عشر وحل محلها الطربوش الاحمر ويوجد ثلاث مناطق رئيسية واسعة للملابس القطنية: شمال افريقيا، السودان، والمنطقة بين مونوتابا ولوانجا (٢٦)

Mcnotapa & Loanga (جنوب روديسيا) ووجد اقدم انتاج للنسيج القطنى فى السودان فى مقابر المرو، وهى ترجع الى ٥٠ ق . م . ولهذا يتحدث كثيرون ان نسيج القطن ومعه الملابس الكاملة التى ظهرت قبل الاسلام قد وصلت السودان عن طريق مرو المستعمرة المصرية القديمة فى منطقة اعالى النيل وكانت مرو ومعها اثيوبيا واكسوم القديمة هى بلاد القطن، ولقد صادفت زراعة القطن فى كل مكان من اثيوبيا قبولا واسعا

وانتشرت مؤخرا الاحزمة القطنية الضيقة كمازر بالنسبة للرجال والنساء ونجد لدى مربى الماشية بشمال شرق افريقيا ملاحف، ربما تكون اخذت من شكل الملاحف السورية القديمة ووصلت الى الشعوب الحالية مثل البشارية، الماساي، والنيلويون، عن طريق الأمهاريين، واستمرت معظم هذه الشعوب فى المحافظة على اشكال الاغطية هذه. وتتكون اجزاء الزى لدى البقارة مربى الماشية فى السودان من بنطلونات من القطن واسعة بيضاء تصل تقريبا الى الركبة وفوقها قميص واسع طويل باكمام واسعة وجبة Dschuppa، و بالطو واسع وغامق بالنسبة للرجال وبنطلون قطنى وقميص طويل وفستان بالنسبة للسيدات، وهو تقريبا نفس الزى الذى تلبسة معظم القبائل البدوية العربية الاخرى فى السودان(٢٧)

ولارتداء كل قطعة من الملبس دافع فمنها ما يرتدى للاحساس بالخجل او

اللياقة او لتحمى صاحبها من الناحية السحرية او بدوافع دينية او لتقى الانسان اثار الطقس او ربما لجذب الانتباه وزيادة الجاذبية الجنسية

غطاء الراس والاحذية

تعتبر اغطية الرأس والاحذية جزءا من الملابس وتختلف اغطية الرأس باختلاف الظروف المناخية فالفراء يستخدم فى المناطق الشمالية الباردة ، ويستخدم اللباد فى المناطق المطرة المتميزة بشتاء بارد، وقبعات الخوص تستخدم فى كثير من المناطق الحارة ذات الشمس الساطعة كما يستخدم البدو فى الشرق الاوسط غطاء الرأس المعروف للوقاية من حرارة الشمس وتسير معظم الجماعات هناك عارية الرأس [٢٨] وعند كثير من البدائيين تحل اشكال تصفيف الشعر محل غطاء الرأس حيث لايكون المناخ متطرفا .

اما النعال والاحذية فهى اهم كثيرا من غطاء الراس من حيث وظيفة الحماية التى تعطيها للافراد ومع ذلك فان المناطق المطيرة الحارة يسود فيها الحفاء لان اى نوع من الاحذية سوف يؤدى الى بلل الاقدام لفترة طويلة اما المناطق الباردة التى تتعرض للجليد خلال الشتاء فانها تحتم انتعال احذية سميكة طويلة بحيث تغطى جزءا من الساق وتصنع من الجلد او الفراء ومن المعتقد ان هذا النوع من الاحذية قد صنعه سكان اسيا الشمالية وانتقل من هناك الى الاسكيمو فى شمال امريكا وقد انتقلت انواع الاحذية الى اوروبا نتيجة لانتشار حضارة من شعوب الصيد وانتشر الحذاء الى جهات كثيرة من العالم بعد الكشوف الجغرافية والتوسع الاوروبى فى العالم.

وهناك انواع اخرى من النعال تقوم بوظيفة حماية القدم اثناء المشى ففى مصر والبحر المتوسط نشأ الصندل وهى فكرة مستمدة اصلا من فكرة صنع

السلال والنسيج وكان ذلك مرتبطا بالطقس الحار قليل الرطوبة ومن النعال ايضا ما يستخدمها البدو للتحرك فوق الرمال وانواع اخرى عند رعاة الجبال مثل نعال البربر فى شمال افريقيا اما فى الوقت الحاضر فقد تعدت الاحذية والنعال وظيفة الحماية حيث اصبحت ايضا جزءا من الانتاج الجمالى للملابس والقبعات ومن ثم تتعدد الاشكال وتتغير «الموضات» بسرعة فى الملابس كافة.

وفى بعض الاحيان يكون لارتداء الأحزمة والاذيلة او الاشياء الاخرى التى يمكن ان تربط بالاحزمة او تعلق فيها مغزى معين، فربما تلبس الاحزمة واساور الاذرع فقط للزينة وربما تكون لتثبت غيرها من الملابس او يكون ارتداؤها لمناسبات خاصة طقسية او لجنس بعينه او عمر معين ، فقد تتعدد تفاصيل الاربطة والاحزمة والمآزر (اغطية العورة) والاثواب النسائية وغيرها من الملابس والازياء الى درجة كبيرة وكذلك زينات الملابس، ربما يكون المغزى منها جماليا ، سحريا ، او دينيا ، ولكل منها التقاليد الخاصة به، كما انه ربما يصحب ارتداء بعض القطع المعينة لأعمار محددة طقوس خاصة وتأتى اهمية المواد التى تصنع منها الملابس فى انها توضح مدى استخدام الانسان للبيئة ومدى علاقته مع الجماعات المجاورة كما تشير الى نشاطه الاقتصادى لانها ربما تكون من اجزاء حيوانية او نباتية وربما تكون محلية او مستوردة وكذلك طريقة الارتداء وتثبيت ملبس او جزء منه، وايضا الابر المستخدمة ونوع الخيط وعملية الحياكة والاشخاص الذين يقومون بها وتختلف الملابس باختلاف فصول السنة والأعياد والملابس المستعملة داخل وخارج البيوت، وللأعمال اليومية، وللحماية من الاحوال الجوية وملابس النهار وملابس الليل كما انها تختلف ايضا بالنسبة للجماعات الاجتماعية والمهن والاماكن المختلفة، وللرجال الذين قتلوا اعدائهم او صرعوا حيوانا مفترسا ، او لمهن بعينها والعسكريين ازياؤهم الخاصة وكذلك الاطباء وجال الدين ورجال السلطة كما ان الشارات التى تعلق فى الملابس

اهمية خاصة نظر الاختلاف شكلها ومناسباتها والمادة المصنوعة منها قد تكون خاصة بالشعار الملكى او شعار الدولة او شعارات اخرى وهناك بعض الشعوب التى تتخلص من ملابس المتوفى او المريض بعد الشفاء باعدامها وغيرها كثير.

نجد مما سبق ان الملابس عموما يمكن بواسطتها تمييز مرتبة اجتماعية او طبقة سياسية او دينية او مهنة معينة وذلك من نوع الزى الذى ترتديه [٢٩]

كما انه يمكن فى بعض المجتمعات ان يستخدم جزء من الملابس عند تقديم التحية مثل رفع القبعة عند تحية سيدة فى الغرب وعند زيارة شخص عظيم او مكان مقدس

الملابس لدى بعض شعوب افريقيا

١- الملابس وادوات الزينة لدى بعض الشعوب العربية والافريقية

عندما نبحث

عن الزى القديم فى مراكش فانه يبحث عنه فى القرية لانها هى التى تحافظ على هذا الطراز بعكس الجزئر وتونس حيث نجد الملابس التقليدية أيضا فى المدينة وهى تتشابه بالنسبة للرجال والنساء فى التفصيلة وهى عبارة عن بنطلونات قصيرة واسعة ويلبس فوقها باقى قطع الملابس كلها، وتكون بنطلونا ازرق غامق او بنيا غامقا شتاءا وابيض صيفا وتحب النساء الالوان الفاتحة مثل الوردي، الازرق الفاتح او ايضا الابيض، ويزين القطن والكتان وايضا الحرير بالتطريز، ويلبس القميص فوق البنطلون وفوقه القفطان (Tunika) طويل من الحرير الملون او القماش المطرز ولقد اتى القفطان الى شمال افريقيا من الحكم التركى واختفى ثانية من الجزائر وتونس ويلبس الانسان اكثر من قفطان للوقاية

من البرد وايضا للتفاخر ويلبس الانسان فوق القفطان غطاء خفيفا يكون شفافا بالنسبة للسيدات (من قماش الحجاب تل او حرير) ويكون بالنسبة للرجال قطن خفيف او كتان وتعتبر الاحزمة والاكمام احزاء مهمة ايضا لزى المراة (٣٠) ويستورد التجار العرب حاليا ملابس ملونة جاهزة على الطراز العربى بكمية كبيرة . ومازال الاطفال والعبيد والمسنون والفقراء يلبسون الزى القديم المصنوع من الجلد.

وكما علمنا ان الثقافة قابلة للتغيير نتيجة احتكاكها بثقافات اخرى فإن الاحتكاك الاوروبى ونقل الثقافة العربية الى افريقيا يشكل ضغط خارجى على اسلوب الحياة وسلوك الانسان فى هذه القارة، فأصبح التغير الثقافى سمة بارزة فيها، وان كان هذا يعطينا فهما اكثر لقابلية الثقافة للتغيير والتبديل فتتميز الثقافة بالديناميكية المتوافقة مع مطالب الحياة المتطورة. واهتمام الانسان بنفسه من حيث زينته وملبسه يعتبر ثقافة مادية ويتميز الانسان عادة عن باقى المخلوقات انه يزين ويجمل سماته الطبيعية بوسائل صناعية فنجده يزين نفسه بزينات شخصية ويرتدى الملابس لتحمية او تميزه عن غيره وتتعدد الطرق والاساليب والمواد والمفاهيم المرتبطة بالزينه والملبس ويبدأ الانسان بالاهتمام بنظافته الشخصية وهناك يظهر اهتمام الشعوب بهذه الناحية والهدف منها وطرقها والمواد المستخدمة فيها والاشخاص الذين يقومون بها وينال المظهر الشخصى للانسان اهتماما كبيرا ويأخذ صورا مختلفة، منها الحلاقة وتعديل بعض اعضاء الجسم هذا وتتفنن الشعوب فى طريقة تصفيف الشعر ووضع ادوات الزينة فيه، وكذلك الجسم نفسه حيث يستخدم فى تزيينه اشكالا زخرفيه بالتلوين او الصباغة او الوشم والندوب والتشليخ وتحتاج العمليات الثلاث الاخيرة الى جرح الجلد او وخزه بالابر ووضع مواد نباتية او رماد او هباب او رماد قطعة لحم محروق لحيوان وحشى فى الجرح لاكتساب صفات هذا

الحيوان، ولهذه الرسوم اهمية بالغة فى مفاهيم الشعوب ويستخدم بعضها فى مراحل عمرية مختلفة او للتفرقة بين الجنسين او لتميز طائفة معينة او طبقة معينة فى المجتمع عن باقى اعضائه ولأشكال التزين الشخصى معنى معينا لدى بعض الشعوب ربما يكون احتماعيا او دينيا او سحريا او لذاته لزيادة الجمال كما تستخدم الشعوب الحلى بأنواعها واستخداماتها المختلفة ويمكن ان يقال ان استعمال الحلى مقصور على اغراض التزين رغم ان بعضها له مغزى سحريا او عقائديا. وتختلف الزينات من مناسبة لاخرى فالزينة ليست قاصرة فقط على الناحية الجمالية ولكنها تقوم بوظيفة رمزية. وتتركز الزينة فى الرأس والوجه والعنق عند البدائيين والمتقدمين على حد سواء لأن هذا الجزء من الجسم هو مايميز الانسان تماما وترتبط به عدة وظائف انسانية بحته كالتفكير والكلام بجانب النظر والشم والسمع واما الشعر فقد احتل اهمية كبيرة عند الانسان منذ العصور الحجرية كوسيلة جمالية للزينة، هذا بجانب انواع الحلى المضافة اليه والى الجسم مثل الاقراط والاساور واحزمة الخصر، وهذه كلها تصنع من خامات متعددة تبعا لامكانيات كل شعب ومفاهيمة واهدافه منها، فمنها مثلا الخشب والعظام والأصداف والخرز والنحاس والفضة والذهب والماس ويلاحظ ان ادوات الزينة تختلف وتتعدد نتيجة لاختلاف القيم الجمالية واختلاف الوظائف وتطور الابتكارات لدى الحضارات المختلفة

ولقد اظهر الافريقى مهارة فائقة فى فن زخرفة الجسم من تشريط ووشم وتلوين ويعتبر التشريط اكثر التزين شيوعا لدى شعوب افريقيا لاسباب عدة منها تمييز اعضاء القبيلة بعلامتها، ويستعمل الطب سواء الوقائى او العلاجى طريقة تشريط الجسم ثم تدليك الجروح بعقار مفروض فيه انه يشتمل على خصائص سحرية، ويعمل التشليخ او تشريط جلد البشرة بقصد التزين كما ان الجبهة تشرط فى حالة الاصابة بالصداع، والخد فى حالات مرض الاسنان

ويعتبر التشليخ مظهرا من مظاهر الجمال وكذلك الندوب التى تعمل فى الجبهة فوق الحاجبين وهى عبارة عن اجزاء محببة، ويعمل بعضهم ثلاثة شلوخ عرضية افقية او ثلاثة اشرطة راسية فى الوجة للجمال.

وتستعمل بعض الشعوب من ادوات الزينة سلاسل مصنوعة من قطع قشر بيض النعام وحلقات اليد الرفيعة المصنوعة من الخشب وحلقات جلدية وحلقات الاذرع والارجل المصنوعة من النحاس الاصفر والخرز او من العاج وحلقات اليد والقدم المصنوعة من النحاس الاصفر الخام والقصدير والفضة والاسلاك النحاسية الحلزونية ولفات عديدة من سلك حديدى حول المعصم والجيد و الساق وكثير من الشعوب تستعمل ادوات الزينة الفضية، كما انهم يستخدمون عقود من اللؤلؤ واللبان والجلد وحبات العنبر والاصداف والاقراط والقلائد الذهبية وعقود مصنوعة من الخرز ويصنعون اساور من العاج والخيزران ويلبسون الخلاخل وحلقات الانف.

فنجد ان هناك من ادوات الزينة ما ينتج من مواد نباتية مثل اللبان، والخيزران والعنبر والخيوط القطنية التى تستخدم لربط الرقبة للزينة والبذور ونواة الفاكهة والخشب واخرى تنتج من مواد معدنية مثل النحاس والحديد والقصدير والفضة والذهب وهناك ايضا ادوات الزينة المصنوعة من القواقع واللؤلؤ والاصداف وقرن الحيوان والاحجار الكريمة والعاج والجلد والريش وتطعم الحلى المصنوعة من الذهب والفضة بالخرز وتستخدم للشعر والعنق والاذرع وهناك الأقراط وحلقات الانف الذهبية او الفضية ويحملون تعاويذ واحجبة فى علب من الجلد وتزين ايضا بالخرز وتلبس فى الرقبة او الذراع وتستعمل الحناء والكحل ايضا للزينة.

وتهتم معظم الشعوب الافريقية بتصفيف الشعر غالبا بهدف التزين فتعمل

ضفائر رفيعة طويلة. ويختلف تصفيف الشعر حسب السن والحالة الاجتماعية فمثلا يقص الشعر كله الا من اطار حول الرأس للبنت التى لم تصل بعد سن الزواج، ويترك لكى يطول ثم يجدل فى ضفائر عند بلوغ سن الزواج ثم عمل ضفيرتين كبيرتين بعد الزواج (صومال) وتعمل أغطية للراس من الطين او دهن الشعر بروث البقر والزيت الى ان يشبه القبعة (شيلوك) او دهن الاطراف بمسحوق الاوانى الفخارية القديمة مع الزيت والعطر (بجا)

أما الملبس فيشمل مختلف قطع الملابس بدءا من الرباط من هنا فهو يشمل واحد او اكثر من القطع.

ويعتبر الانسان ككائن بيولوجى اقل تكيفا مع الظروف الطبيعية عامة والمناخية خاصة ولهذا فهو يتغلب عليها بواسطة الثقافة ويرجع هذا الى قدرته على الحياة فى اى مكان مهما اختلف المناخ، وهو لم يهزم الظروف الطبيعية إلا بابتكار الملابس او استعارة فراء وجلود حيوانات البيئة وبفضل حب الانسان للجمال اصبحت الملابس جزء اجماليا من ثقافته، ويتوقف كل هذا على عادات المجتمع التى هى الثقافة حيث تختلف من مجتمع لاخر، ولذلك نجد ان هناك اختلافات كبيرة بين مفاهيم الشعوب فيما يجب ان يترك عاريا من اجزاد الجسم ولكن هناك اتجاه عام بأن يكون من بين وظائف الملابس تغطية العورات وربما تكون هذه التغطية لاسباب اخرى عقائدية مثل منع العين الشريرة من اصابة هذه الاجزاء اى ان الوظيفة هنا ترتبط بالسحر.

وبالرغم من ان التجرد من الملابس يعد عريا لدى بعض المجتمعات الا انه ليس كذلك عند مجتمعات بدائية كثيرة فليس هناك عرى بالنسبة لبعض المجموعات التى تمارس الوشم او تصبغ الجسم بالوان مختلفة وغيرها مع ان الوشم او الصبغة ودهان الجسم تعتبر زينة لدى بعض الجماعات مع ان

الفوارق بين ما يعتبر ملبس وما يعتبر زينة واضحة لدينا فهى صعبة التحديد وغير واضحة بالنسبة لثقافات اخرى كثيرة ولكننا يمكن اجمالا ان نقول ان التزين يعتبر جزءا من وظيفة الملابس.

ولقد كان العرى سمة بارزة لدى معظم شعوب افريقيا، وهو لايعنى فى مثل هذه الشعوب السير بدون ملابس وكان الانسان يزين جسمه برسومات تغطيه كله، واكثر الملابس بساطة هى المئزر بالنسبة لكلا الجنسين وهى تصنع اما من الجلد او من لحاء واوراق الشجر وتعتبر قطع الملابس التى تغطى العورة النمط المنتشر على نطاق واسع.

وتغطى بعض الشعوب الجزء العلوى من الجسم بقطع من الفرو او الجلد ويلبس سكان الصحراء جوارب مشغولة لكى تحمى كعب القدم من رمال الصحراء الساخنة وتعودت الشعوب القطبية على ارتداء احذية طويلة من الفرو. وبجانب الوظيفة الاساسية للملبس «الوقاية» فلها وظائف اخرى «اجتماعية» مثل تمييز طبقة معينة او فئة عمرية او طقوس دينية شعائرية وهكذا

وكان عرى الرجال والنساء وغطاء الذكر او زى اوراق الشجر للسيدات يخص الشعوب الزنجية القديمة اما اغطية وفوط الذكر فتخص شوب الصيد القديمة، والتى نجد لها بقايا اليوم فى المناطق المتخلفة المنعزلة ويرتبط العرى اليوم فى افريقيا بالفقر

ولقد ظهر تأثير المبشرين والغرب عامة والاسلام خاصة على الملبس وذلك نتيجة لاستيراد الملابس الجاهزة والاقمشة الاوروبية والاسيوية التى لم تترك اى ركن فى افريقيا بدون ان يمس

واذا اردنا ان نعـرف اصل الملابس سنجـد انهـا بدأت فى المناطق البـاردة بهدف التكيف مـع المناخ، ويقـصد بـالملابس مـا يقضـى من خـامـة ويفـصل بحـيث ينسجم مع جسم الانسـان ويتـفق البـعض ان حدوث هذا كـان فى منطقـة باردة بواسطة جمـاعـات الصـيـادين فى شـمـال اوروبا وفى اسـيـا وامـريكا الشـمـاليـة واستـخدم الانسان ابر من العظام لاول مـرة فى العصـر الحجرى القديم، وكـانت معظم الملابس المخيطة بهذه الابر من الجلد، امـا انواع الملابس المختلفة الاخرى فـترجع الى العـصـر الحـجـرى الحديث وظـهرت فى حـضـارة سـاكنى البـحيـرات «سويسرا» وكانوا يزرعون الكتان

ويقول البعض ان اصل الملابس المخيطة يرجع الى الصين ومنها انتشر الى الامـاكن المختلفـة شـمـالا الى سـيـبـيـريا ثم غـربا الى شـمـال اوروبا وشـرقـا من سيبيريا الى امريكا الشماليـة. واحسن ملابس مخيطة هى المصنوعة من فراء الحيوانات الصـغيرة والتى كان يجدهـا الانسان بين صيادى الرنة من المغول لدى قبائل شمـال اسيا واوروبا وعند الاسكيمو الامريند المجاورين لهم فى حوض نهر ماكنزى ويلاحظ ان الملابس والخامات المصنوعة منها تتأثر كثيرا بالبيئة الطبيعية بجـانب الانتـشـار الثـقـافى الذى يحدث عن طريق تنقل الشـعـوب والاسـتـعـمـار والبعثات والعلاقات التجارية وغيرها.

كما ان المواد المصنوعة منها الملابس ترتبط ايضا كثيرا بالحرف التى تزاولها بعض الشـعـوب فنجد ان الجلود والفراء واللبـاد والصـوف الحيـوانى هى المواد التى يصنع منهـا مـربو الماشـيـة والصـيـادون مـلابسـهم والعشب ولحاء الشـجـر ونسـيج خيوط خـوص النخيل ونسيج خـيـوط الرافـيـا ترتبط بشـعـوب تعـيش فى الغابات والسافانا وتزاول حرفة الجمع والالتقاط او الزراعة. اما الانسجة النباتية المنتشرة فى الوقت الحـاضـر فهى تتمـثل فى المنسـوجات القطنية والكتـانيـة وهذه

ترتبط بالغزل والنسيج ولقد لوحظ انتشار الملابس القطنية لدى عدد كبير جدا من الشعوب الافريقية فى الوقت الحاضر، ويقال ان اقدم نسيج قطنى وجد فى السودان فى مقابر المرو، ووصلتها من منطقة اعالى النيل وكانت مرو واثيوبيا واكسوم القديمة هى بلاد القطن

ولارتداء كل قطعة من الملبس دافع فمنها مايرتدى للاحساس بالخجل او للياقة او لتحمى صاحبها من الناحية السحرية او بدوافع دينية او لتقى الانسان اثار الطقس او ربما لجذب الانتباه وزيادة الجاذبية الجنسية ونجد ان اغطية الرأس والاحذية تعتبر جزءا من الملابس وترتبط كذلك كثيرا بالبيئة ، فيلبس الفراء فى المناطق الشمالية الباردة ويستخدم اللباد فى المناطق الممطرة ذات الشتاء البارد وقبعات الخوص فى المناطق الحارة ذات الشمس الباردة ويلاحظ ان معظم الشعوب البدائية تترك شعرها بدون قص وتصففه بطريقة تشبه القبعة وبهذا تحمى ايضا الراس

وتعتبر النعال والاحذية هامة جدا بالنسبة لوظيفة الحماية ايضا، وتصنع فى معظم الاماكن الباردة من الجلد والفراء ولقد انتشر الحذاء فى جهات كثيرة من العالم بعد الكشوف الجغرافية والتوسع الاوروبى فى العالم وتوجد انواع من الصنادل نشأ فكرة تصنيعها من صنع السلال والنسيج ويرتبط هذا النوع بالطقس الحار قليل الرطوبة ومنها ما يستخدمه البدو للتحرك فوق الرمال وانواع اخرى عند رعاة الجبال

اما فى الوقت الحاضر فقد اصبحت وظيفة الاحذية وظيفة جمالية ومن ثم تتعدد الاشكال وتتغير الموضات بسرعة لكافة قطع الملابس ومن القطع المكملة للملابس الاحزمة والأذيلةل او الاشياء التى يمكن ان تربط بالاحزمة او تعلق فيها و يكون لهذه القطع مغزى معين فربما تلبس فقط للزينة وربما تكون لتثبيت

غيرها من الملابس او تكون خاصة بمناسبات طقسية او لجنس معين او فئة عمرية معينة وكما تتعدد الملابس بقعطها المختلفة فتتعدد كذلك انواع الزينة الخاصة بها من ناحية الشكل والمادة والمغزى فربما تكون ذات مغزى جماليا او سحريا او دينيا ولكل منها تقاليده الخاصه به.

وتتضح اهمية المواد التى تصنع منها الملابس فى انها تشكل مدى استخدام الانسان للبيئة ومدى علاقته مع الجماعات المجاورة كما تبين النشاط الاقتصادى للشعوب كما ان طريقه ارتداء قطعة الملبس وتثبيتها او جزء منها وكذلك الابر المستخدمة ونوع الخيط وعملية الحياكة والاشخاص الذين يقومون بها يوضح ثقافة الشعوب ويلاحظ ايضا ان الملابس تختلف باختلاف اوقات اليوم (نهارا او ليلا) وفصول السنة والاعياد وفى بعض المجتمعات يظهر الفرق بين الطبقات فى الملبس كذلك المهن مثل ابطال الصيد والمقاتلين والعسكريين والاطباء ورجال الدين والسلطة وهكذا

يتضح مما سبق ان الملابس عموما يمكن بواسطتها تمييز مرتبة اجتماعية او طبقة سياسية او فئة دينية ومهنة معينة وذلك من نوع الزى الذى ترتديه كما انه يمكن فى بعض المجتمعات ان يستخدم جزءا من الملابس عند تقديم التحية مثل رفع القبعة عند تحية سيدة فى الغرب وعند زيارة شخص عظيم او مكان مقدس وفى افريقيا تتعدد انماط الملابس مثلما تتعدد شعوبها وانشطتها الاقتصادية وبيئاتها فاذا اردنا ان نبحث عن الزى القديم فى بعض دول شمال افريقيا نجده فى القرى بمراكش لان القرية هناك تحافظ على هذا الطراز ولكن نجده ايضا فى المدينة فى الجزائر وتونس ويتكون هذا الزى عموما من بنطلونات قصيرة واسعة وفوقها قميص ويصنع الاثنان من القطن او الكتان، ويلبس فوقهما القفطان من الحرير المطرز، وفوق كل هذا غطاء خفيف غالبا شفاف بالنسبة

للسيدات وقطن او كتان للرجال ولقد انتشرت الملابس الاوروبية حاليا، وهم يلبسون العمامة ويفضل الطوارق لليوم الاقمشة الزرقاء ذات اللمعان الجميل والمخططة كما يلبسون بنطلونات وقمصان قطنية وبرانس باكمام وصنادل جلدية ويشتهرون بلبس اللثام، وطواقيهم غالبا من الصوف

ويلبس اهل النوبة ملابس تشبه ملابس القرويين فى مصر بالنسبة للرجل وتلبس المرأة ثوبا يغطى جسدها وينسدل حتى قدمها ويعقد طرف هذا الثوب على الكتف اليسري

ومازال للمآزر اثار فى شرق افريقيا فيلبس الرجال جلد المعقدة وبلاطى من الجلد والفراء وتلبس النساء مآزر من اوراق الشجر والاعشاب او الجلد

ولكن مثل هذه الازياء القديمة قد اندثر معظمها فى غرب افريقيا وأصبحوا يلبسون الاقمشة القطنية.

ومازال بعض مربى الماشية يلبسون القطع المصنوعة من الجلد ويضعون على الرأس تاجا من الريش مثبتا على شريط من الجلد وربما أيضا قلنسوة من جلد الاسد او غيره من الوحوش (الماساي)

ويلبس فى (الصومال) نسيج خفيف من القطن عبارة عن ثوب يتروا ح طوله بين ٥، ٨ امتار قطعة واحدة او قطعتين للجزء العلوى والسفلى من الجسم وقطعة اخرى تلف حول الرقبة وعمامة بالنسبة للرجال وتلبس النساء قطعة واحدة من القماش يتراوح طولها بين ٥ ، ٨ امتار تلف حول الجسم مع ترك احد الكتفين عاريا

وتلبس المجموعات (النوباوية) حاليا الاقمشة المستوردة اما (النوير) فمازال

الرجل عندهم يلبس قطعة من جلد النمر وتلبس المرأة قطعة من جلد الخراف او الماعز حول الخصر

ويستخدم (الازاندي) قطع من لحاء الشجر او الجلد، تلبس بين الرجلين وتربط حول الوسط وقطعة اخرى خلفيه من جلد الوعل الصغير على شكل فوطة تحمى صاحبها من رطوبة الحشائش ويلبسون نعال من الخشب او الجلد ومن الخوص، وبجانب هذا كله يلبسون الاقمشة المستوردة.

واصبح (الشيلوك) يلبسون الاقمشة القطنية التى تغطى الجسم وتربط احد الاطراف على الكتف الايسر بالنسبة للرجل، وعلى الكتف الايمن بالنسبة للمرأة وتلبس تحتها قطعة مربعة او مستطيلة من نفس النسيج تتدلى من وسطها وتزين جميع هذه القطع بالخرز. ويسير الشيلوك غالبا حفاة الاقدام

ويلبس رجال البجا اقمشة خفيفة تأتى الى المنطقة من الهند وتبلغ طول القطعة حوالى ٩ امتار تلف حول الجسم من اسفل الى اعلى ويترك الكتف الايسر عاريا ويلبس تحت هذا الثوب سروالا طويلا كما تلبس المرأة قطعة كبيرة من القماش القطن او الحرير ايضا من الهند ويصل طولها الى حوالى اثنى عشر مترا تلف حول الجسم وتغطية من الرأس الى القدم كما يلبسون صنادل من الكاوتشوك.

ولقد اتضح من الدراسة كذلك ان الصيادين وملتقطى الطعام (البشمن والاقزام) يكتفون بالقليل من الملابس، وهى لاتتعدى مآزر من الجلد او لحاء الشجر بجانب اقنعة التخفى والصنادل التى تساعدهم على الجرى وراء الفريسة وهذا كله يتمشى مع البيئة والنشاط الاقتصادي

ويميل (الفانتي) الى لبس الملابس المزركشة فى العطلات والمناسبات والملابس الغربية فى الايام العادية كما يلبسون قبعات مزركشة.

ومـازال (الهـرور) يلبـسـون ازارا جلديا بأهداب وقلنسـوة ايضـا من الجلد بأهداب للمرأة المتزوجة وتزين هذه الانماط بقطع من قشر بيض النعام والحديد. امـا (الهـوتـنتـوت)، رجـالا ونسـاءا فـيلبـسـون مـأزر مـزخـرفـة من الجلد وطواقى وصنادل من الجلد ايضا

الهوامش

١- أميرة حلمي مطر ١٩٦٢

جان برشليمي ١٩٧٠

عبد الرؤوف برجاوي ١٩٨١

2- Leonhard Adam 1958 . p. 120

3- Doniach. N. S. 1983 . p. 124

4- Leonhard a. : op cit. p. 121.

٥- احمد زكي بدوي : مرجع سابق ص ٤٢١

Hunter, D, E, 1976 p. 118

Winick , ch, 1964 p. 527

(*) الفحم : يقصد به هباب القدر

Hirschberg w. 1965. p. 431

لمزيد من التفاصيل انظر

Buckland A. w. : XVII . 1888

Cattani p. 1922

Hambly w. D 1927

٧- عبد الرحمن زكي ١٩٦٥

وعبد العزيز عزت : ١٩٤٨

٨ - يوسف فضل الله : ١٩٧٦ ص ٥١

٩- المرجع السابق ص ٧٥

١٠- محمد رياض : ١٩٧٤ ص ٢٣٤ ، ٢٣٥

جورجي زيدان ١٩١٢

١١- سعد الخادم : ٩٦٥

١٢- ترويل مارجريت ص ٥٣ ٥٥

١٣ ـ سعد الخادم : ١٩٦١

احمد زكى بدوى مرجع سابق ص ١٥٥ ـ ١٥٦

١٤ـ محمد رياض : مرجع سابق ص ٣٦٢

١٥ـ انظر ص ٤٦ عندما خلعت المرأة الاقراص الخشبيه التى تزين بها اذنيها وشفتيها فشعرت بالخجل وجرت مختفيه فى الغابة

١٦ـ محمد رياض : مرجع سابق ص ٢٦٥

17- Hirschberg, w. : 1965 p. 223

Schurtz H.: 1897

Marcais G. 1920

Tilke . M. 1923

Hirschberg w.: 1962

18-Hirschberg w.: 1962 p. 291 - 292

19- Hirschberg w. 1965 p 155

Meyers Handbuch uber Afrika . p, 289

Junger , k. : 1926

Rachow, E. : 1958

20- Schurtz,H.: OP, cit

Hirschberg w, : opcit . 1965 pp. 155- 157

21- Tischner H.: op cit p. 167

22- Hirschberg, w. op. cit. 1965 p. 223

Schurtz H. op. cit

Wissler , Cl., : 1915

Marcais c. op. cit.

Tilke M. : op. cit

Hirschberg H. : op. cit . 1962

23- Hirschberg W. : op cit 1965 . p. 153

Meyershand buch: op cit . p. 293

24- Meyershandbuch: lp cit: p. 293

Hirschberg w. : op. cit. p, 153

25- Hirschberg w. : op. cit. p. 157

26- Meyershand buch: op cit p. p. 291 - 292

27- Hirschbereg w. : op cit . cit . p. p. 155 - 1565

Meyershand buch: op cit p. p, 290 - 292

٢٨- محمد رياض مرجع سابق ص ٣٦٩

29- Notes and queries on Anthro.: 1964 pp. 234 - 235

30- Hirschberg w. : op cit . p.p. 152 160

Meyershandbuch: op. cit. p.p.293 - 294

المراجع العربية

١ـ أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية مكتبه لبنان ١٩٧٨

٢ـ اميرة حلمي مطر: فلسفة الجمال، المكتبة الثقافية ٧٤، وزارة الثقافة والارشاد ١٩٦٢

٣ـ ترويل مرجريت: الفن الزخرفي ـ اصول التصميم في الفن الافريقي ترجمة مجدى فريد مراجعة صلاح طاهر الباب الثامن (التشريط وتلوين الجسد) الكتاب العربي للطباعة والنشر ١٩٨٢ القاهرة

٤ـ جان برتليمي: بحث عن الجمال ترجمة انور عبد العزيز، دار النهضة المصرية ١٩٧٠

٥ـ جورجى زيدان: السلائل البشرية مطبعة الهلال ١٩١٢

٦ـ سعد الخادم: الازياء الشعبية القاهرة ١٩٦١

٧ـ سعد الخادم: الفن الشعبي والمعتقدات السحرية القاهرة مكتبه النهضة المصرية ١٩٦٥

٨ـ عبد الرحمن زكي: الحلى في التاريخ والفن المكتبه الثقافية ١٩٦٥

٩ـ عبد الرؤوف برجاوي: اصول في علم الجمال دار الافاق الجديدة بيروت ١٩٨١

١٠ـ محمد رياض: الانسان دراسة في النوع والحضارة دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٤

١١ـ يوسف فضل الله: الشلوخ اصلها ووظيفتها في سودان وادى النيل دار جامعة الخرطوم للنشر طـ ١ ، ١٩٧٦

المرجع الأجنبية

1) Buckland A.W.:On Tatooiring (Journal of the RoyalAnthropological Institute xvll 1888).

2) Cattani p.:Das Tatauierung, 1922.

3) Doniach n:s. :The oxford English - Arabic Dictionary Oxford, at the charendon press, 1983.

4) Hambly, W.D.:The History of Tatooiring and its Significance, new york, 1927.

5) Hirschberg, w. : Kleidung in (Meyers Handbuch uber Afrika, 1962.

6) Hirschberg, w."Worterbuch der" volkerkunde, Stuttgart, 1965

7) Hunter, David,E., Whitten Philip: Encyclopedia of Anthropology, Harvard univ. 1976.

8) Junger, K. : Kleidumg und umwelt in Afrika, Leipzig, 1926.

9) Leonhard A., Trimborn H.: Lehrbuch der "volkerkunde Ferdinan, Enke Verlag, Stuttgart, 1958.

10) Marcais G.le costume Muselman d'Alger, Paris, 192

11) Meyers Handbuch uber Afrika, Mannheim, 1962.

(12) Rackaw, E., BeitrageZur Kenntnis der Materiellen Kultur Nord - West - Marokkas, Wiesbaden, 1958.

13) Schurtz, H.: Die geographische verbreitung der Negertrachten Internat. Archiv. F. Ethnographie, 1891.

14) Tilke, M.: orientalische kostume in Schnitt; u.Farbe, 1923. ders. Studien Zu der Entwicklungs geschichte Des orientalischen Kostume, 1923.

15) Tischner Herbert: Das Fischer Lexikon, Frank Furt 1963

16) Winick, charles: Dictionary of Anthropology, paterson, New york, 1964.

17) Wissler, c.l. :costumes of the plains Indians (anthrop. PaP. Am. Mus. Nat. Hist. xvll, New york. 1915)

الفصل الثالث

المســـــاكن

مقــدمة

بنيت البيوت منذ مالا يقل عن ثلاثمائة الف سنة ـ ويمكن القول انها بدأت مع الجنس البشرى. ورغم تقدم الانسان فى بعض النواحى الحضارية الا أنه لم يستطع أ يقدم تحسينات تجارى التقدم فى النواحى الأخري، فالتحسينات التى طرأت على المسكن كانت بطيئة وفى معظمها تحسينات شكلية لم تمس جوهر المسكن. ونفهم التنوع الهائل لأشكال البيت أكثر اذا اعتبرت العوامل الثقافية أنها أكثر أهمية من الجو والتقنيات والمواد المستخدمة والاقتصاد وعلى أى حال فانه تأثير متبادل لكل هذه العوامل التى توضح أكثر شكل المسكن الذى يبنيه الناس. ولهذا فإنه لايكفى توضيح عامل واحد بمفرده. فالبيت أكثر من أن يكون موضوع المادة المستخدمة أو البناء، أنه مؤسسة خلقت بواسطة مجموعة معقدة من القوي، انه ظاهرة ثقافية [1] وباعطاء الصدارة أو الأولوية للعوامل الاجتماعية الثقافية والنظرة للمسكن كظاهرة ثقافية ، فانه لمن المدهش أ نجد أن الانثروبولوجيا قد أهملت دراسة الملابسات المحيطة بالبناء، ومعظم اكتشافاتها المألوفة كالمسكن والمعدات التى تعتبر جزءا نتيجة للقرابة الوثيقة الصلة بين شكل البناء والثقافة ودراسة المساكن ، كيف تستخدم وكيف انها تنتمى الى انظمة متعددة ستكون مفيدة للنظرية الأنثروبولوجية. ان المدخل الأنثروبولوجى سيظهر أنه ضرورى لأى دراسة متعددة الأنظمة لتفاعل الانسان والبيئة، بينما دور واهمية المسكن والمعدات لا بد أن يكون جزء مهما للأنثروبولوجيا التطبيقية[2] والمسكن : عبارة عن مبنى مخصص لسكن أسرة أو أكثر وهو منزل

أو شقة أو مأوى ويزود عادة باللوازم السكنية الاملائمة، ويقاس حجم المسكن بعدد حجراته(٣).

والمساكن بصفة عامة هي محلات الاقامة التي تهيا للناس فى مجتمع معين . ويعتبر المسكن من أهم العوامل التي تؤمن استمرار الحياة الاجتماعية وكذلك أهم أشكال الثقافة المادية ويوجد فى كل المجتمعات فيما عدا مجتمعات الرحل. كما توجد علاقة وثيقة بين السكن والتنظيم العائلى فى جميع الثقافات وفى جميع الأزمان، فان شكل المسكن يتفق بشكل ما مع التنظيم العائلي، كما أنه بدوره يدعم ويقوى النظام العائلي.(٤)

ولا يوجد أى شعب بدون مساكن، وهى تخدم المأوى فى المقام الأول كأماكن للنوم وحماية من التقلبات الجوية لدى الشعوب البدائية، وتقدم حفائر النوم فى الرمل(استراليا) أو أحواض قاع الأنهار الجافة (الفلبين) والكهوف والأسقف الحجرية وغيرها امكانية المأوى للصيادين وجامعى الطعام. ويستعمل الانسان بجانب هذا أيضا مساكن صناعية (مصدات الرياح والأكواخ القبوية)(٥).

ومازال فى القرن العشرين مئات من الناس فى الريف وفى الأحياء الفقيرة فى المدن من مختلف المجتمعات تعيش فى مساكن لايمكن أن توصف بأكثر من كونها سقف والحاجة الى سقف هو كل ما يحتاجة الانسان ومن ثم فان ابسط أنواع السقوف كانت ومازالت تكفيه. ولم تكن الوظيفة الاساسية للمسكن هى مكان الغذاء، فقد كان هذا يحدث خارج المسكن ولم تكن الوظيفة كذلك هى الراحة الجسدية اذ كانت تتم خارج المسكن إيضا ، انما يبدو أن المسكن كان اداة حضارية تغلب بها الانسان على الظروف المختلفة مثل البرودة والمطر واشعة الشمس ، ومن ثم تنتشر المساكن بصورها المختلفة فى كل الحضارات . والى جانب الحماية من المناخ الحماية أيضا من مفاجآت الاعداء والحيوانات

الضارية التى تعتبر جزءا أساسيا من وظيفة المسكن، ولذا تطور شكل المسكن من اتخاذ الكهوف ماوى للتجمعات الانسانية، الى شكل من المسكن شيده الانسان بمواد مختلفة حسب نوع الحضارة ونوع الخامة السائدة ولم نجد بعد التاريخ المبكر أى تقدم ملحوظة فى جوهر ونوع الخامة السائدة : جدران فى صورة مربع أو مستطيل وكانت الحوائط المستديرة أو البيضاوية أسبق فى الغالب لان فكرة التلاحم بين جدارين يسيران فى اتجاهين مختلفين فكرة آرقى نسبيا، وحتى جوهر أنواع الأثاث لم يتغير ، كالمقعد والسرير والموائد ، وذلك لأنها تكفى الاحتياجات البيولوجية للإنسان من حيث الراحة والاسترخاء وتناول الغذاء الى جانب عامل التوارث الاجتماعى ، فالانسان يقضى فترة طويلة فى مسكن والدية ويعتاد على تخطيط معين للسكن والأثاث اعتيادا يصعب تغييره، ومن ثم فان التطور فى نوع المسكن ومخططه بطئ جدا فهناك حجرات للنوم وحجرات للاجتماع والشئ الذى أضيف هو المطبخ والحمام كغرف مستقلة والمطبخ فى العصور الحجرية وعند بعض الجماعات البدائية عبارة عن موقد جماعى وفى العصور الوسطى وفى المدن القديمة كان المطبخ جزءاً من حجرة الجلوس وكان مجرد موقد يعطى الدفئ ويطهى عليه الطعام وهو مازال كذلك فى الريف فى أنحاء العالم.

اما الحمام فلم يكن له وجود بالمسكن الا فى آواخر القرن الماضى وآوائل القرن الحالى ومازالت كثير من الأبنية القديمة فى المدن الأوروبية مثل فيينا وباريس والمانيا تخلو من حمامات خاصة بالشقق اما فى الحضارة العربية والرومانية ومنطقة البحر المتوسط فقد كان الحمام ضروريا وان لم يوجد الا فى قصور الاغنياء(٦)

وقد ارتبط انتشار المطابخ والحمامات داخل المساكن كثيرا بدخول المياه

الجارية الى المساكن وظهر ذلك فى الحضارات العليا القديمة بواسطة انابيب فخارية ولكن كان هذا قاصرا على المبانى العامة أو مبانى الملوك والنبلاء والاغنياء كل على حده لا يرتبط بشبكة مياه رئيسية. ومن أغراض المسكن العديدة حماية الناس ونشاطاتهم وممتلكاتهم من الطقس والاعداء البشرية والحيوانية ومن القوى فوق الطبيعية وللدلالة على المكانة الاجتماعية ولاسباب رمزية فليس المأوى هو الوظيفة الوحيدة للمسكن كما أن هناك علاقة واضحة بين شكل البيت والطقس(٧)

الانواع ـ الاشكال ـ مواد البنا

أولا: انواع المساكن

يرتبط المسكن بنوعين من الضوابط هما: الاقتصاد والنظم الاجتماعية، ونعنى بالنظم الاجتماعية هنا شكل التجمع الأولى فقط: عشيرة أو أسرة ممتدة أو أسرة نووية (الزوجان وأولادهما) لأن المسكن هو الاحتياج المباشر لهذا التجمع الأولى والاستجابة الحقيقية لمشكلة المأوى بالنسبة له ، ولما كانت كل التجمعات مرتبطة بالنظام الاقتصادى السائد فاننا سوف نجد أشكال المسكن عبارة عن استجابة لهذين العاملين معا: النمط الاقتصادى والتجمع الأولى ففى التنظيم القائم على الأسر النووية يصبح المسكن محدود المساحة وهو بذلك اصلح أشكال التنظيم الاجتماعى لسكن المدن.

والنوع الثانى هو الخيمة التى تستخدم أثناء تنقل الرعاة والصيادين والنوع الثالث هو البيت الجليدى عند الاسكيمو وهو مسكن مؤقت يقيم فيه الاسكيمو بضع ليال أثناء تجولهم المستمر خلال الشتاء المظلم.

ويوجد فى سيبيريا نوعان من المساكن ، المساكن الحجرية الثابتة فى الارض، والخيام المتنقلة أثناء موسم الصيد فى الصيف، وعند الجماعات التى تمارس الزراعة البدائية والرعى فى أفريقيا نجد المساكن أو الأكواخ الدائمة المبنية من الطين عند الحقول ،ومعسكرات الرعاة أثناء موسم المطر خلال الصيف.،كذلك الحال عند رعاة البقر فى المناطق الجبلية فى أوروبا وآسيا نجد مساكن القرية الدائمة فى بطون الأودية وأكواخ الرعاة على سفوح الجبال. أما الجماعات المستقرة (زراعية أو صناعية) فالغالب أن لهانوعا واحدا من المساكن يرتبط بالوظيفة الاقتصادية حيث نجد المسكن الريفى عبارة عن مجمع يحتل القسم الأكبر منه مخازن المحصول ومأوى الحيوان ومخزن الأدوات والآلات المستخدمةفى الزراعة ،أما القسم الأصغر فهو عبارة عن مأوى الأسر، بينماالمسكن فى المدينة رمز الاقتصاد الصناعى والتجارى ، فلا يضم بين جدرانه سوى مأوى الأسرة. فهناك انفصال حقيقى بين المسكن ومكان العمل على عكس المسكن الريفى الذى لا يوجد بينه وبين الحقل فاصل بل نعتبرهما معا امتدادا لشئ واحد.

وفيما يخص ترتيب أنواع المساكن التى عرفها الانسان قديما فقد وجد أنه من الصعب ترتيبها ترتيبا تصاعديا لكثرة التداخل والفروق الحضارية ولاختلاف البنية الجغرافية، ولكن هناك اتفاقا عاما على أن الانسان قد استخدم فى البداية أكثر أشكال البنية المحيطة به التحقيق أغراضه السكنية ، وكانت هذه الأشكال تأخذ صورا متعددة من التجاويف الصخرية الواسعة شبه المسقوفة الى الكهوف الضحلة والمتعمقة. فالكهف الغائر رغم رطوبته يعطى مأوى جيدا ضد الرياح الباردة خاصة مع استخدام النار لزيادة التدفئة ومنذ العصر الحجرى القديم نجد مساكن مبنية من الأخشاب والطين وفى العصر الحجرى الحديث ظهرت البيوت المبنية من الطين المقوى بالبوص أو الطين اللبن. وشاع استعمال

الحجارة فى بناء المساكن. ومع ظهور المساكن المستقرة المبنية من الطوب عند الزراع حدث تطور عند الرعاة المتنقلين حيث أصبح المسكن متنقلا يصنع من مادة يمكن نقلها مع تنقلهم سعيا وراء العشب والماء . فظهرت أنوع الخيام المختلفة كالتى نعرفها عند بدو الصحراء وفى خيام المغول والتركمان المصنوعة من اللباد والمسماة يورت (Yurt) وهى أكبر مسكن متنقل من حيث المساحة والارتفاع والزينة المضافة اليه.

ويفرق الانسان بين الأنواع الرئيسية الآتية:

مصدات الرياح: أبسط أشكال المساكن المصنوعة التى تعرف عند المجتمعات البدائية المعاصرة وهى على شكل حائط واق ضد الرياح السائدة وهو عبارة عن اطار من الأغصان يغطى بلحاء الأشجار وأوراقها ويوضع فى صورة مائلة بالاستناد الى حائط صخري، أو شكل قوس كبير يقام تحت الأشجار ويغطى بالأعشاب ويحمى الناس من الأمطار والرياح.

الاكواخ: الكوخ عبارة عن مسكن يكون حائطه وسقفه وحدة واحدة متداخلة مع بعضها ولا تنفصل. ويستخدم معظم البدائيين أشكالا مختلفة من الأكواخ منها ما هو على شكل قبة من الأغصان والأعشاب فوق هيكل من الخشب أو كوخ خشبى بأعمدة خشبية ينتهى بسقف قمعى الشكل لتجنب مياه المطر وهذه الاكواخ شائعة فى جنوب شرق آسيا وهى ذات أسقف منحدرة فى النطاق الاستوائى وأحيانا تقام جدران الأكواخ من الحجارة.

ولهذه المساكن عدة أشكال ويستخدم فى بنائها مواد عديدة غالبا ما تكون متوفرة بالمنطقة ، كما أن عملية البناء اما أن تكون فردية أو جماعية أو تقوم بها طبقة معينة وهى تعد بشكل خاص، فالحجرات آما أن تكون منفصلة يتوسطها

فناء أو مرتبطة معا عبر ممر أو أكثر، وربما يتكون هذا المسكن من أكثر من طابق وفى هذه الحالة لابد أن يكون هناك سلالم خارجية أو داخلية أو متنقلة أو مثبته، وكثيرا ما يقسم المسكن الى قسمين أحدهما للنساء والآخر للرجال، كما يخصص به أيضامكان للطبخ، وآخر للحيوانات الأليفة والطيور ، ويتاح بهذا المسكن عمل فتحات للتهوية والأضاءة ويقوم الرجال غالبا بعملية البناء.

البيوت: البيت هو مسكن يكون جزء من حائطه وجزء من سقفه منفصلين عن بعضهما ويكونان وحدتين انشائيتين منفصلتين.

ويفرق الناس بين اصطلاح كوخ وبيت ، فبالنسبة للكوخ يكون الحائط والسقف وحدة واحدة ويستقر السقف على الأرض، أما البيت فيكون السقف والحائط منفصلين عن بعضهما بوضوح، وللبيت حوائط وليس للكوخ. كما يفرق بين آجزاء المنشآت الفردية (الأساس الداخلي، أساس السقف وغيرها)، وكذلك بين المبانى الدائرية والمستطيلة المختلفة. وهناك أيضا البيت المخروطى الشكل (أو البيت الاسطواني) والبيت القبوي، البيت الجمالونى السقف ، البيت الجمالونى الأسطوانى السقف، بيت بشرفة سقف الجمالون، بيت بسقف منفصل، بيت بسقف مسطح أو صندوق والبيت الهرمى السقف.(٨)

وهناك أنوع عديدة وفريدة من أنماط البيوت مثل:

بيوت مصنوعة من *الطوب*: وتشيد اما من الطوب اللبن أو المحروق وهو النمط الشائع ويمكن أن يرتفع الى عدة طوابع.

بيوت مشتركة: وهى تخالف النوع السابق وتسمى البيت الطويل. ويرجع هذا المسكن الى العصر الحجرى القديم. ويوجد حاليا فى غابات الأمزون

وأمريكا الجنوبية وكثير من جزر المحيط الهادى وكان شائعا عند «الايروكويز» كما وصفها لويس مورجان وصفا دقيقا.

بيت جماعي: وهو عبارة عن بيت جماعى يستخدم بواسطة المحاربين فى المجتمعات التوتمية.

بيت العظام: مستودع عظام أو بقايا عظمية عند الهنود فى جنوب شرق الولايات المتحدة. تنظف العظام وتوضع فى سلة من الخيزران قبل الذهاب الى بيت العظام.

بيت شعبي: بيت كبير ضخم، ويوجد غالبا فى المجتمعات الأمومية ويعيش فيه من ١٥ الى ٢٠ شخص.

بيت الحشائش: مسكن جو دافئ مصنوع من الحشائش على هيكل قائم غالبا ما يكون على شكل عش النحل وبمكان سرى للنار.

بيت الرجال: مسكن منفصل وجد غالبا فى المجتمعات القديمة، ويسكن فيه الرجال المتزوجون أو غير المتزوجين.

ويستخدم اصطلاح البيت ليشير الى ستة أنواع مختلفة من البيوتات: بيت العزاب، بيت جماعى ، محل الرجال ، بيت الرقص والأعياد، بيت العبادة، بيت المجلس. كما نجد أيضا فى بعض المجتمعات:

بيت الحفر: بيت يبنى بحيث يغور جزء منه أو كله فى الأرض، ويمكن أن يشار اليه أيضا كبيت محفور ، طالما يوجد له سقف فوق الحفرة،ويشبه الحائط لدى بيت الحفرة جانب الحفائر. وتستغل هذه المساكن حفرا طبيعية فى الارض

أو تحفر الارض الى العمق المطلوب، وجدران الحفرة تكون سندا قويا للجدار الذى يبنيه الانسان من الخشب أو الحجارة وهذا النمط ما زال شائعا فى النطاق الشمالى من آسيا وأمريكا. والمسكن بذلك عبارة عن حجرة بيضاوية أو مستديرة. وتوجد أيضا عند صيادى شمال سيبيريا مساكن الحفر ولكنها نصف غائرة.

بيت مربع بالجوانب: واحد من أقدم أشكال البيوت، يصنع بواسطة وضع سقف على مساحة بين متوازيين لمصدات ريح عمودية.

البيت الجليدي: مسكن شتوى حلزونى لدى الاسكيمو، يصنع من الواح الثلج الذى يذوب فى الربيع.

بيت *العرق:* (خص) يستعمل لحمامات العرق، وخاصة بين الهنود.. وتشكلت هذه الحمامات استعدادا للحرب، والطقوس الدينية، أو لجزء من طقوس سن البلوغ. وهذا البيت محكم الغلق وينقط به ماء ساخن جدا عل أحجار تعطى بخارا متصاعدا(٩).

الخيام: تشبة الخيمة فى شكلها الخارجى الكوخ أو البيت وتكون قاعدتها وسقفها قابلين للتنقل. وترتبط الخيام بالرعاة المتنقلين وتصنع من شعر أو جلود الحيوانات التى ترعاها المجموعة ويستخدمها أيضا بعض الصيادين فى آسيا الشمالية وأمريكا الشمالية لكثرة تجولهم وراء الصيد. وغالبا ما يكون هذا المسكن بسيطا وخفيفا ومع ذلك يمكن أن يقسم من الداخل الى حجرات ويكون له ثقوب للدخان والتهوية ونوافذ وأبواب وغطاء للأرضية وتقوم النساء عادة بصنع هذا المسكن.

الكهوف والاشجار وغيرها من الملاجئ الطبيعية: تعتبر الكهوف أقدم أشكال المساكن المعروفة، وهناك بعض الجماعات التى مازالت تستخدمها لليوم وخاصة فى أسبانيا. ولجأ الانسان اليها كملجأ جيدا ضد البرودة الشديدة خاصة فى العصور الجليدية. وربما تستخدم مثل هذه الأماكن لأغراضها العادية أو كأماكن للمأوي، وبأسماء مكانية تشير الى هذا الاستخدام ومن المحتمل أن تكون قد أدخلت عليها تحسينات بالحفر أو باضافة الجدران الصناعية أو الستائر، كما أن جدران وأسقف هذه الكهوف تزين بطريقة ما بتلوينها أو الحفر عليها.

وهناك بعض المساكن ذات الوضع الفريد مثل:

المسكن المرتفع او المبنى المقام على ركائز: كوخ أو بيت مؤسس على مسطح أوعلى شجرة.

مساكن مقامة على البحيرات وأبنية أخرى على أعمدة محاطة بالمياة: لهذا المسكن استخدام خاص وطريقة معينة فى البناء. ولابد من توفير الصيانة والاصلاح للدفاع وللحماية من الثأر وللتخلص من القمامة.

المساكن المقامة على المستنقعات: ان هذا النوع من المساكن يكون له معاملات خاصة قبل البناء حيث تقوى أرضيات الأكواخ المبنية وترفع فوق مستوى الماء.

ومع كل ما تقدم فانه نتيجة لمناخ أفريقيا الحار بصفة عامةوالأمطار الموسمية فان معظم الأنشطة يمكن ممارستها فى المناطق المفتوحة.

اماكن العبادة:

وتوصف العقائد الأفريقية غالبا بأنها وثنية.، ومع ذلك فهناك اختلافات كبيرة فى العقائد، ولكن لا يستطيع أحد انكار أن هذ ه العقائد لها تأثير كبير على أنماط الحياة. وتعتبر أفريقيا من الأماكن الغنية بالمقدسات والطقوس، كما تتميز بثروة هائلة فى أنماط مبانيها.

فالانسان فى هذه المجتمعات يؤمن بقوة هذه العقائد فى داخل وخارج المجتمع. ونجد أن بناء الأضرحة والمزارات تكون هادئة بعيدة عن المنازل وتبنى غالبا فى ظل شجرة، أما عن التماثيل التى يعبدونها فعادة ما يتم اقامتها فى المناطق التى يوجد بها الكهنة (بنى Bini, اليوروبا، الأشانتى والكبسجن). وتكون التماثيل فى بعض المجتمعات ممثلة للطبقات الوسطى والخدم (الجاندا) . وبعض المجتمعات تقيم تماثيلها فى المناطق الريفية.

ويذكر برودى Broody أن هناك نمطين أو أسلوبين من أساليب بناء هذه الأماكن . يوجد أحدهما فى الجزء الغربي، والآخرى فى الجزء الشرقي. والتصميم الأول عبارة عن مجموعة من الشوارع على شكل محاور، واستخدمت بعض الجماعات المسيحية الأخشاب والحجارة فى البناء وتوجد مسطحات بين الحوائط والأسقف، أما النمط الثانى فيتميز باتخاذه شكل المربع الذى يخترقه ممر، ويعتمد على استخدام الصخور الصلبة والأسقف شبه المنحرفة (هذا هو نمط المدن المسيحية).

وكان المسلمون متميزين بالنشاط التجاري، مما ساعد على نشأة العديد من المراكز الجزء الجنوبى من الساحل الشرقى لأفريقيا، وكذلك عبر الصحراء نحو غرب أفريقيا عن طريق التجار، ثم نقلت العقيدة ومايتبعها من بناء المساجد، وكان

بناء معظم المساجد لاقامة شعائر صلاة الجمعة يتم اختيارها وتوجيهها نحو مكة وعلى طول ساحل أفريقيا لليوم وتحتل معظم المساجد مناطق متميزة ويتم بنائها غالبا بالحجارة. وكانت المساجد فى مصر فى القرن الرابع عشر بلا أسقف ويختلف نمط حوائطها عن جدران المساكن.

وبالنسبة للمساجد المخصصة لصلاة الجمعة كانت تبنى فى المناطق المفتوحة على عكس الأخرى خلال أيام الأسبوع فكانت ذات أسقف.

يتبين مما تقدم أن هذا الجزء يتضمن كل أنواع المأوى ومكان السكن، سواء المؤقت منها أو الدائم (كالكهوف، والمأوى الصخرى والأشجار) أو التى ينشئها أو يبنيها الانسان بشكل تام تقريبا ولكل نوع غرض معين وتخطيط وترتيب فى أجزائه وكذلك تختلف المواد المستخدمة وطريقة النباء من منطقة لأخري، كما أن للموقع الذى يختار لبناء المساكن مغزى يجب معرفته ، وأحيانا تكون المساكن منفردة منفصلة، عن بعضها أو تجمع الأكواخ والمساكن فى مجموعة واحدة.(١٠)

وكما شاهدنا نجد أن كثيرا من المجتمعات تخصص مساكن جماعية للعزاب ويكون لها موقع خاص خارج التجمع السكانى وتعمل بها طقوس معينة ،أما باقى التجمع فغالبا ما يكون لكل أسرة سكن خاص بها، كما يخصص للضيوف كذلك مساكن خاصة خارج التجمع السكني.

ثانيا: أشكال المساكن:

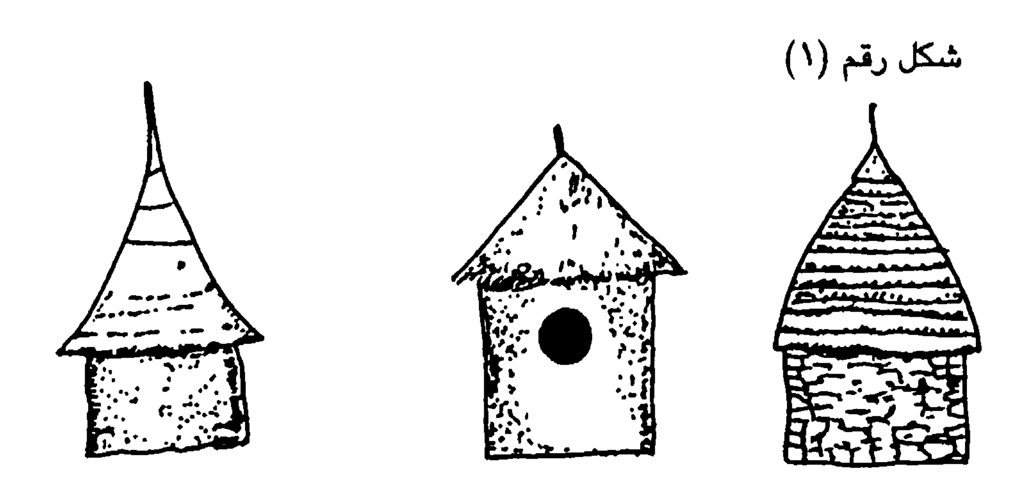
من الملاحظ أن مبانى أى شعب من الشعوب تعكس اقتصاده وتاريخه وجغرافيته، ولذا نجد أن أشكالا معينة من المساكن تتناسب مع اقتصاد وتاريخ وجغرافية وملامح اقليم معين(١١)

ولك قبيلة ثقافة مادية فريدة، ليس فى كل خصائصها بالطبع، ولكن بالتأكيد فى مجموعها. وكثير من القبائل لها أكثر من نمط واحد للمسكن ،ويعرف النمط أو الطراز بأنه شكل الابنية الفردية ولكنه أيضا طريقة تنظيمها.

ويمكن تجميع الاشكال فى فئات رئيسية:

١) شكل دائرى قائم بذاته قطره أقل من ارتفاعه، ومغطى بالطين والحجر أو الحجر فقط، والأساسات غالبا من الحجر، أما السقف فهو من القش و الغاب بشكل مخروطى أو بوقى وتنتظم الأبنية فى مجموعات على نمط حلقى وتحاط بسور أو فناء (السودان، تنزانيا، شمال نيجيريا، شمال الكميرون، مالي، سنغال وغينيا، شمال توجو وبنين، جمهورية أفريقيا الوسطي).

شكل رقم (١)



٢) شكل دائرى قائم بذاته قطره مساو تقريبا لارتفاعه، والسقف عبارة عن أعمدة مرتكزة على هيكل مركزي، وقد تغلف الأعمدة أحيانا بالحجارة عند قاعدتها ،وتسقف بالحشائش أو التربة المكسوة بالعشب الاخضر (أثيوبيا، تنزانيا).

شكل كل رقم (٢)





٣ ـ شكل دائرى قـائم بذاته يزيد قطره عن ارتفـاعـه، وتصنع الحـوائط من الطين والوتل أو الوتل فـقط أو الغـاب الأفـرنجى (البـامـبـو) أو سـعف النـحيل ، والسقف مخروطى مصنوع من القش وغالبا له شرفة (كينيا، زائير، نيجيريا، غينيا، كميرون، تنزانيا، ليبيريا، جنوب أفريقيا، زامبيا، غانا، السودان، مـالي، سنغال، سيراليون)

شكل رقم (٣)

٤) شكل دائرى قائم بذاته وسقف مخروطى بدون حوائط وهيكل من عصى مستقيمة (أعناق أعواد الذرة الغيني، البامبو «الغاب الأفرنجي») وأحيانا تسقف بالقش: (شمال نيجريا تنزانيا، السودان، أثيوبيا).

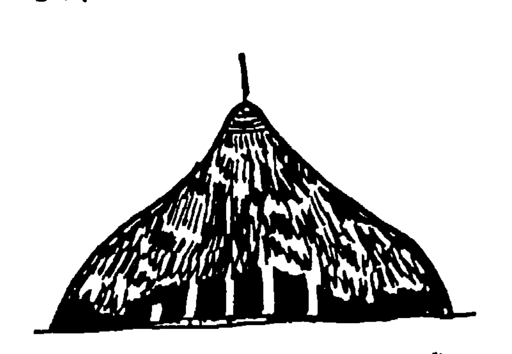
شكل رقم (٤)




٥) شكل دائرى قائم بذاته ، هيكل مرن من الأعمدة المثبتة فى الارض من قاعدتها ومربوطة من القمة، ويعرف بنمط خلية النحل ومنظرها الجانبى محدب طفيفا (مسنم) يسقف أحيانا بأوراق الموز ولكن الغالب عادة هو الحشائش أوالغاب ويكون السقف مدرجا أو مسطحا ويكون له أحيانا حائط محيط منخفض وقد يكون مدعما مركزيا ويقسم غالبا من الداخل بحواجز، نفس التصميم كمنزل، غالبا له سقيفة باب. (السودان ، تنزانيا ، رواندا ، أو غندا، بوروندي، نيجيريا، أثيوبيا ، تشاد، النيجر، كينيا، جنوب غرب أفريقيا)

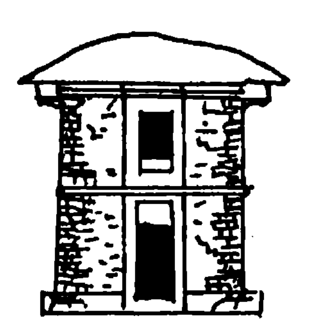


شكل رقم (٥)

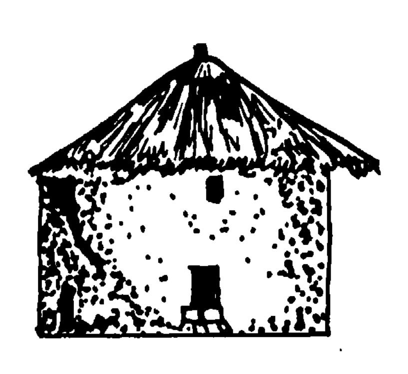
٦) شكل دائري، قائم بذاته من طابقين والحوائط مغطاه بمونة من الطين ، والشبابيك خشبية شبكية الشكل، وبين كل طابق ممر مثقوب، والسقف على شكل قبو من الطين مسقوف بالقش (أثيوبيا).

شكل رقم (٦)



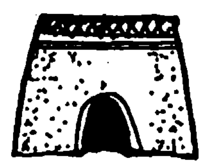
٧) شكل دائرى قائم بذاته نو طابقين وحوائط مع مجاميع صخور دائرية صغيرة مثبته بمونه من الطين، ويتم الوصول الى الطابق الثانى عن طريق درج سلالم خارجى من الحجر، بداخله حوش محاط بجدران وله مدخل سقيفة باب بالطابقين(أثيوبيا).

شكل رقم (٧)



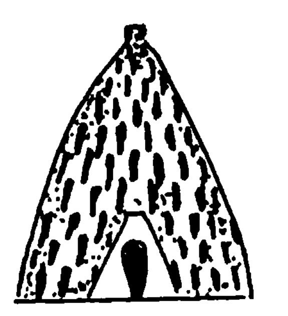
٨) شكل دائرى قائم بذاته، الحوائط من الطين، أو الطين والقش، والسقف مسطح من أعمدة وطين وقش وتعمل فى مجماميع محكمة مبينة على حوائط محيطية ملونه ومزخرفةمن الدخل عادة. (وللصوامع عادة أغطية أوأسقف من القش) (مالي، غانا، فلتا العليا).

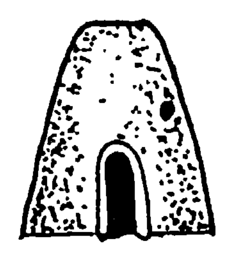
شكل رقم (٨)

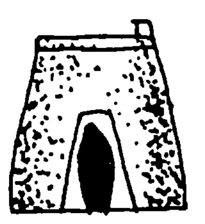


٩) شكل دائرى قـائم بذاته، صـدفي، السـقف من الطين، بدون حـوائط ذا منظر جانبى محدب طفيف وأحيانا ذا نقوش خارجية بارزة، منظمة فى مجاميع بداخل حائط محيط (كميرون ، غانا، تشاد)

شكل رقم (٩)

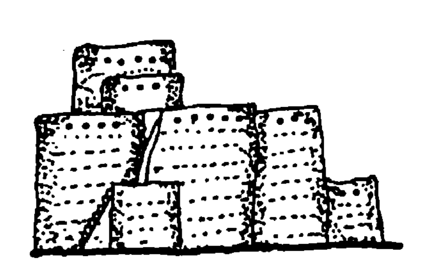


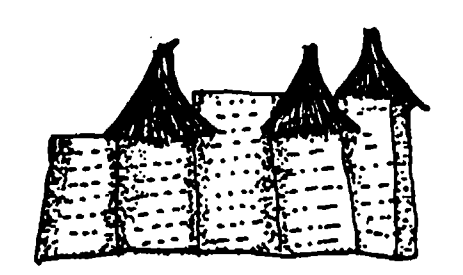




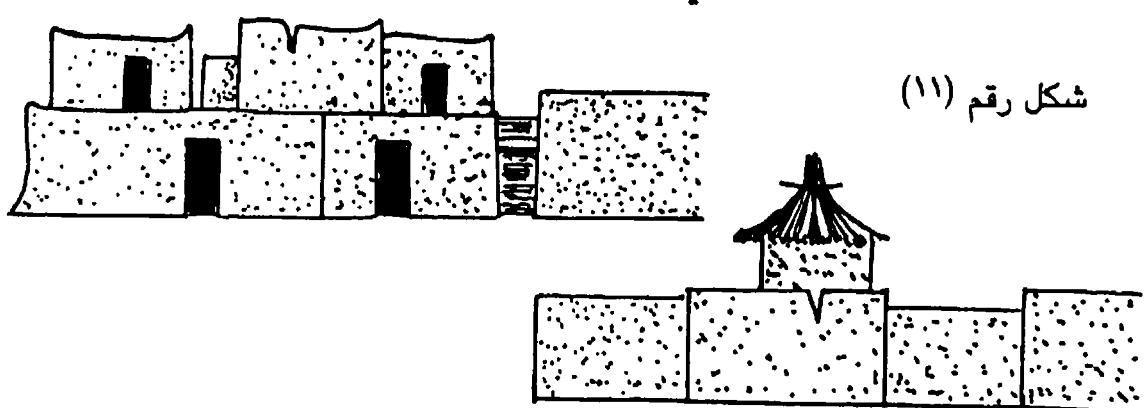
١٠) شكل دائرى من طابق أو أثنين أو ثلاثة فى الارتفـاع مـبنى باندمـاج ليشكل أبراجا منزلية، وتعمل الحوائط من سياج من الطين، والسقف مسطح ويتكون من أعمدة وقش وطين (قلتا العليا، بنين، مالي).

شكل رقم (١٠)





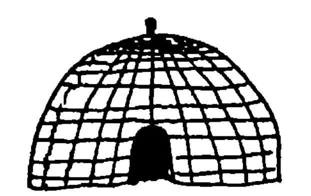
١١) وحدات ذات تصميم قائم الزوايا، بارتفاع طابق وحد، ولكنها تبنى بالتجاور وعلى قمة بعضها ، طوب طينى أو حوائط من سياج من طين، والسقف طينى مسطح مقوى بالخشب وسعف النخيل أحيانا يعلوه طراز رقم (٣) (كوت دى فوار (ساحل العاج سابقا) مالي، فلتا العليا، غانا).



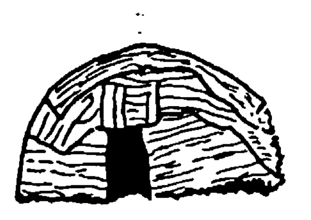
شكل رقم (١١)

١٢) شكل دائرى أو بيضاوى أو مستطيل ذوى منظر جانبى نصف دائرى أو بشكل المعين الهندسي، الهيكل الأساسى على شكل طارة مغطى بالجلود والحصير مع سقف من الحشيش أو سقف من الحشيش وأوراق الشجر أو من طين على جدائل خشبية يمكن عادة رفعها، وهى منظمة عادة بتناسق، وترتبط غالبا بكرال الماشية، (تنزانيا كينيا» ماساي، كميرون، زائير، ناميبيا، جنوب أفريقيا، سوازى لاند، تشاد، نيجيريا ، الصومال، أثيوبيا طوارق النيجر، مالى ، لسوتو).

شكل رقم (١٢)

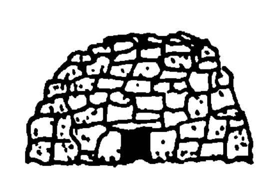


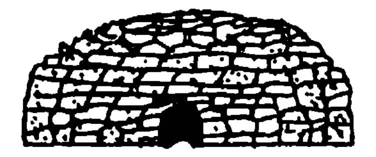




١٣) شكل دائري أو بيضاوي قائم بذاته، بناء حجري، حجر رملي غيرمـهذب أو نوع من الصـخور النارية الصغيرة المستديرة (الدولريت) أو ترابيع مـهندمة من نوع الصخو رالنارية (الدولريت). لسوتو، ، بتسوانا، جنوب أفريقيا).

شكل رقم(١٣)

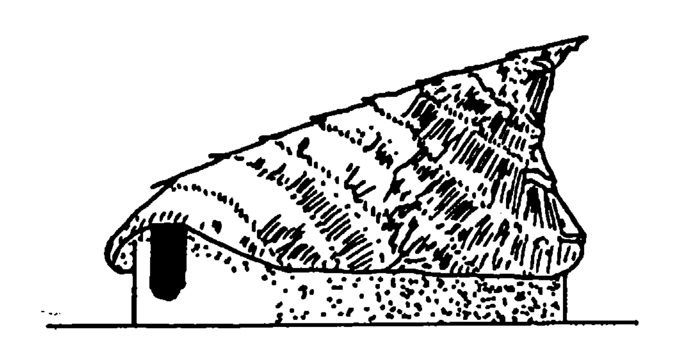






١٤) شكل بيضاوي قائم بذاته والسقف مدبب غير متماثل مسقوف بالقش ومـدعم بعـمـود مـخـروطي من الطين وقـوس طيني والحوائط من الطين والوتل (نيجيريا).

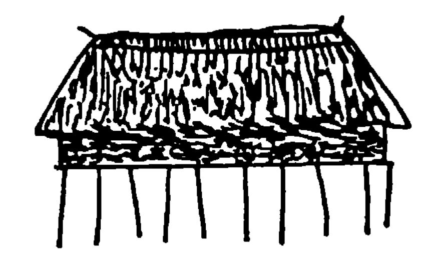
شكل رقم (١٤)



١٥) شكل بيـضـاوي قـائم بذاته ، والحـوائط من الطين والوتل أو الوتل مسقوف بالقش ومدعم بقاعدة من الخلف ذات نهائيات شبه مخروطية وأحيانا علي قوائم خشبية (تنزانيا)

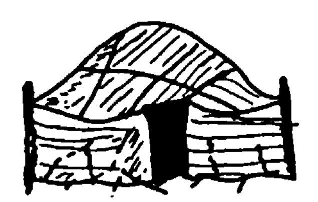
شكل رقم(١٥)





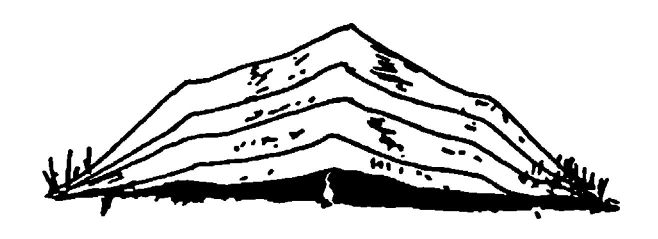
١٦) شكل مستطيل قائم بذاته، الهيكل من واحد الي أربعة أقواس متوازية مقواه بقطع عرضية أفقية ، مستقرة علي النهايات علي أعمدة مجدولة مغطاه بحصير مجدول وتستخدم عادة كخيمة متنقلة، وأحيانا تكون الانماط الكبيرة منها غير متنقلة (بعض الطوارق «النيجر»).

شكل (١٦)



١٧) ـ خيمة ذات شكل مستطيل، هيكل من أثنين الي أربعة صفوف من عصي متوازية متشعبة محملة علي قطع عرضية أفقية أحيانا أقواس بدلا من مجاميع وسطية من الأعمدة مغطاه بجلود أو أحرمة مشدودة (بعض الطوارق «النيجر» ،السودان، أثيوبيا، الصومال).

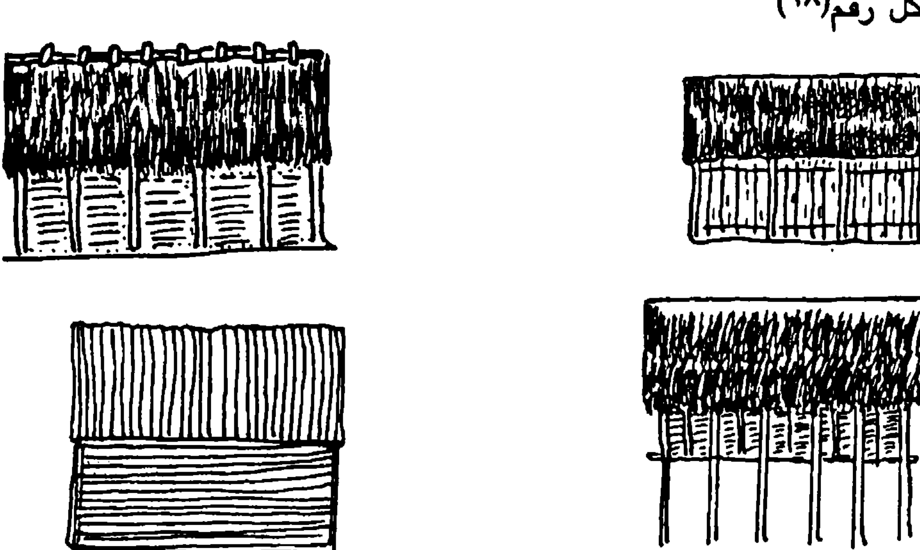
الشكل رقم (١٧)



١٨) ـ شكل مستطيل قائم بذاته أحيانا، سقف من القش مدعم من الخلف أم مائل، حوائط من الواح الخشب السميك والغاب الأفرنجي (البامبو) والقصب

والحصير أو قصب وحصير فقط أو قصب فقط، والحوائط مدهونة أحيانا من الداخل، والسقف مسقوف بحصائر أوراق النخيل والغاب ولحاء الشجر وسعف النخيل وأحيانا علي قوائم خشبية (تنزانيا، نيجيريا).

شكل رقم(١٨)

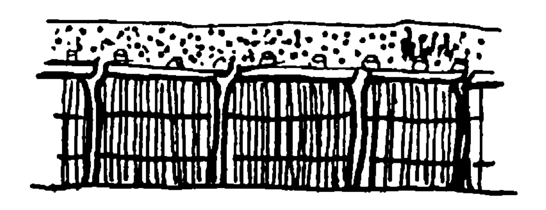


١٩) ـ شكل مستطيل يرتب عادة حول كرال مربع مركزي مفتوح، الحوائط من الوتل أو الحجارة والطين، مسطح أو بشكل عربة من الطين والوتل المدعم علي قوائم مشعبة خارج الحوائط وملاصقة لها أو علي حوائط ويمكن تعريفه علي أنه طراز تمب «Tembe» (تنزانيا، أوغندا، أثيوبيا).

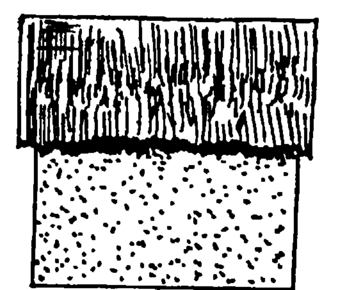


شكل رقم (١٩)

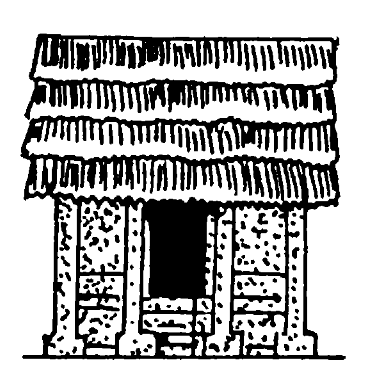




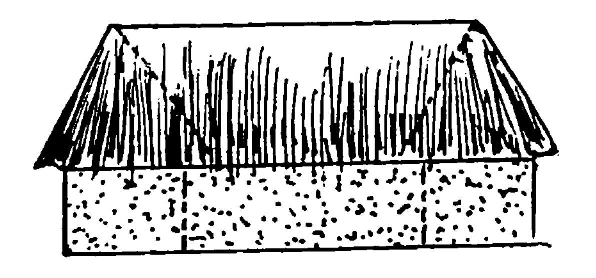
٢٠) ـ شكل مستطيل قائم بذاته، سقف من القش مدعم من الخلف، مباني مرتبة غالبا مواجهة بالعرض لفناء صغير بعض جوانبه مواجهة لفناء مكشوف أو مغطي ، حوائط من سياج طيني أو هيكل وتل مدهون، حوائط بارزة أو ناتئة لشكل شائع للتزين (نيجيريا ، غانا).



شكل رقم(٢٠)



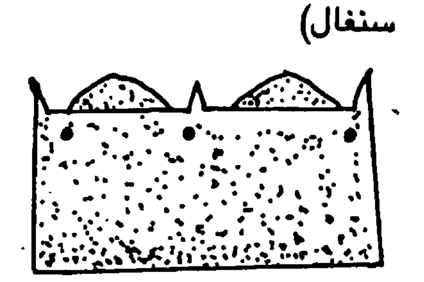
٢١) شكل مستطيل، سقف من القش مدعم من الخلف وحدات مبنية حول فناء أو صهريج أرضي له سقف مستديم،حوائط من سياج من الطين أو الطين والوتل ، الجوانب مواجهة لفناء أو صهريج أرض أحيانا مكشوف أو مغطي (نيجيريا).

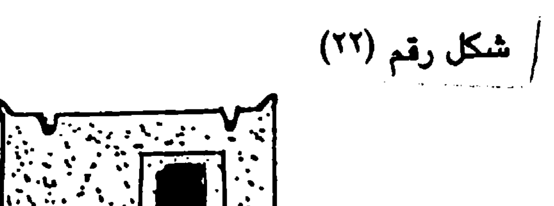


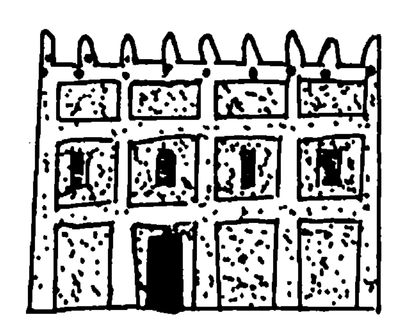
شكل رقم(٢١)

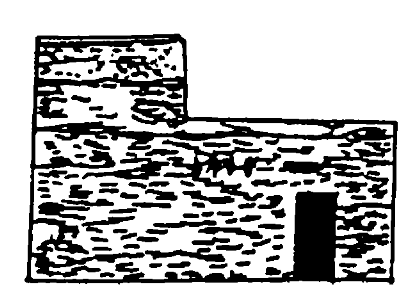
٢٢) شكل مستطيل، حوائط من الطوب الطيني، وسقف طيني علي شكل قبو مقوي بالخشب أو سعف النخيل أحيانا من طابقين، تنتظم المباني بداخل ساحة فناء محاط بحائط وأحيانا تشكل جزءا من حائط الفناء (نيجيريا، مالي، سنغال)

شكل رقم (٢٢)



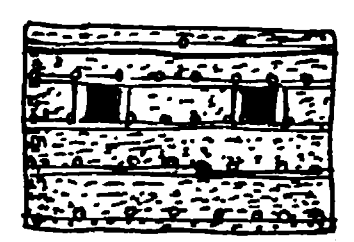






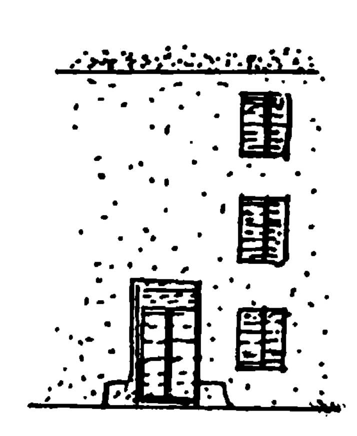
٢٣) شكل مستطيل قائم بذاته ، حوائط من مجاميع من الحجارة المغمورة في مونة الطين بغير تهذيب مدعمة بأجزاء خشبية وقطع عرضية قصيرة مستديرة، سقف مسطح من الطين والاعمدة ٠ أثيوبيا).

شكل رقم (٢٣)



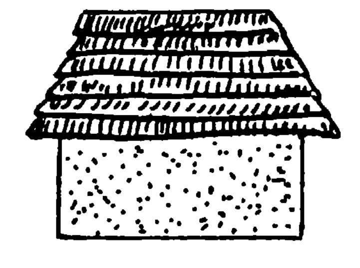
٢٤) شكل مستطيل قائم بذاته، حوائط من الحجارة الصغيرة والأسمنت، سقف مسقوف بالقش ومتعدد الطوابق وعادة بأبواب خشبية منقوشة باتقان (تنزانيا كينيا).

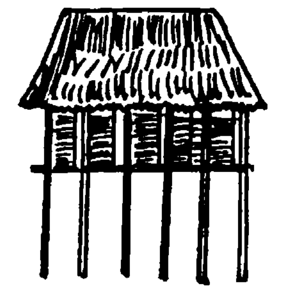
شكل رقم(٢٤)

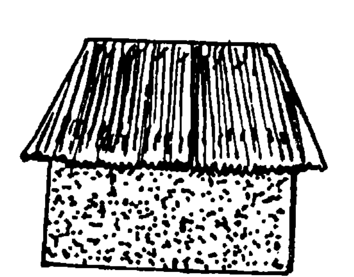


٢٥) شكل مستطيل قائم بذاته، سقف قاتم، مسقوف بالقش والحصير من أوراق النخيل، أحيانا نو جانبين طويلين مرتكزين علي أثنين آخرين، حوائط من الطين والوتل، وأحيانا ذات أعمدة وأبواب خشبية منقوشة وأحيانا أخري علي قوائم. المناطق الساحلية في كينيا، تنزانيا، نيجيريا، بنين، زائير).

شكل رقم(٢٥)

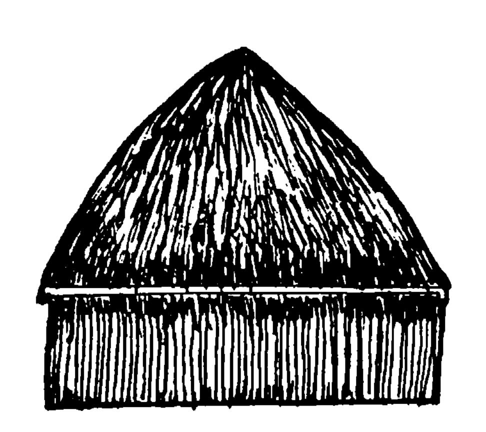


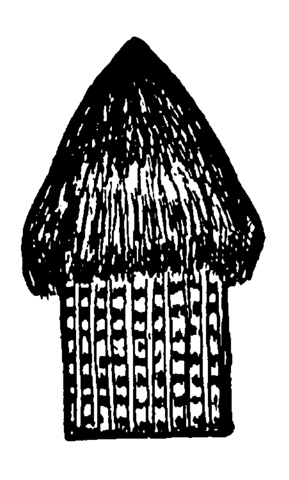




٢٦) شكل مربع قائم بذاته وسقف مخروطي ، حوائط من الطين أو الطين وسعف النخيل ومسقوف بالقش والحشائش أو الغاب (كميرون، نيجيريا).

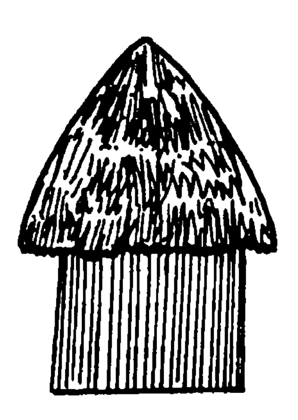
شكل رقم(٢٦)





٢٧) شكل مربع قائم بذاته الحوائط من الأعمدة أو سعف النخيل والطين، والسقف قائم من القش والحشائش أو لحاء الشجر (زامبيا، زائير ، كميرون).

شكل رقم (٢٧)

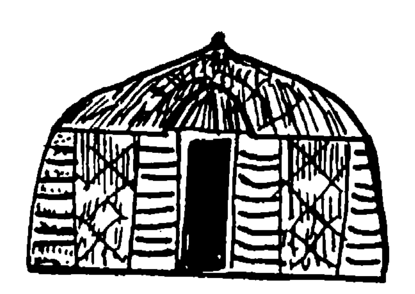




٢٨) شكل مربع قائم بذاته وسقف ذا هيكل قاتم من القش أو أعمدة مرنة مغمورة في الأرض عند القاعدة ومربوطة عند القمة ومشدودة، ومنظرها

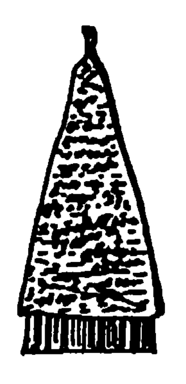
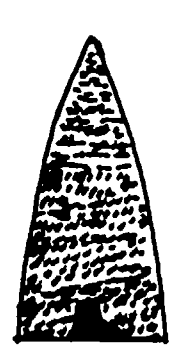
الجانبي محدب قليلا، والسقف من الحشائش، عادة باطارات أبواب منقوشة باتقان (زائير، أنجولا).

شكل رقم (٢٨)



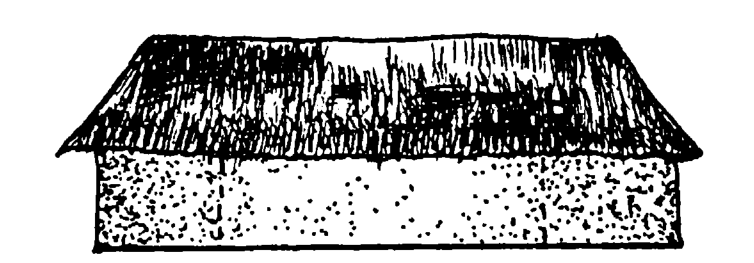

٢٩) شكل مربع، وسقف هرمي طويل من القش مسقوف بأوراق عرضية. (زائير).

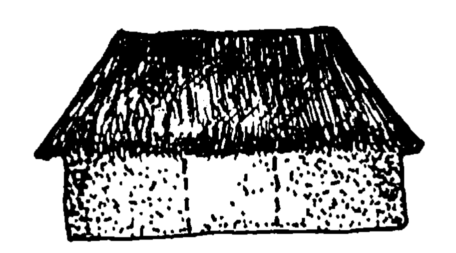
شكل رقم (٢٩)

٣٠) شكل تاجى (دوائر مشتركة المركز) قائم بذاته، وفناء مركزي أو صهريج أرضي، والحوائط طينية ومسقوف بالقش المدعم من الخلف (سنغال، غينيا بيساو، كوت دي فوار «سابقا»).

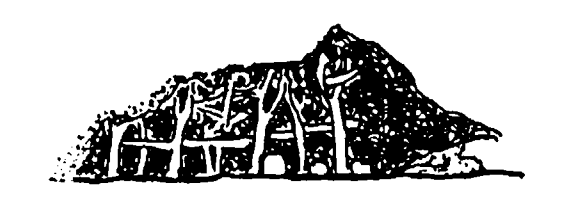
شكل رقم (٣٠)





٣١) مساكن الكهوف، توسع الكهوف عادة صناعيا، ويكون لها أحيانا فناء صغير محاط من الأمام بحائط من الطين، أو فناء وحوائط من الوتل ودهان غير متقن، أحيانا يبني عرضيا فى فتحة الكهف (تنزانا، كينيا، زائير، كميرون، السودان ، تشاد).

شكل رقم (٣١)

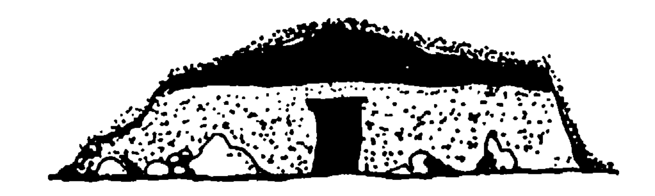


٣٢) مبـان مـحـفـورة تحت الأرض أو شبـه أرضـيـة، ذات شكل مـسـتطيل وأحيانا ذات ممر محفور من الأمام، حوائط من الحجارة أو مونة من الطين ، أو وتل وطين، أو طوب طيني أو التربة المكسوة بالعشب الأخضر، والسقف مسطح أو يشبه العربة الي حد ما من الأرض، أو طين وأعمدة مدعمة علي صفوف من قوائم رأسية مشعبة (تنزانيا وأثيوبيا).

شكل رقم (٣٢)







ونجـد في الوقت الحـاضـر أشكالا مـخـتلفـة من المسـاكن في المجـتـمـعـات الزراعية الكثيفة والمجتمعات الصناعية الحديثة .

ثالثا: المواد التي تصنع منها المساكن:

لقد بنيت المنازل باستخدام مواد محلية، ولا تختلف المساكن في شكلها وارتباطها بنوع النظام الاقتصادي السائد فقط، بل اختلفت أيضا في مادة بنائها من حيث ارتباطها بالخامات المتاحة في الطبيعة وامكانات الثقافة ولذلك فهناك مساكن مصنوعة من خامات طبيعية وأخري من خامات صناعية ، الأولي من فروع الشجر والأخشاب والحجارة والطين والثانية من اللبن والطوب والأسمنت، والنوع الأول هو الخامة الأقدم بالطبع.

أن اقامة أي نوع من المساكن باستخدام المواد المحدودة المتاحة يتطلب قدرا كبيرا من المهارة.

ومن المواد المألوفة في بناء المساكن:

الطين: والطين المستخدم غالبا هو شكل جيد من الصلصال، وفي أفريقيا نجد أن الطين خليط بنسب مختلفة من الرمل والصلصال و وهذا يعد من مزايا البناء، فالصلصال يجعل التربة متماسكة والرمل يعطيها القوة، وعموما فان الطين يستخدم في عملية البناء بطريقة أو بأخري، مهما كانت نسبته وهذه في الواقع مادة متعددة الجوانب وقوية الي حدما وهناك عدة أساليب لاعداد الطين للبناء. ففي أقصي غرب منطقة السودان يصنع الطين المجفف بأشعة الشمس بالاستعانة بقوالب خشبية. ويثبت الطوب عند بناء الحوائط ببعض الطين، بينماتطلي الحوائط بخليط من الطين أيضا. وفي بلاد الهوسا يصنع الطوب الكمثري الشكل، ويخلط الطين ببعض القش، ويثبت هذا الطوب علي الحوائط في صفوف افقية وحوافه الي الأمام وتطلي خلفيته بخليط طيني. أما في الغابات فلا يصنع الطوب غالبا، ويستخدم بدلا منه أسلوب يعرف أحيانا بوحل البرك،

ويتم هذا عادة في منتصف الفصل المطير فبعد حفر حفره والتخلص من التربة العلوية، فان الصلصال الأحمر الموجود تحتها يقطع إلي كتل مناسبة الجحم وينعم بواسطة رخات المطر تسوي هذه القطع وتجهز ويترك الصلصال علي هيئة كومات محمية بأوراق الموز حتي موعد البناء الذي يبدأ عادة في الفصل الجاف.

المواد النباتية: الحصير والقش والبوص والحشائش وأوراق الموز والخيزران والغاب الإفرنجي (البامبو) وسيقان النباتات والأعواد والخشب وسعف النخيل ويجهز السعف بشقه نصفين وجدله ليكون حصيرة صلبة ،وكذلك جذوع النخيل.

الحجر: ولاتسوي الحجارة أو تهذب في بعض المباني الدائرية، وفي كثير من المناطق يستخدم الحجر كأساس تحت الحوائط الطينية أو الطوبية وقد ميز Whitty بين ثلاثة نماذج رئيسية من الأساليب. الفئة «P» وضعت أحجارها الأماميةبدون تنظيم أوتسوية، أما الفئة «Q» فان أحجارها الأمامية قد قسمت الي بلكونات ذات أحجام مختلفة وتوضع علي مراحل. والفئة «R» تبدو وكأنها آخر الأساليب فواجهتها الأمامية تبني بغير عناية أو تنظيم. وأحيانا تصنع الأسقف المسطحة من الحجر الصغير المرجاني تدعمه أعمدة حجرية، والأحجار الملساء المرجانية فهي ناعمة وتستخرج من البحر علي عكس الأحجار المرجانية الخشنة التي تستخرج من الشاطئ ويمكن تسويتها ونحتها حتي تصلح للاستخدام.

وكانت البيوت قديما «معابد أثيوبيا» تبنى بكتل حجرية كبيرة ومنتظمة ومستطيلة علي هيئة صفوف متراصة. ويستخدم أيضا الحجر الرملي والصخور النارية

مواد جديدة: تستخدم هذه المواد عندما لا تتوفر مواد النباء التقليدية (ربما بسبب كثافة السكان، أوالحقوق القانونية أو بسب موقع الاقليم). ومنها الصاج والصفيح والحديد.

ومن المواد التي تستخدم أيضا الجلد والشعر المنسوج.

وعرف الطوب المحروق في مناطق معزولة في قطاع يمتد من النيجر الأعلى عبر بورنو الي دارفور والمناطق النيليلة. وتقول الأساطير انه أدخل الي السودان الغربي بواسطة مهندس أحضره الملك «منسي موسي» ملك مالي عندما قام بتأدية فريضة الحج في القرن الرابع. وعندما استخدم الطوب المحروق فقد أصبحت الحوائط أكثر احتمالا وأصبحت المباني مستطيلة بأسقف مستوية ومدعومة من الوسط بأعمدة من الطوب.

الهوامـــش

١ـ David E. Hunter: 1976

٢ـ David E. Hunter: Ibid. P. 208

٣ـ أحمد زكي بدوي : ١٩٧٨ ص ١١٩

٤ ـ نفس المرجع السابق ص ٢٠١

٥ـ Hirschberg w. : 1965. P.P. 40 - 41.

٦ـ محمد رياض: ١٩٧٣ ص ٣٧٩

٧ـ David, E. Hunter: op, cit. p. 207

٨ـ Hirschberg w. : op. cit. p.p. 40 - 41 . 172. 496

- Kramer A. : D.H.: 1905

- Sarfert e.: 1908.

- Tischnar H. : 1963. p.p. 167. 176. 188. 197.

- Nevermann H. : 1958 . p.p. 239. 240

٩ـ Hirschberg w. : op.cit p.p. 40 - 41. 172. 496.

١٠ـ Winick charles: 1964. p. 269.

١١ـ Notes and Queries on Anthro 1964. p.p. 236 - 241

١٢ـ Hirschberg w.: 1965. p. 167

الوتل عبارة عن قضبان تضفر مع الأغصان والقصب أو القضبان التي تشكل هيكل سقف مصنوع من القش.

١٣ـ Denyers. : 1978 p.p. 133 - 142

* بيانات مأخوذة عن المرجع السابق صفحات ١٣٢ ـ ١٤٢

المراجع العربية

١ ـ أحمد زكي بدوي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ،مكتبة لبنان ١٩٧٨

٢ ـ محمد رياض: الإنسان، دراسة في النوع والحضارة، الطبعة الثانية دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٣

1) David E. Hunter: Encylopedia of Anthropology Harper and Row publishers, New york, 1976.

2) Denyer s. : African Traditional Architectur Heinemann, London 1978

3) Kramer A. : D.H. -u. Bootbau auf d. Marschalinsel. (Archiv fur Anthropologie N.F 111 1905)

4) Nevermann H.:Ergologie U. Technologie (L.Adam, U.H. Trimborn hg.: Lehrbuch d. volkerkunde), Stuttgart, 1958.

5) Notes and Queries an Anthropology: Acammittee of the Royal Anthropological Institute of Greal Britain and Ireland,London, 1964, p.p. 236 - 2

6) Hirschberg w. :volkerkunde Afrikas, Mannhein 1965,

8) Sarfert E.: H.U. Darf b.d. eingeborenen Nordamerika (Archiv fur Anthropologly N.F. 111 1908)

9) Trischnar H. : D.Verbreithung, d. Hausformen in Ozeanien, 1934.

10) Trischnar H. : volkerkunde, das Fischer lexikon Fischer Bucherei, Frankfurt 1963.

11) Winick charles: Dictionary of Anthropology, Adam and co. New york 1964

الجـــزء الـــرابـــــع

الطب التقليدى فى أفريقيا
دراسة أنثروبولوجية

إعـــداد

د. سلوى يوسف درويش
مدرس بقسم الأنثروبولوچيا

د. سعد عبد المنعم بركة
مدرس بقسم الأنثروبولوچيا

مقدمــــة

اهتمت الأنثروبولوچيا منذ نشأتها بدراسة المجتمعات البدائية، لكنها مالبثت أن تطورت وتغيرت أساليب ومناهج بل ومجالات الدراسة فيها حتى شملت المجتمعات الريفية بل تعدتها إلى المجتمعات المتقدمة أو الحضرية، وقد شهدت السنوات الأخيرة تقدما ملحوظاً خاصة فى مجال الدراسات الأنثروبولوچية التطبيقيه والتى تهدف إلى رفع مستوى المعيشة وتقديم الإشارات الكفيلة بتحقيق مشروعات التنمية التى تعود بالنفع على الإنسان.

ومن أهم المجالات التى ساهمت فيها الأنثروبولوچيا التطبيقية هى مجال الإدارة والطب، وللأنثروبولوچى فى ذلك معالجته الموضوعيه الخاصة التى تختلف عن رجل الإدارة أو الطبيب، فالطبيب يختار أنسب الطرق والوسائل العلاجية لمعالجة المريض دون النظر إلى العوامل الاجتماعية والنفسية والثقافية التى يمكن أن تؤثر على المريض وعلى أعضاء البيئة المحيطه به.

وقد ارتبطت الأنثروبولوچيا التطبيقية بالطب، فقد ساهم الأنثروبولوچيون وبعض علماء الاجتماع فى ميادين جديدة من خلال الاشتراك مع الأطباء فى المؤتمرات الخاصة بالطب الاجتماعي، والتدريس فى المعالجه الطبيه وقد قام Actentnecht سنة ١٩٤٢ـ ١٩٤٧ بكتابه أوراق هامة عن الطب البدائي، وكذلك ناقشت «ميد» العلاقة بين الأنثروبولوچيا والطب(١)

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية اتجه الأنثروبولوچيون سواء البيولوجيون أو الاجتماعيون أو الثقافيون إلى دراسة النظم الطبية، ودراسة العوامل البيئية والثقافية والاجتماعية التى تؤثر على الصحة والمرض سواء فى الوقت الحاضر أو خلال العصور التاريخية المختلفة، وهذه الاهتمامات النظرية محاولة لفهم

السلوك الصحى للإنسان بالمفهوم الواسع، وشجعهم على ذلك من الناحية التطبيقية الاعتقاد الراسخ والأكيد أن الطرق والأساليب والنظريات بل والمعلومات التى يستخدمها الباحث الأنثرولولوجى يمكن أن تخدم فى تطوير برامج الرعاية الصحية فى الدول النامية والفقيرة بشكل لايمكن سوى للباحث الانثروبولوچى القيام به.(٢)

وقبل ذلك ومع أوائل القرن العشرين ظهر مصطلح علم الاجتما ع الطبى لأول مرة، واقتصرت دائرة اهتمامه على دراسة التأمينات الاجتماعية والرعاية الصحية للقطاعات والطبقات الفقيرة فى الشعوب الأوربية والأمريكية وقد ظهرت قبل ذلك فى حوالى عام ١٨٥٠ محاولات من جانب بعض الاطباء للاهتمام ببعض النواحى الاجتماعية فى ممارسة مهنة الطب وفى تدريس العلوم الطبية، ثم ظهرت بعد ذلك الاهتمامات بالصحة العامة والطب الوقائى أومايعرف باسم الطب الاجتماعى الذى يهتم فى المقام الأول بالأمراض الاجتماعية وهى تعنى الأمراض الواسعة الإنتشار التى يتطلب القضاء عليها ومكافحتها إمكانيات تتجاوز حدود الامكانيات الفردية، ويهتم علم الاجتما ع الطبى بدراسة الجوانب والاعتبارات غير المادية، ذات الطبيعه الاجتماعية الثقافية، مماجعله يرتبط ارتباطا وثيقا بأهداف الطب السيكوسوماتى (الجسمى النفسي) الحديث(٣)

ولا تختلف الأنثروبولوچيا الطبيه فى مجال دراستها كثيرا عن علم الاجتما ع الطبى حيث تصنع نفسها فى خدمة وعلاج المرض وتساعد فى مجالات طبيه كثيرة، وقد أوضح سنجر أن الأنثروبولوچى المتخصص فى الأنثروبولوچيا الطبيه يعانى فى حرصه على الموضوعية والحيادية معاناه المحلل النفس داخل العيادات النفسية، ولايمكن إغفال أن المشكلات الاجتماعية لها تاثيرها القوى والفعال على الانسان وإحداث المرض سواء كان جسمانيا أونفسيا، كما أننا لا نستطيع أن

ننكـر قـيـمـة المعـرفـة الأنثـروبولوجيـه المركـزه فى مـعـرفـة السلوك المرضى والسلوك الصحى(٤)

ويعد المرض بشكل أو بآخر مشكلة أساسية وحيوية تواجه المجتمع وكل مجتمع إنسانى قد طور المناهج التى يقاوم بها المرض مما أدى إلى ظهور الطب الحديث وقد أشار معظم الأنثروبولوجيين فى نهاية القرن التاسع عشر إلى الطب أو المرض فى كتاباتهم وإلى الممارسات العلاجية المختلفة ومن أمثلة ذلك دراسةfield سنة ١٩٣٧لمجتمع الجا Ga إيفاتر بريتشارد لمجتمع الأزاندى Azande ودراسة هارلى ١٩٤١ لمجتمع المانو Mano الأفريقى ودراسة ردفيلد ١٩٤٠ للمايا فى أمريكا الشمالية، وأهمية هذه الدراسات أنها تعطى مادة أثنوجرافيه تتعلق بالطب البدائى فيما يتعلق بالصحة والمرض العلاجيه، وقد أفادت هذه المادة الأثنوجرافيه فى وضع بعض المبادئ الأساسية فى دراسة الأنثروبولوچيا الطبيه ومن هذه المبادئ ١ـ أنه لا يوجد طب بدائى واحد وإنما توجد مجالات عديدة للطب البدائي، ٢ـ يتأثر النمط الطبى فى مجتمع من المجتمعات بثقافة هذا المجتمع ٣ـ هناك تكامل بين العوامل المختلفة التى تسبب المرض وبين الأنماط الثقافية فى المجتمع(٥)

ومع التسليم الكامل بأهمية الجانب الاجتماعى والثقافى فى دراسة الطب لاسيما فى المجتمعات البسيطة أو المجتمعات الريفية سواء فيما يتعلق بأسباب المرض أو طرق العلاج ومن ثم لا يمكن فهم حقيقة المرض أو أهمية الممارسات العلاجية إلا من خلال السياق الاجتماعى الثقافى ومن هنا ينبع الخلاف والتباعد بين الطب الشعبى Medical Traditian أو الطب التقليدى وبين الطب الحديث الذى يستخدم معطيات خاصة تختلف عن تلك المعطيات التى يستخدمها الطب التقليدي.

وتنتشر الممارسات الطبية الشعبية أو التقليدية بشكل واضح فى المجتمعات البسيطة التى ترتفع فيها نسبة الأمية بشكل ملحوظ مثل الدول الإفريقية وحتى بين الطبقات العليا فى هذه المجتمعات هناك ارتباط وثيق بينها وتبين الثقافة السائدة فى المجتمع والتى تملى أنماطا سلوكية خاصة تتعلق بالصحة والمرض.

ويتحدد مجال الأنثروبولوچيا الطبية Medical Anthropology باتجاهين رئيسيين أحدهما بيولوجى والآخرسسيو ثقافي، ويهتم الأنثروبولوچى فى الاتجاه الأول بدراسة النمو البشرى والتنمية، دور المرض فى التطور البشرى وكذلك أمراض الإنسان القديم معتمدين فى ذلك على علم الجينات والتشريع وعلما الأمصال والكيمياء الحيوية، أما الجانب السسيو ثقافى فيهتم الأنثروبولوچيون فيه بنظم الطب التقليدى والسلوك المرضى وعلاقة الطبيب بالمريض وديناميات ادخال الخدمات الطبية الحديثة إلى المجتمعات التقليدية، ويتداخل هذا المجال مع علوم أخرى مثل علم الاجتماع الطبي Medical Soci-ology وعلم الصحة العامة أوكل مايدخل تحت عنوان التحضر.

ولا يعنى هذا أن الاتجاهين فى دراسة الأنثروبولوچيا الطبية منفصلين كل منهما عن الآخر، لكن يمكن لكليهما الاستعانه بالنظريات والبيانات من الاتجاه الآخر، فعلى سبيل المثال فى دراسة الأمراض العقلية أو النفسية لايمكن أن تدرس في إطار العوامل الفسيولوجية او الكيمياء الحيوية لكنها تدرس كظاهرة نفسية - سسيو ثقافية ناشئه من الضغط الاجتماعى ونفس الشئ بالنسبة لدراسة عادات الطعام الذى يرتبط بمستويات التغذية، ولهذا ينظر إإلى الأنثروبولوچيا الطبية على أنها فرع بيولوچى ثقافى يهتم بالنواحى البيولوجية والسسيو ثقافيه للسلوك البشرى وخاصة فيما يتعلق بالصحة والمرض.(٦)

xx هدف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح المؤشرات ذات الصلة بالعناية بالصحة التقليدية فى أفريقية ، ثم دراسة وتحليل الدور الاجتماعى للنظام التقليدى فى العلاج ومدى ارتباطه بالقيم الثقافية فى هذه المجتمعات، وذلك بغرض الوصول إلى ضرورة الدمج بين الخدمات الصحية التقليدية وبين الخدمات الصحية الحديثة، وذلك من أجل الوصول إلى رفع المستوى الصحى وتحقيق التنمية فى هذا المجال.

مفهوم الطب التقليدى

يعرف الطب التقليدى أو الشعبى بأنه جميع الأفكار ووجهات النظر التقليدية حول المرض والعلاج وما يتصل بذلك من سلوك وممارسات تتعلق بالوقاية من المرض ومعالجته بصرف النظر عن النسق الطبى الحديث(٧)

ويعكس لنا هذا التعريف أ المجتمعات البسيط أو المجتمعات المحلية التقليدية لديها معتقدات خاصة تتعلق بالصحة والمرض سواء بالنسبة لأسباب المرضى أو الطرق الخاصة فى العلاج والتى تتجاوز فى مضمونها النسق الطبى الحديث ومن تم التعارض بينهما .

ويستخدم تعبير الطب التقليدى لتعريف ممارسات الرعاية الصحية القديمة المرتبطة بالخلفية الثقافية التى كانت موجودة قبل تطبيق العلم على المسائل الصحية، والطب التقليدى هو جزء ثابت من ثقافة الشعوب(٨) والمداوى التقليدى فى معظم الدول الأفريقية له دور فعال فى مجال الرعاية الصحية الأولية ، ويحظى بتأييد المجتمع ويتمتع بمكانة اجتماعية هامة وفهم واسع وعميق للطبيعة البشرية وشئون القرية بالإضافة إلى قربه من الناس واستطاعته أن يكفل

استمرار الرعاية، وهو بذلك يقدم بعض خدمات الرعاية الصحية فى مناطق لايتوفر فيها أى نوع من الخدمات الصحية الحكومية، كل ذلك بمنأى عن الروتين والتعقيدات الحكومية المعتادة.(٩)

وقد عرفت منظمة الصحة العالمية (WHO) سنه ١٩٨٧ المعالج الشعبى أو المعالج التقليدى Tradional healer بأنه ذلك الشخص الذى يعترف به المجتمع بأن لديه قدرات أو مؤهلات خاصة للعناية بالصحة مستخدما فى ذلك الخضروات Vegetables أو الأعشاب herbs أو الحيوانات أو المعادن الموجودة فى البيئة وأشياء أخرى معتمداً فى ذلك على خلفيته الدينية والثقافية والاجتماعية كالمعارف والاتجاهات المعتقدات السائدة فى المجتمع حول أسباب المرض ومن ثم وضع طرق العلاج المناسب به.(١٠)

وتوضح البيانات الحديثة أن الطب التقليدى لايزال يتمتع بشعبية واسعة من معظم الدول الأفريقية، لأنه يعتبر شكلاً هاماً من أشكال الرعاية الصحية للكثير من السكان لأن الخدمات الطبيه الحديثة لا تصل حتى الآن إلى العديد من الناطق الريفية، فالزيادة السكانية تتطلب رفع مستوى الأراء حتى يمكن مواجهة هذه الزيادة وضمانا لوصول الخدمة الطبية كاملة إلى المناطق المحرومة منها فى القارة الأفريقية مستقبلاً وقد قدرت منظمة الصحة العالمية أن ٧٥٪ من سكان المناطق الريفية فى أفريقيا يلجأون إلى الطرق التقليدية فى العلاج مع اختلاف النسبة من قطر لأخر.(١١)

الأهمية الاجتماعية للطب التقليدي

هناك دعائم قوية يقوم عليها الطب التقليدى وهى أنه فن عملى ثابت الجذور فى عمق الثقافات وأ العلاقات بين المريض والمعالج علاقة بسيطة وحميمة.

ويساهم بعد المناطق الريفية عن المراكز الصحة غالباً فى الإبقاء على قدر من الولاء التقليدي، الذى يتمثل محليا فى وجود من يمارسه على الدوام حتى لوكان هذا الشخص يقوم بعمل آخر أويمتهن مهنة أخرى.،

والرعاية الصحية التقليدية تكفل فى الغالب للمريض فى بيته ولعل أفضل مثال على ذلك هو عمل الدايات أو القابلات midwives التقليديات اللائى يقمن برعاية الأمهات فى منازلهن، وهناك أيضا عدد كبير من المعالجين التعقليدين يذهبون لمرضاهم أينما كانوا.

وتأتى سلطة الممارسين التقليديين من مكانتهم التاريخية الراسخة داخل مجتمعاتهم ، فمع دخول الاستعمار والهيئات التبشيرية أفريقية حاولوا إدخال الممارسات الطبيه الحديثة واضطهاد الممارسين التقليدين ومع ذلك استمر معظم الأفارقة فى استخدام العلاج التقليدى لأنها المصدر الأساسى المقبول إجتماعيا.

ويتمتع المعالجون التقليديون بمكانه كبيرة فى المجتمع وذلك للأعتقاد بأن لهم قدرات روحية خاص يستخدمونها فى علاج المرضي، ففى مجتمعات غرب أفريقيا ينحدر هؤلاء المعالجين من أرواح الأسلاف، وقد أثبتوا قدرتهم الفائقة فى علاج بعض الأمراض خاصة فى المجتمعات الأموية matrilineal socie-ties علاوة على أنهم من كبار السن لهذا فهم يتمتعون بمكانة واحترام شديد

لدى أعضاء المجتمع علاوة على كونهم أسرع للوصول إلى المجتمع بالمقارنة بالخدمات الطبية الحديثة.(١٢)

فعامل القرب المكانى هو المشجع على ممارسة الطب التقليدى أو طب الأسرة ـ وهو جانب على قدر كبير من إلاهمية من جوانب الخدمات التى يقدمها الطب التقليدى والواقع أنه فى المجتمعات التقليدية نادرا ما تجد أسرة ليس لديها على الأقل واحد أو اكثر من كبارها له قدر من المعرفة بالعلاجات والإرشادات البسيطة فى مجال الرعاية الصحية والوقاية الجماعية، بالإضافة إلى الحكمة والخبرة المستمدة من التجربة ومامن شك فى أن كل هذا التراث العائلى يمكنه أن يستفيد من ابتعاده عن النزعة المهنية ومن اتاحته فى جميع الأوقات.

كما أن الممارس التقليدى أو الطبيب الشعبى قريب من مرضاه فى طريقة حياته ومن البيئة الاجتماعية وأيضا طريقة كلامه، ومن ثم فلا مفرمن المقارنة بين سهولة الوصول إلى هذا الممارس التقليدى نتيجة قرب المكان إو حتى سهولة الاتصال وأيضا سهولة الوصول إلى متاجر واكشاك العطارين والمدادين بالآعشاب التى يعمل فيها أناس لهم نفس الجنور الثقافية وأيضا المشكلات وبين ذلك الجو الذى يبحث عند هؤلاء على النفور فى الغالب الذى يخيم على غرف الانتظار فى المراكز الصحية والعيادات الخاصة فى هذه المجتمعات التقليدية.

وهناك مقومات أساسية أخرى يمكن أن تحدد نوع القرار الذى يتخذه المريض باختيار نوع ما من الرعاية مثل التكلفة المناسبة والمعتقدات الشائعة والسمعة الشخصية التى يتمتع بها المعالج التقليدى داخل مجتمعه المحلى فمن الواضح أن التكلفة تلعب دوراً فى غاية الأهمية فى اختيار نوع الرعاية الطبية، اذ أن الممارس التقليدى عموما يترك تقدير الأتعاب لما يراه المريض خاصة اذا

كان من داخل الجماعة التى ينتمى إليها الممارس، كذلك فإن اجور الاستشارات قد تكون عينية فى بعض الأحيان،كذلك فالعلاج الذى يعطيه المعالج التقليدى لا تكلف كثيراً فى الغالب وتتمثل فى معظم الأحيان فى بعض النباتات الموجودة فى البيئة أى قريبة يسهل جمعها.

وقد يحقق الطب التقليدى نتائج ممتازة فى معالجة عدد كبير من الأمراضالشائعة كالام الجهاز الهضمى والأذنين والجلد وغيرها من الأمراض البسيطة الشائعة

ويصعب هنا وضع نموذج يمكن به التنبؤ بسلوك المريض فيما يتعلق بأى مشكلة صحية بعينها، والنقطة الوحيدة الواضحة هى أنه حينما تتوفر سبل الاختيار، فإن الاختيار يقع فى النهاية على الطبيب فى الغالبية العظمى لا على النظام الطبى ومن ثم فمن الخطأ التقليل من أهمية دور العوامل الذاتية فى استمرار الطب التقليدي. وتنبع هذه العوامل إلى حدما من اندماج نظم الرعاية التقليدية اندماجا تماما فى البيئة الاجتماعية الثقافية، مما يجعل المرض اكثر تقبلالها من غيرها، فالطب التقليدى ينظر إلى الصحة على أنها توازن ضرورى بين السلامة الجوية والعقلية والعاطفية والأخلاقية والاجتماعية. ولا ينظر إلى الخلل الوظيفى العضوى إلا من ناحية صلته بأثارة والمجتمع بالاضافة إلى المريض والمداوى يلعب دوراً هاما فى العلاج.

واخيرا نجد أن أشكال الطب التقليدى لها جوانبها السحرية أوالدينية الراسخة التى تستحوذ استحواذ اشديداً على عقول أعضاء هذه المجتمعات التقليدية ومن ثم فمن الصعب اقناع هؤلاء بأهمية الطرق الحديثة للعلاج والإ سوف يعطى ذلك نتائج سيئة للغاية لأن الاطار النفس الاجتماعى يعد فى غاية الأهمية فالطب والسحر والدين فهى أجزاء فى نسق واحد يقره كافة الأعضاء

فى المجتمع التقليدى فكثيرا ما يكون المعالج كاهن وهو وسيط مع الأرواح أو القوى فوق الطبيعية ومن ثم فأحيانا يدعو المعالج مرضاه للأقامة فى مسكنه لمدة ثلاث أشهر حتى يمكن عمل الأتصالات الروحية اللازمة.(١٣)

وقد زاد الاهتمام والعناية بالصحة التقليدية فى السنوات الأخيرة ومحاولة الربط بينها وبين الخدمات الصحية الحديثة التى لا تجد الثقة الكاملةمن المتلقين لهذه الخدمة لاسيما فى المجتمع الأفريقى التقليدي، فعديد من المرضى تقابلهم خيبة أمل كبيرة فى خالة فشل العلاجات الحديثة أو الخدمات الحديثة الفقيرة غالبا وهذا ما يزيد من تمسكهم بالممارسات التقليدية فى العلاج ويمكن ارجا ع ذلك إلى الثقة فى الممارس التقليدى علاوة على الاعتقاد فى القوى فوق الطبيعية التى يمكن أن تصاحب عملية العلاج التقليدي.

مظاهر الطب التقليدى فى بعض المجتمعات الافريقية

تعد قارة أفريقيا من أقل قارات العالم إن لم تكن أقلها بالفعل اهتماما بالرعاية الصحية فى حين يجدها من أكثر قارات العالم احتضانا للأمراض الفتالة التى تودى بحياه الانسان، ويمكن ارجا ع ذلك إلى أن الطب الشعبى ما يزال يمارس على نطاق واسع فى كافة أنحاء القارة كما هو الحال فى معظم العالم النامى ، بل أننا لانعدو الحقيقة اذا ذكرنا أن القارة الأفريقية تعد اكثر قارات العالم فى الإعتماد على الطب اشعبى وإن كان مدى الاعتماد على هذه الممارسات التقليدية يختلف اختلافاً واسعاً من إقليم إلى آخر بل ومن دولة إلى أخرى

ويمكن تعليل سبب الاستمرار فى الاعتماد على الطب التقليدى فى أفريقيا

إلى مجموعة من العوامل لعل من أكثرها وضوحاً هو ارتفاع معدل الأمية والتى تصل فى القارة الأفريقية إلى أعلى معدلاتها على مستوى العالم هذا من جانب ومن جانب أخر فإن العادات والتقاليد والقيم الثقافية الراسخة تلعب دوراً هاماً ومؤثراً فى استمرار اللجوء إلى مثل هذه الممارسات.

ومن الجدير بالزكر هنا أن قوة العادات والتقاليد تتغلغل وتتعمق فى نفوس أعضاء المجتمع حتى بين الأفراد الاكثر تعليما وتثقيفا لأنها تعد بمثابة معايير ثابته وراسخة ومتوارثة يمكن أن يؤدى تجاهلها آو اهمالها إلى حدوث الخلل الاجتماعى ، وتختلف هذه المعايير إلى الحد الذى تشارك فيه والقوة التى تملكها.

ومن الأسباب التى تؤدى إلى نجاح الطب التقليدى فى أفريقيا هى وجود اعتراف رسمى به من قبل السلطات علاوه على إنخفاض التكلفة بالمقارنة بالطب الحديث هذا فضلا عن الجوانب الاجتماعية والسيكولوجية الأخرى التى يتمتع بها المعالج الشعبى الأفريقي.

وبناء على ما سبق ونظر لاتساع مساحة القارة الأفريقية من جانب وتعدد الوحدات السياسية من جانب آخر وكذلك التباين فى ممارسات الطب الشعبى من منطقة إلى آخرى بل حتى داخل المنطقة الواحدة تختلف هذه الممارسات بين الجماعة العرقية... لذا فستتناول هذه الدراسة نماذج من الطب الشعبى فى كل اقليم من أقاليم القارة مكتفين بنموذجين أو ثلاثة من كل اقليم من الأقاليم.

وسنأخذ من اقليم شمال أفريقية الممارسات العلاجية الشعبية فى كل من مصر والمغرب ومن اقليم شرق القارة كينيا وأوغندا وتنزانيا ، ومن غرب القارة غانا ونيجريا ومن جنوب القارة زيمبابوى وجمهورية جنوب أفريقية

اقاليم شمال افريقية

المغـــــرب

تعد المغرب من الدول الأفريقية التى يتمتع فيها الطب التقليدى بشعبية واسعة وله جوانبه الإيجابية التى يؤمن بها الكثير من السكان بل ومازالت مكانته مرموقة فى نظر السكان سواء فى المدن أوالريف، أما الذين يتعاملون مع ممارس الطب الشعبى منهم ينتمون إلى كافة طبقات المجتمع الذى ظل يدين بالولاء للحكمة الشعبية الرائجة فيما يتعلق بالأمور الصحية

كما أن تعليم الأشخاص الذين ينتمون إلى بيئة اجتماعية ثقافية تقليدية يولد لديهم مواقف تتسم بالتحفظ أو الريبة أو الخوف ازاء الطب الحديث، ولذا يفضل المغاربة اللجوء إلى «الفقيه» والمداوى بالأعشاب وهما من داخل البيئة المحلية لذا فالعلاقات بين الفقية أو المداوى بالأعشاب وأعضاء المجتمع علاقة حميمة.

ومن بين مستهلكى الخدمات الصحية التقليدية فى المغرب فئة عريضة غير ثابته من الناس الذين مازالت أفكارهم مشوشة ومشتتة رغم ما تلقوه من تعليم حديث متطور، وتجذبهم أحيانا إلى الطب التقليدى تلك الأسرار والرموز والطقوس التى تكتنفه، وما يقدمه من علاجات بديلة وما يعتمل فى نفوسهم من حنين إلى الماضي.

وفى دراسة لمنظمة الصحة العالمية وجد أن ٨٠ ٪ من السكان فى المغرب تعتمد على الطب التقليدى بالاضافة الطب الحديث ، وتمكن ارجاع ذلك إلى أن الفقيه أو المداوى للأعشاب قريب من مرضاه علاوة على أن تكلفة العلاج يقرها

المريض، ففى الريف المغربى يتراوح تكلفة العلاج عند الفقية أو المداوى بحوالى ٣ دراهم، وقد تكون أجور الاستشارات عينية كقليل من زيت الزيتون أودستة بيض أو قليل من الزبدة.

أما الوصفة التى يصفها الفقية فلا تكلف سيئا بحد ذاتها اذ يقدم الممارس عادة النباتات اللازمة أوأنها قريبة فى متناول اليد يسهل جمعها أمانى المدن لاتزيد تكلفه الأعشاب التى يصنعها المداوى عن عدة دراهم.

ويحقق الطب التقليدى نتائج ممتازة فى معالجة عدد كبير من العلل الشائعة كآلام الجهاز الهضمي، والأذنين والأنف والحنجرة والرئتين والجلد، والواقع أن لطب الأعشاب فى المغرب مجموعة ممتازة من الملينات ومضادات الاسهال وغيرها، أيضا يقوم الممارس التقليدى ببعض عمليات الولادة وتجبير الكسور

وللطب التقليدى فى المغرب جوانب سحرية أودينية تستحوذ استحواذاً شديداً على عقول البشر فدائما ترجع أسباب المرض إلى غضب الله أووجود روح شريرة.

وهناك عدد من النباتات الفعالة تستخدم فى علاج الأمراض بالطرق الشعبية منها الأرظماسيا مصر والزعتر والسمسق والبوقل (من فصيلة النعناع)(١٤)

على الرغم من التقديم الكبير فى مجال الرعاية الصحية الحديثة إلا أن الممارسات الطبية التقليدية مازالت تمارس خاصة فى الريف لاسيما فيما يتعلق بالحالات النفسية والتى قد يعجز الطب الحديث عن علاجها بسرعة ومن ثم يلجأ سكان الريف إلى المشعوذ أو الساحر وحتى رجل الدين لعلاج مثل هذه الأمراض وينتشر فى الريف المصرى جلسات الزار وأيضا جلسات لخروج الجن

من جسد المرض متبعين فى ذلك القرآن أى أن العلاج بالوسائل الشعبية مازال مسيطراً على المجتمع المصرى خاصة فى الريف ففى أسوان يوجد شيخ يعالج الأمراض النفسية وذلك بعمل أحجبة ولبخ، وموعدا ستشارة هذا الشيخ ليلة الخميس من كل أسبوع ينام فيها المريض عنده ولايذهب المريض إلى الطبيب إلا اذا يئس من جميع الوسائل الشعبية التقليدية.

وفى الدراسة التى قامت بها إحدى الباحثات لصعيد مصر وجد أنه فى حالة إصابه الطفل بالنزله المعوية يذهب به إلى الشيخ لعمل الحجاب ولايلجاء إلى الطبيب الا فى حالة فشل المشعوذ فى علاجة.

وهناك عدة طرق لعلاج بعض الأمراض منها

لعلاج الحرارة يخلط الترمس بالحناء ويوضع على الرأس، كذلك تعمل خلطه تسمى لبخة مكونة من الليون والحناء والدقيق فى حالات الصداع[١٥] ولايقتصر مثل هذه الممارسات العلاجية على صعيد مصر بل تتعداها إلى الوجه البحرى حيث تستخدم الحناء فى علاج الصداع، كما تستخدم كاسات الهواء فى علاج بعض أمراض الجهاز التنفسي.

وينتشر فى صعيد مصر فى علاج حالات الاسهال على ورق السنط مع الشبة، كذلك هناك علاجات خاصة بلدغ الحشرات المنتشرة فى البيئة مثل الثعبان والعقرب[١٦]

إقليم غرب افريقية

١. نيجيريا

تعد نيجيريا من الدول الأفريقية التى تشير البيانات الخاصة بها إلى أن الجهود المبذولة لتحسين الصحة لم تكن مواكبة للنمو الاقتصادى السريع بها، وقد أوضحت الدراسات إلى أن هنا تباين واختلاف فى توزيع الخدمات الصحية بين الشمال والجنوب وعلى مستوى الأقاليم الرئيسية بها وأيضا بين سكان الريف وسكان الحضر(١٧)

وقد أجريت دراسات عن دور الطب التقليدى فى منطقة اليوروبا وركزت على خمس أمراض تصيب الأطفال من خلال الممارسات العلاجية التى يقوم بها الأباء(١٨)

ويعد مرض الاسهال من الأمراض الشائعة التى تعالج بالطرق التقليدية فهم يرجعون سبب الاسهال إلى عدم نظافة الأوانى أو تناول أطعمة ملوثه أو تناول أطعمة درجة حرارتها شديدة .

والعلاج الرئيسى للاسهال هو الأعشاب الموجودة فى البيئة ويستخدمها حوالى ٢٩٪ من الحالات، وحوالي٢٤٪ يعالجونه بالصلوات، وهناك حوالى ١٢٪ يحتفظون بأول براز لكى يأكله الطفل فى اليوم الثالث ويتناول الأطفال مأكولات باردة مكونه من النشا أواليام وتعد الصلوات من الطقوس الهامة فى العلاج بجانب الأطعمة وفى حالة فشل هذه الممارسات التقليدية يلجأون إلى الطبيب مع عدم إهمال الطرق التقليدية.

أما الحصبة measles فعلى الرغم من انتشار ها عند اليوروبا إلاأن سببها مازال غير معروف لدى أعضاء المجتمع، ويعتقد عدد كبير منهم فى أن الحصبة تحدث نتيجة خلل داخلي، ويكون ذلك فى موسم الجفاف الذى يصحبه حرارة شـديدة ، وهذا يتـفق مع الاسم المحلى ileegbona وتعنى مـرض الأرض الساخنة، والبعض يعتقد أن الحصبة تأتى نتيجة سخط الرب كذلك الحال بالنسبة لمرضى الجديرى الكاذب smollpox وتستخدم الأعشاب فى علاج الحصبة لدى ٨٠٪. من اليوروبا، و٢٠٪. يلجأون إلى الصلاة اعتقاداً أن الرب سيغفر السخط الذى لحق بأطفالهم ويشرب المصلى زيت الزيتون، كذلك يستخدم البطيخ والكحول فى علاج الحصبة.(١٩)

ويعتبر التيتانوس Neomatal Tetanus من الأمراض غير الشائعة عند اليوروبا، والاعتقاد الشائع بأن هذا المرض يكون نتيجة وجود قوة شديدة تفوق قدرة الجسم ومن ثم تعمل على شد عضلات الجسم بشدة، وقد تحدث أيضا نتيجة شرب الحامل للماء البارد ويحدث هذا فقط بالنسبة للآباء الأقوياء الذين يورثون قوتهم لأبنائهم والعلاج الأمثل للتيتانوس هو العلاج بالأعشاب المتاحة فى البيئة.(٢٠)

والحمى Feuer من الأمراض الشائعة والمعروفة ويرجع السبب لحدوثها إلى أكل كمية كبيرة من الخبز أو المشى فى أشعة الشمس لفترة طويلة.

والعلاج الأمثل عند اليوروبا هو تناول نبات الشاى ودهن جلد المريض بالبول.

أما السعال الديكى فيعتقد السكان فى شمال غرب نيجيريا أنه مرض خلقى يأتى نتيجه اهمال الأم أثناء الحمل ولذا يصاب به عدد كبير من الأطفال والعلاج

يكون بتناول السكر والعسل وزيت النخيل وعصير الليمون والأعشاب وكل أم مدربة تدريبا تاماً على هذه الممارسات التى توارثتها وتتقنها جيدا.

وقد حدث تطابق كبير بين المعتقدات الخاصة بهذه الأمراض فى شمال غرب نيجريا وعند الكامبا فى كينيا، وقد اتضح أن الجدة مازالت هى المصدر الأساس للعلاج التقليدي.

ولا تختلف الهوسا فى ممارساتهم العالجية عن اليوروبا بل وتتشابه مع المممارسات المننتشرة فى أجزاء أخرى من أفريقيا جنوب الصحراء حيث تتشابه البيئة الطبيعية ممثل فى ارتفاع الحرارة وزيادة نسبة الرطوبة مع الاقامة فى مساكن متلاصقة بالاضافة إلى ارتفاع الكثافة السكانية.

وتعتبر الأمراض المعوية من أكثر الأمراض انتشاراً ممثلة فى سوء الهضم والمغص والغثيان والبواسير والاسهال والدوسنتاريا وعدوى الديدان المعدية.

وينسب شعب الهوسا هذه الأمراض المعوية والأوبئة إلى الأروراح الشريرة والسحر، ومصدر الرعاية الصحية الوحيد هو العلاج التقليدى ممثل فى التداوى بلاعشاب، وهناك حوالى ١٠٧ عشب يستخدم فى علاج الأمراض المعوية وأمراض الجهاز الهضمى وكلها تنمو فى البيئة المحيطة أو من المناطق المجاورة ويعتمد أجر المعالج الشعبى على الوضع الاجتماعى والاقتصادى للمريض وذلك لأن المداوى غالبا من داخل الجماعة وعلى دراية كاملة بظروف المجتمع . ولا تستخدم الأعشاب فقط للعلاج ولكنها تستخدم أيضاً كغذاء يومى كوجبة خفيفة أوتضاف إلى الحبوب أو تضاف إلى الطعام الذى يقدم للمرضي(٢١)

ومن الأعشاب الشائعة التى تستخدم للعلاج عند الهوسا هى السنط البرى وتستخدم فى علاج الجفاف الدوسنتاريا وآلام المعدة ، كذلك يستخدم لحاء الشجر فى علاج الجفاف والام المعدة.

وتستخدم التبلدى سواء الثمار أو الأوراق أواللحاء أو حتى الجذور فى علاج والهضم والجفاف وأيضا تستخدم حبوب التبلدى المطحونه فى التخلص من البلغم وأمراض الجهاز التنفسى كما يستخدم البصل فى علاج حالات الغثيان والدوار وكلها بنسب يقرها المعالج الشعبي.

ويعد مضغ بندقة شجرة البلاذر من العلاجات الفعاله للديدان كذلك تستخدم السفرجل لنفس المرضى وأيضا شجرة تعرف بالسبوته كما تستخدم السنامكى والسذابيات لعلاج البواسير والدحن لعلاج الجفاف(٢٢)

ويلجأ الهوسا إلى المعالج الذى يقوم بعمل خلطه من هذه الأعشاب بنسب معينة يعرفها .

وعلى الرغم من أن العلاج بالمستشفيات يعتبر علاجا معروفا لدى كافة أعضاء المجتمع إلا أنهم يلجأون إلى المعالج التقليدى أو الشعبى nonlegal dealer وذلك اعتقاداً أنه يحميهم من الأرواح التى تسبب المرضى وذلك من خلال قدرته على الاتصال بهؤلاء الأرواح. (٢٣)

٢ ـ **غانا:** على الرغم من وجود رقابة على المعالجين التقليديين وأيضا على بائعى الأدوية إلا أنه عندما تعرف مادة كدواء لمرض ما فى لمجتمع فإنها تعتبر فى نظر أعضاء المجتمع علاجا شافيا لكل الأمراض بل وتستخدم كنوع من التوابل تصاحب كل وجبة، وبالتالى تفقد قيمتها كعلاج للمرض ويصاحب أى

دواء سواء كان تقليديا أو حتى حدثيا نوع من الطقوس تؤخذ من أوقات محددة وبطريقة خاصة تتناسب مع نوع المرض، واذا أغفلت هذه الطقوس يفقد الدواء فعاليته فى العلاج أى قدرته على تهئية الجو النفسى اللازم للشفاء(٢٤)

إقليم جنوب افريقية

جمهورية جنوب افريقية۔

يلعب الطب التقليدى دورا على درجة عالية من الأهمية لاسيما بين السكان الأفارقة رغم التقدم التكنولوجى والاقتصادى الكبير، إلا أن المسوح الاثنوجرافية تؤكد على العلاقة الوطيدة بين الطب والسحر والدين، ففى مجتمع yhosa لايمكن التفرقة بين ماهو دينى أوطبى أو سحرى فكلها تدخل معا فى نسق واحد وهو النسق الخاص بالقيم والتقاليد السائدة فى المجتمع

وينتشر بين جماعة thosa نمطين من المعالجين التقليدين هما الكاهن والمعالج العشبي، فالكاهن وسيط مع الأرواح التى تجلب المرض وبالتالى تجلب الشفاء، أما المعالج العشبى أو صانع الأعشاب فعلى العكس من ذلك ليس له اتصال روحى ولكنه على دراية واسعة بأفضل أنواع الأعشاب الموجودة فى البيئة وكيفية مزجها معا لكى تؤدى النتائج المرجوة فى العلاج وتأتى درايته من الخبرة الكبيرة التى توارثها من أسلافه (٢٥)

وعلى الرغم من انتشار المستشفيات والأطباء المدربين فى منطقة الزولو إلا أن المعالج التقليدى يلعب دورا هاما فى المجتمع يفوق مكانة الطبيب الحديث

وهناك نوعان من المعالجين التقليديين عند الزولو هما Inyanga وهو رجل يستخدم الأدوية التقليدية ولكنه ليست لدية قوة إدراك سليمة للأمراض فى معظم الأحوال لأنه قد يخفق فى علاج بعض الأمراض ومن ثم لايلجاء أعضاء المجتمع إلية سوى فى الحالات البسيطة أما النوع الثانى Isangoma وهى سيدة ولديها قوة إدراك قوية وناجحة فى معظم الأحوال وقد اكتسبت هذه القوة نتيجه معرفتها بالأدوية الأفريقية التقليدية بالاضافة إلى قوتها الكبيرة فى الاتصال بالأرواح التى تساعدها على النجاح والتميز (٢٦)

ومن الأسباب التى تساعد على نجاح الطب التقليدى هو عدم وجود مشاكل الاتصال بين المريض والمعالج التقليدى لأنهما يتفقان فى نفس اللغة الواحدة وأيضا الثقافة، أيضا سهولة الوصول للمعالج الذى عادة ما يذهب إلى المريض فى بيته وربما يقض معه يوما كاملا مما يعطى له الفرصة لفهم المرض وبالتالى سهولة علاجه ، وربما يلجأ هنا المعالج التقليدى إلى الكاهن الذى يلعب دورا هاما وله منزلة اجتماعية ودينية كبيرة لدى شعب الزولو وهذا الكاهن ومعه المعالج التقليدى يكونان اكثر دراية بالظروف الإجتماعية والاقتصادية المحيطة بالمريض

والكاهنة Isangoma تتدرج فى سلم هرمى وفقا لقدرتها وقوتها فى الاتصال بالأرواح ولكل كاهنة دراية بمرض معينة وفقا لمنزلتها من هذه الأرواح وعلية قد تلجأ كاهنة إلى استدعاء كاهنة أخرى متخصصة فى علاج مرض معين، وفى حالة فشل الكاهنة فى علاج المرضى قد تنصح المريض بالذهاب إلى المستشفى مع تقديم الأضحيات لأرواح الأسلاف التى قد تغضب من المريض وهناك الكاهنة التى ترتقى أعلى السلم الهرمى وهى تتحدث مع الأرواح مباشرة وعادة لا تخفق فى علاج الأمراض وإذا فشلت ترجع ذلك إلى غضب الأرواح عن

المريض الذى يحاول بشتى الطرق محاولة إسترضائها وذلك بتقديم القرابين والأضحيات التى تقرها الكاهنة(٢٧)

ويختلف أجر المعالج التقليدى وفقا لمكانة الكاهن فى المجتمع، ولكى يصل الكاهن عند الزولو إلى مركزه فى المجتمع بين الكهنة فإنه يخضع لأشكال مختلفة من طقوس التقشف ويبتعد عن مصادر ألتدنيس أو الشر، ويمر بالعديد من الخبرات لكى يستطيع الاتصال المباشر بعالم الأرواح ويكتسب الكاهن هذه الخبرات من خلال الاجتماعات الدائمة التي يعقدها الكهنة بفرض تبادل الخبرات فيما بينهم وإقرار أفضل الكهنة من خلال هذه الاجتماعات الدورية (٢٨) والغرض من هذا النظام الدقيق هو حفظ نظام علم الكون فى نسق معلوم لدى كافة أعضاء المجتمع.

٢ـ زيمبابوى

ولقد حققت الرعاية الصحية فى زيمبابوى قصة نجاح طويلة وتحولت من مجرد الرعاية الصحية للأقلية الحضرية إلى رعاية غالبية سكان المناطق الريفية. وكان لذلك علامات واضحة انعكست بصورة واضحة على صحة السكان ، فمعدل وفيات الأطفال عام ١٩٧٩ كانت من ١٢٠ ـ ١٤٠ لكل ١٠٠٠ طفل قل هذا العدد إلى ٨١ حالة فى عام ١٩٨٨ ويرجع ذلك إلى تدريب اكثر من ٨٠٠٠ معالج تقليدى على وسائل الرعاية الصحية الحديثة، تاكيدا على أن الغرض الأساسى من هذه البرامج التدريبية هو تحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والصحية لمعظم السكان.(٢٩)

وتعتبر قوة الجماعات العرقية فى جمهورية جنوب أفريقية من العوامل القوية

التى عاقت وصول الخدمات الصحية إلى هذه الجماعات العرقية وذلك للمنزلة الكبيرة التى تخيلها الكهنة ومدى تغلغلها فى ثقافة المجتمع.

إقليم شرق أفريقية

١- **كينيا** يختلف نوع الممارسات التقليدية فى العلاج فى كينيا عنها فى جنوب أفريقية وكذلك غرب أفريقيا حيث تقوم النساء داخل المنزل بعلاج أمراض عديدة خاصة فيما يتعلق بالأطفال، وهذه من المهام الأساسية التى تقع على عاتق النساء والتى تتدرب عليها منذ صغرها وتكتسبها من كبار السن.

وتعتمد المرأة فى علاجها للأمراض على الحقائق العامة والسائدة حول الصحة والمرض والمعروفة فى ثقافة المجتمع أو فى ثقافات الشعوب المجاورة، وتعكس عملية العلاج التنوع فى الطبقات الاجتماعية ومستويات التعليم ، ويكون من خلال ربط النساء بين المرض والأحداث الاجتماعية معينة[٣٠]

وتصنف المرأة المرض من خطر إلى معتدل أومن دنيوى إلى أرضي، وهذا التصنيف يؤدى إلى حدوث مشاكل كثيرة مع الأمراض ، فمثلا الكحة أو الحرارة او آلام الرأس تصنف على أنها أمراض دنيوية معتدلة كذلك الملاريا وربما يمكن ارجاع ذلك إلى أن هذه الامراض معروفة ومألوفة فى المجتمع وبالتالى يسهل علاجها وهذه الأمراض الدنيوية تعد أمراضا معتدلة.

فى دراسة قام بها sonw وجد أن حوالى ٩٧٪ من الأمهات فى الريف الكينى يعالجون أطفالهن بأعشاب مخدرة بالإضافة إلى أدوية مؤربيانى Mu-arabaini[٣١]

ويلعب الكاهن دوراً هاماً فى مجتمع kamba فى كينيا وهناك خصائص تميز الكاهن عن المعالجين التقليديين الذين يستخدمون الأعشاب فى العلاج وأيضا القابلة التى تقوم بعملية الولادة، والاختلاف بين الكاهن وبينهم يكمن فى أن الكاهن يلجأ إلى القوى فوق الطبيعية لحل المشاكل الخاصة بالمرض، أما المعالج بالأعشاب فيلجأ إلى استخدام أعشاب معينة أوخليط من الأعشاب لعلاج أمراض معينة وفى عملية التشخيص والعلاج لايستدعى قوى فوق الطبيعية.(٢٢)

٢. تنزنيا واوغندا

وفى دراسة لمنطقة kinondoni وجد أنه مابين ٨٠٠٠ شخص من السكان يذهب ٢٠٠٠ منهم إلى المعالجين التقليدين وأن هؤلاء المعالجين لهم مكانه كبيرة لدى أعضاء المجتمع وهذه المكانه نابعة من القدرات الخاصة التى يتمتعون بها والتى تفوق القدرات العلاجية بل تتعداها إلى أبعد من ذلك وهى قدرتهم الكبيرة فى الاتصال بعالم الأرواح، وقد وضحت الدراسة انتشار هذه المعتقدات بصفة أساسية فى الريف اكثر من الحضر. (٢٣)

أما فى أوغندا فالممارسات التقليدية فى العلاج تنتشر بين قطاع كبير من السكان حتى داخل المناطق الحضرية، ويقوم بهذه الممارسات المعالج بالأعشاب الذى يلعب دوراً كبيرا وهاما فى علاج الكثير من الأمراض الشائعة مثل الملاريا والحمى وغيرها ، بل ويتعداها إلى العناية بالمرأة الحامل.

ويقوم هذا المعالج بعمل خلطة من الطمى مع أعشاب معينة على أن تقوم المرأة الحامل بلعق هذه الخلطة اعتقاداً أنها تؤدى إلى ولادة طفل قوي.(٢٤)

وعلى الرغم من انتشار الرعاية الصحية الحديثة بشكل واضح إلا أنها تسير جنبا إلى جنب مع الرعاية التقليدية ومن ثم قد تظهر أمراض حديثة على المجتمع نتيجة الخلط فى استخدام الأدوية علاوة على أن هذه الأعشاب قد تؤدى إلى أمراض خطيرة.

وتستخدم الأعشاب فى أوغندا لعلاج الربو وآلام المفاصل.

اهمية التكامل بين الطب التقليدى والطب الحديث

على الرغم من الاعتراف الرسمى فى معظم الدول الأفريقية بالدور الكبير الذى يلعبه الطب الشعبى وأهميته كمصدر للرعاية الصحية، إلا أن هناك قصور كبيرفى مدى التقريب بين الطب التقليدى والطب الحديث فى بعض الدول الأفريقية.

وقد تنبهت العديد من الأقطار الافريقية إلى الأهمية الاجتماعية للطب التقليدى ومنها أثيوبيا ـ ليبريا ـ غانا ـ النيجر ـ نيجيرا ـ السنغال ـ زائير. لذا فقد أنشأت معاهد خاصة بالطب الشعبى من أجل توفير الخدمات العلاجية المناسبة لثقافة المجتمع ، وقد بدأت بعض هذه الدول من بذل جهود كبيرة بضم الأطباء التقليديين إلى نظم الرعاية الصحية ومعها (ليبريا ـ غانا ـ زيمبابوى ـ نيجيرا ـ سيراليون) وقد وسعت زيمبابوى ونيجيريا دور الطب الشعب

ـ وتكمن أهمية المزج بين الطب التقليدى والطب الحديث فى أن اهمال الطب التقليدى يعطل تبادل المعلومات بين الصحة الحديثة والممارسات التقليدية الراسخة، وأيضا فإن الاعتماد على العلاج التقليدى يعوق إستخدام الرعاية الصحية الحديثة التى تعتبر اكثر فاعلية فى العلاج اذا أدت دورها بفاعليه، لأن

هذا من شأنه البعد عن إستخدام الأدوية الضارة التى قد يعطيها المعالج التقليدى وتشجيع الأدوية الحديثة من خلال المعالج الشعبى وأيضا تشجيع الأدوية الشعبية المفيدة التى ثبت فعاليتها فى العلاج وذلك فى ظل بيئة شرعية وقانونية لممارسة الطب التقليدى وقد قامت بعض الدول الأفريقية بعمل برامج تدريبية للمعالجين التقليديين والقابلات ومنها غانا، فقد نظمت برامج تدريبية أيضا لطلبة الطب تتراوح ما بين شهر ونصف إلى شهرين يقضيها الطالب فى منطقة ريفية بها معالجين تقليديين . وفى مالى يدرس الطالب نظم الرعاية التقليدية وكيفية استخدمها وأيضا كيفية تعامله مع المعالج التقليدى فى المجتمع الريفى .

وقد تبنت جامعة سوكوتو فى نيجيريا من خلال مدرسة الطب التكامل بين الطب التقليدى والطب الحديث، ويمكن أن يؤدى ذلك إلى تحسين سبل الرعاية الصحية خاصة فيما يتعلق بعمل القابلات لأنهن مازلن يقمن بأغلب عمليات الولادة فى معظم الريف الأفريقى ويمكن أن يستمر ذلك لفترة طويلة، وعلية فإن تدريب هؤلاء على كيفية رعاية الطافل حديث الولادة وما بعد الولادة عملية هامة للغاية من أجل توفير خدمة صحية آمنه هذا من ناحية، ومن هذه ناحية أخرى فإن ذلك يؤدى إلى المحافظة على القيم الإجتماعية الراسخة لاسيما فى المناطق الريفية البسيطة والتى تعتبر الطبيب عضو من خارج الجماعة ومن ثم تنعدم فيه الثقة، ولأن الممارس التقليدى عادة يكون من كبار السن فى المجتمع وبالتالى يحتل مكانة مرموقة لدى أعضاء المجتمع.

وممكن اللجوء إلى الممارسين التقليدين كمساعدين للأطباء ومن ثم يسهل على الطبيب استشارة المعالج التقليدى خاصة بالنسبة للمشاكل المتغلقة بالتوتر أو التمزق الاجتماعى وأيضا المشاركة فى المفاهيم الثقافية ومن هنا يمكن الاستفادة من المعالج التقليدى تحت رقابة الإطباء ودون حدوث المنافسة.

فهرس المراجع

(١) فوزى رضوان العربى وآخرون، دراسات فى الأنثرولولوجيا التطبيقية، الهيئة المصرية العاملة للكتاب ، الاسكنرية، ١٩٨٢، ص ٣٨.

Foster, G.M.,Medical Anthropology, John Wiley & Medical sons , New york, 1978,P.1

(٣) محمد الجوهرى وآخرون، الصحة والمرض وجهة نظر علم الإجتماع والأنثروبولوجيا، دار المعرفة الجامعة ، الاسكندرية، ١٩٩١ ، ص ١٣ـ ١٤.

(٤) فوزى رضوان العربي، مرجع سابق، ص ٤ ،٤١.

(٥) نفس المرجع ، ص ٣٩

(٦) Fostrer,G.M, op. cit,p.2.

(٧) محمد الجوهرى وآخرون، مرجع سابق، ص٦٩

(٨) فاتن محمد البنا، الرعاية الصحية والتنمية البشرية فى افريقيا، نشرة الدراسات الافريقية، عدد ٣٩ ، ١٩٩٤، ص ٤٨

(٩) نفس المرجع ، ص ٤٨

(١٠) Jocelyn, D. Traditional medicine in sub- sahran Africa, World bank , July 1991, P.1

(١١) Ibid, p. 2

(١٢) Dunlop, D., A study of health financing, Issues and options , Ethiopia sector Review, World Bank, April, 1987, p.12.

(١٣) Foster, G.M, op. cit., p.105

(١٤) جمال بلأخض : نظرة جديدة إلى الطب التقليدى فى المغرب ـ منبر الصحة العالى ـ مجلة دولية للتنمية الصحية ـ المجلد العاشر، ١٩٩١، ص ١٥.

(١٥) سعاد على شعبان، السيول كعامل بيئى وأثرها فى البناء الاجتماعى والثقافى للشعوب ـ نموذج من صعيد مصر ، نشرة البحوث والدراسات الافريقية، مارس ١٩٨٧، ص ٢٧

(١٦) نفس المرجع ص ٢٨.

(١٧) فاتن البنا، مرجع سابق، ص ٢٣.

(١٨) Ayo, J,& Adetunji, D.,response of parents to Five killer diseases among children in yoruba Community ,Nigeria, **soc. sci. Med., vol. 32, No 12,** 1991,p.1379.

(١٩) Morley, D.& William,M.,"Measles in Nigeria", **West African Med. J., NO. 10,**1981,p.50.

(٢٠) Maclean ,C.M,"yoruba mothers: A Study of changing methods of Childrearing in rural and uuban Nigeria," **Journal of tropical Med. ,vol 69,** 1986,p. 159.

(٢١) Etkin,N,& Ross,F.p," Food as medicine and Medcine as food , An adaptive Frame work for the

interpretatiion of plant utilization among the Hausa of nothern Nigeria", **soc. sci- Med. ,vol. 16,** 1982, p.1559.

(٢٢) Ibid, p. 1561- 1562.

(٢٣) Alubo,S.O.,"Death for sale: A Study of drug poisoning and death in Nigeria", **soc. sci. Med., Vol. 38, No.1,** 1994,p.102.

(٢٤) جيمز بيرس، « تنظيم الأسرة دفعة إلى الأمام »، **منبر الصحة العالمي - مجلة دولة للتنمية الصحة** ، المجلد العاشر، رقم ٢، ١٩٩١، ص ٥٠

(٢٥) Foster , G.M., op.cit., p. 68.

(٢٦) Ngubane, H.," Aspects of clinical practice and traditional organization of indigenous healers in South Africa"., **soc sci Med., vol. 158,** p. 362

(٢٧) Ibid,.p. 363.

(٢٨) Freeman, M.& Motsei, M., "planning health care in South Africa - Is there a role for traditional healers?.," **soc.sci. Med.,vol. 34, No. 11,** 1992, p.1184.

(٢٩) Woelk, G.B.," primarg health Care in Zimbabwe" **soc. sci .Med., vol. 39, No. 8,** 1994, p.1026.

(٣٠) Kimani,V.N," Attempts to coordinate the work of traditional and modern doctors in Nairobi."**soc. sci .Med., Vol. 15,** b. 1981, P. 421 - 422.

(٢١) Mwenes, H.& others, " Child Malaria treatmet practice among mothers kenya" **soc. sci .Med., vol. 40,** 1995, 0p 1271- 1272.

(٢٢) Foster, G.M., op. cit., p. 105.

(٢٣) Semali, I.A.,"Associations and healrs: attitudes towards col-laboration in Tanzania , soc. **sci .Med., vol. 12,** 19986, p. 1020.

(٢٤) سلوى يوسف درويس، المرأة عند البـاجندا فى أوغندا، دراسـة فى الأنثـروبولوجـيـا الاجتماعية، رسالة دكتوراة غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة، ١٩٩٣، ص ٧٠.

الجـــزء الخامــــس

خـريطة رقيمة للسلالات والشعوب
فى القـارة الأفريقيـة
Digital Map of Man in Africa

إعـــداد

أ.د. فـاروق عبـد الجـواد شـويقـة

إستاذ الأنثروبولوچيا الطبيعية الإيكولوجيـة

معهد البحوث والدراسات الأفريقيـــة

جامعـة القـاهــرة

١٩٩٧

مقـــدمة

تدرس السـلالات البـشـرية، الانسـان من حـيث أصله وسـلالاته وصـفـاته الجسدية ومدى تأثره بعوامل البيئة الطبيعية، لذلك كان مجال دراستها ذا صلة بعلوم شتى؛ تتركز أساسا فى الجغرافيا والانثروبولوجيا الطبيعية، واذا اتسع مجالها ليشمل دراسة الفروق الثقافية والإجتماعية بين شعوب السلالات المتباينة كان لنطاق الأنثروبولوچيا الثقافية والحضـارية وأيضا الانثروبولوجيا الاجتماعية صلة قوية بالموضوع.

أما دراسة الشـعوب وما يتـعلق بها من سـمات طبيـعية وأوطان ايكولوجية وعناصر ثقافية وعادات إجتماعية فتدرسها الإثنوجرافيا والأنثروبولوچيا من خلال الدراسة الوصفية المسحية، والدراسة التحليلية المقارنة وهى التى تحاول جاهدة ايجاد علاقات ربط بينها، لتنتهى بوضـع القوانين والنظريات التى تنظم وتخضـع لها هذه الظواهر الثقافية والإجتماعية[١]، ولاشك أن تلك الدراسـات أصـبحت حاليا تتسع لتشمل دراسة مختلف الشعوب فى كل زمان ومكان، بعد أن كان مجالها يقتصر على دراسة الشعوب البدائية والمتخلفة.

ولقـد كانـت الجـغـرافـيا وباسـتمـرار، هى العلم الذى يدرس مظاهر الأرض وما عليـها من ظاهرات طبيـعية وبشرية أى تدرس أحـوال البلاد والعـباد، لذلك فإن دراسـة الإنسان ومـا ينتجـه، أى الدراسات الأنثروبولوجـية العـامـة، لاتبـعد كثيرا عن مـجالهـا، ومن هنا كانت الدعـوى الى تجديد الإهتـمام بالجغـرافـيـة الأنثروبولوجيـة أو بالأنثروبولوچيا الجغـرافية أو الإيكيولوجية، تحمل كثير مـن الـدلالة على الاهتمام بربط العلم بالمجتمع، خاصة اذا كانت تدعوا ـ ضمـن ما

تدعـوا اليه ـــ الى القضاء النهائـى على الدعاوى الواهية المزعومـة بالتفـرقـة بـــين السـلالات والشعوب[٢].

والحقيقة أن دراسة موضوع السلالات أصبح موضوعا علميا ذا أهمية خـــاصــــة، اذا لا يكاد يخلو بحث علمى يرنو لأن يكون له ثقل فى المجـــال الأكاديمى والمجال الإعلامى - رغم التباين بينهما - إلا وله صلة ما بموضوع السلالات من قريب أو من بعيد، ذلك لأنها تعتبر البناء القاعدى لأسس التعامل بين المجموعات البشرية وعلى هداها توضع الخطط التنفيذية المناسبة والملائمة فى سائر المجالات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية بما لا يتعارض مع الثقافة أى مع القيم والمفاهيم والأسس السائدة لدى كل سلالة أو عرق.

هذا، بالاضافة الى ما ظهر من أهمية خاصة صاحبت وواكبت عصر ما بعد نهاية الحرب الباردة، بعد التصفية الذاتية للإتحاد السوفيتى وظهور عالم جديد عماده أحادية القوة العالمية؛ مما أيقظ طموحات وخيالات الأقليات العرقية واللغوية والدينية فى أنحاء شتى من العالم، فكشف عن صراعات دفينة، وأيقظ فتنا كانت نائمة؛ فنشبت حروبا وصراعات كثيرة تألمت منها وبسببها كثير من الأناسى الأبرياء.

لذلـك، أصبـح موضـــوع دراسة السلالات والأعراق والأقليات، خاصة على أســس أنثـروبولوچيـة إيكولوجـيـة، يعـد من أفـضل المداخل التى تعطى رؤية صحيحة لصاحب القرار كى يقدر أفضل السبل كى يسـلك وأنجح الحلول كى ينفذ.

وأفريقيا القارة الخضراء البكر، التى تقتطع مصر كيانها منها، هى قارة الإنسـان من حيث عراقـة النشـأة وتبـاين السـلالات وتعـايش الشـعـوب وترابط

القبائل وتماسك العائلات، ولقد كانت هى القارة الوحيدة المظلومة وليست المظلمة كما قيل وأشيع عنها - بالمفهوم الأنثروبولوچى السلالى وبالمفهوم الجغرافى الإيكولوجي، حيث تعرض ومازال- إنسانها وأرضها للإستنزاف البشع الجشع والسريع الماحق. ومن هنا كان الإهتمام بها دوما دراسة وبحثا وحثا، تمهيدا وتدعيما للدفاع عنها من قبل أهلها وللإنقضاض والإستغلال من قبل المستغل الخارجي، لذلك كان الحرص كبيرا على إنشاء الكثير من مراكز البحوث ومعاهد الدارسات الأفريقية فى شتى بل وفى معظم الجامعات الأوربية والأمريكية، وما أظن قارة أخرى سواها لقيت من تلك العناية العلمية الهادفة مثل ما لقيت أفريقيا.

وتعتبر مصر وأهلها منذ أقدم العصور أهم بيئات وحضارات أفريقيا[٣]، بل أنها تتعدى ذلك لما تحمله ظروفها الجغرافية والأنثروبولوجية والتاريخية من أهمية إستراتيجية خاصة، لذلك كان الإهتمام بها يلقى عناية متميزة علميا وعمليا حاضرا ومستقبلا، ويشبهها فى ذلك الى حد ما أطراف وأركان القارة الأفريقية الأخري؛ أعنى بها القرن الأفريقى والمغرب ثم الطرف الجنوبى من القارة.

كتب كاتب هذا العمل يوما ما (١٩٨٨) فى مكان ما من أرض العرب والمسلمين (مسقط): «.. أن العمل المنتظر فى المستقبل القريب والبعيد أمام أبنائنا وأحفادنا من طلاب العلم والبحث والمعرفة العرب والمسلمين، جد كبير وخطير، كى يبذلوا الجهد والعرق والمال؛ بل كل شئ حتى يعرفوا المزيد عن أوطانهم جغرافيا وأنثروبولوجيا وإيكولوجيا وتاريخيا، وأن يربطوا بين كل هذه الدراسات بروية، وفى رؤية بؤرية، وبمنظور «أنثروبوجغرافي» أى إيكولوجى بشري، واسقاط كل ذلك على معطيات الحاضر والواقع، بهدف وضع تصور أفضل للمستقبل، والعمل على تنفيذ هذا التصور بكل إخلاص مخلص...»[٤].

والحق أن الهدف من الدراسة والبحث فى موضوع السلالات والشعوب لا يكاد يخرج عن ذلك المنهج وهذا الهدف ، فاذا كانت القارة الأفريقية هى القارة الأم لمصر والمصريين ومن خلفهم العرب وغيرهم من الأنام، كما أنها قارة الأمل والمستقبل بما تتضمنه من موارد طبيعية، موارد يصعب على غير أبنائها أن يستخرجوها، فأن الأمل يتركز فى تنشيط إحساس الإنسان الأفريقى بالإنتماء، ولنجعل ذلك هو المشروع القومى بحيث نغرس الإنتماء، الإنتماء الخاص الضيق Micro، والإنتماء العام الواسع Macro بمعنى أن حب العشيرة والإنتماء، إليها لا يلغى ولا يهدم ـ بل يعزز ـ الحب والإنتماء للوطن وللإنسان والإنسانية.

أقول هذا لأنه أصبح من سمات إرهاصات القرن الحادى والعشرين الميلادي، الصراع العرقى والإثنى الواضح والدموي، تصفية لحسابات قديمة وطويلة، لذلك كانت العودة واجبة للدراسة المتعمقة لموضوع وحدة الجنس البشرى والنوع الإنسانى والدعوة الى الأخوة البيولوجية والثقافية العالمية؛ تلك التى تسمح داخلها بوجود مجموعات عرقية وإثنية ذات شخصية ثقافية متميزة ومتمايزة، ولكنها متفهمة ومتعاونة مع الجميع، ومن هنا كان الإهتمام بهذا الموضوع، وفى سبيله تبذل جهود ليست بالهينة.

ويعد موضوع السلالات من شواغل الإنسان منذ القدم حيث كان مؤتمر الاجناس العام الذى عقد فى لندن (يوليو ـ أغسطس ١٩١١) من أهم المؤتمرات التى عقدت فى أوائل هذا القرن العشرين، ثم تبعته مؤتمرات كثيرة كان أهمها مؤتمر هيئة الامم المتحدة عام ١٩٥٠ والذى أسفر عن دراسات كثيرة كان منها :ـ

Comas, J. :The race question in modern science. Paris 7, UNESCO, 1958

وكان تحول معهدنا وإتساع إهتمامه (١٩٥٥) ليشمل كل القارة الأفريقية بعد أن كان منذ إنشائه (١٩٤٧) قاصرا على الدراسات السودانية؛ دليل عملى على إهتمام الأفارقة بدراسة قارتهم كى يواجهوا التكالب العلمى والعملى على القارة، والذى أسماه بحق جمال حمدان «الإستفارق» (أفريقيا الجديدة، ١٩٦٦) ولعل فى هذا يكون السبيل لمواجهة الخطط والاموامرات التى تحاك بليل لتفتيت كيانات وقوميات أفريقية كانت قوية وبذلك يظهر صدى برجماتى نفعى من الدراسات الإثنوسسيوبيولوچية وتطبيقاتها الأفريقية (راجع مقالات المؤلف التى نشرت تباعا فى الموضوع، فى مجلة المعهد).(٥)

وهذه الدراسة جاءت فى صورة مقال مركز مختصر، يهدف الى الدخول الى موضوع الأعراق (السلالات) والإثنية (الشعوب) الأفريقية، من خلال اجراء تصنيف متدرج لها، يبدأ بالمجموعات البيولوچية الكبرى (المجموعات السلالية) وأقسامها من سلالات فرعية، ثم التجمعات الثقافية (اللغوية أساسا)، ثم الجماعات القبلية وفروعها وبطونها وأفخاذها المتباينة.

وقد توخينا الترتيب المنطقى المتدرج - قدر المستطاع - من الأعرق والأقدم الى الحديث فالأحدث، خاصة عند دراسة السلالات، أما غيرها فقد كان التصنيف اللغوى والتوزيع الجغرافى هو أساس الترتيب، وفى كل الأحوال، طبق نظام الترقيم المختلط برموز تبدأ بحروف من الهجائية اللاتينية تليها أرقام من الرموز العربية، وقد إتبعنا هذا النظام بغرض سهولة فهمه أيضا، من الاساتذة الأجانب على العربية كى يحاطوا علما - دون ما حاجة إلى ترجمة - لهذا الجهد الموضوع بفكر أفريقى عربى مصرى خالص.

هذا وقد إعتمدنا موضوعيا فى هذه الدراسة على مصادر عديدة أنثروبولوچية وجغرافية خاصة تلك التى صدرت فى السلسلة

Ethnographical Survey of Africa عن طريق (IAI) وباشراف Daryll Forde والتى إعتمدت على دراسات ميدانية جادة ومتعمقة على كل القبائل والجماعات الأثنولوجرافية الأفريقية.

هذا وقد قسمت الدراسة الى ثلاث جداول رئيسية هي: Three Main Tables

الجدول الاول المجموعات السلالات Table No. 1 Races of Man

الجدول الثانى التجمعات الثقافية Table No. 2 Cultural Glusters

الجدول الثالث الجماعات القبلية Table No 3 Tribale Clusters

ولأسباب عدة كان التركيز والتلخيص؛ السمة الأساسية فى العرض، لذا كان لزاما على من يريد المعرفة الوافية والمتعمقة الرجوع الى المصادر الوارد بيانها فى الببيليوجرافية

والله الموفق والهادى للخير

السلالات البشرية فى افريقيا

يعيش على الأرض الأفريقية زمر من البشر متباينةمن الأخلاط الأملاط، أى جماعات مختلفة، مهجنة من سلالات عديدة الأنماط والأشكال، هذا وتزداد أهمية دراسة موضوع العرقية والإثنية اذا عرفنا أن جل إن لم يكن كل المشكلات الدولية ترجع حاليا فى أصلها إلى كونها مشكلات وخلافات عرقية أو سلالية أو الاثنين معا، تتساوى فى ذلك كافة الدول والمجتمعات، المتقدمة والنامية فى سائر قارات العالم ومنها القارة الأفريقية.

فإذا إلى أضفنا الى ذلك أن هذا الموضوع ديناميكى متحرك، بل دائم وسريع التحرك، نجد أن الباحث (قارئا أو كاتبا) الناضج يستشعر مدى خطورة وأهمية العمل فى هذا المجال، وهو الذى يحتاج الى الإلمام الكافى بمجموعة علوم كثيرة ودقيقة.

هذا وتجمع القارة الأفريقية على أرضها جميع النماذج البشرية تقريبا حيث نجد فيها أربعة أنواع من الأنواع الخمس التى قسم كون Coon, C. S. الجنس اليها[٥].يستثنى منها النمط الإسترالى فقط، الآخذ سريعا فى الإندثار.

الجدول الاول	The Table No 1
المجموعات السلالية	The Races of Man
فى أفريقيا	in Africa

الكيبوانيون	Capoid	A
البانتو	Bantu	B
القوقازيون	Caucasoid	C
الزنوج	Congoid	N
المنجوليون	Mongoloid	M

A هذا ويقصد بالكيبوانيين أعرق وأقدم المجموعات البيولوجية (السلالية) فى القارة الأفريقية وقد نسب الإسم الى إقليم الكيب Cape حيث تعيش أهم جماعاتهم، وهى سلالة أفريقية خالصة وقد ألحق مع هذه المجموعة جماعات الأقزام Negrillo لأسباب تصنيفية وليست سلالية، ومن أهم سماتهم السلالية قصر القامة فهى قزمية (البوشمن ١٥٠ سم، والهوتنتوت أثر قليلا من ١٥٠ سم) ولعل متوسط ١٤٥ سم لا يبعد كثيرا عن الواقع، بنية الجسم قوية وذات عضلات منتفخة وذات ألياف قصيرة على عكس الحال عند الزنوج والأقزام، والرأس طويل وان كانت أقل طولا وأكثر انخفاضا وبروزا للعظم الجدارى وعظم القزال عند الهونتتوت وعظمة الوجنة بارزة والأنف أفطس وكروية والجبهة المنتفخة وأهم السمات البيولوچية الفريدة، ظاهرة الطفولية خاصة بين النساء وتراجع الذقن ولون البشرة البنى المصفر، ووجود ظاهرة تضخم العجز Steatopygia لدى الجميع ذكورا واناثا وأطفالا.[٦]

أما أقزام أفريقيا[٧] فهم أقدم سلالات القارة الأفريقية، فهم أقدم فيها من السلالة الزنجية (الكونجورية)، ولعل أهم صفاتهم البيولوچية القزامة والقماءة (القامة ١٤٢,٢ سم، الوزن ٣٩,٩/ كجم)، وتزايد عملية الإيض (التمثيل الغذائى Metabolism)، وترجع القزامة بسبب نقص نمو الغضاريف Achondroplasidc مما يتسبب أيضا فى قصر الأزرع

والسيقان وتكعبر أصابع اليدين والقدمين، هذا ويتزايد فيهم تكرار فصيلة O (جينr) من مجموعة الدم ABO .

B أما البانتو فهم شعبة ثقافية ـ أساسا ـ من الزنوج، ولكن خصص لهم قسم سلالى خاص نظرا لاتساع أوطانهم الكبير (ثلث القارة) ولما يتصفون به سلاليا من صفات أقل حدة من الزنوج الخلص، نظرا لإختلاطهم بيولوجيا بالقوقازيين عامة وبالأقزام والبوشمن خاصة فى الغرب والجنوب، مما جعلهم يتميزون بلون البشرة الأقل حدة وسودا، وباعتدال معامل الأنف، وتوسط الشفتين وتزايد معامل الرأس وقلة بروز الفكين، وبعامة فهم مجموعة سلالية تحمل صفات زنجية فى الأصل، ولكنها تأثرت بما إختلطت بهم من سلالات فى المناطق الشاسعة التى انتقلوا اليها فى شرق ووسط وجنوبى القارة الأفريقية.

هذا ويفصل زنوج البانتو عن الزنوج الخلص خط يمتد من خليج بيافرا فى الغرب ويمتد نحو الشرق بحيث يخترق حوض الكنغو الى بحيرة ألبرت دور حول البحيرات الى أن ينتهى الى مصب نهر تانا.[٨]

والجدير بالذكر أن زنوج البانتو يمثلون نمطا سلاليا وثقافيا خاصاً بالقارة الأفريقية، لا يتكرر فى قارة أخرى غيرها، وربما من المفيد أن نذكر أنه رغم تباين أقسام البانتو، إلا أنه يجمعهم تقارب وتشابه لغاتهم فكلها تعتمد على إضافة حروف معينة تضاف ـ غالباً ـ الى أول جذر الكلمة ، بحيث تعطى معنى يختلف من حروف الى أخري، مثل القطعة التالية بعد ترجمتها للانجليزية[٩]

"A day there was a person walking through Buganda, the territory of Baganda, might meet a Muganda, who would speek to him in Luganda."

فجذر الكلمة Ganda (اسم قبيلة من بانتو البحيرات) تغير مدلول معناه تبعا للبادئة التى إضيفت اليه (وطن Bu ـ شعب Ba ـ فرد Mu ـ لغة Lu)، وهكذا تستعمل الإضافات، فى أول الجذر Prefix أووسطه أو نهايته فى مختلف الأقسام الرئيسية لشعوب البانتو، لذلك يسهل على معظم قبائل أقسام البانتو المختلفة التفاهم فيما بينهم، على العكس من الزنوج الخلص فى غرب أفريقيا.

ويتميز زنوج أفريقيا بعامة بأنهم طوال القامة ١٦٥ سم فى المتوسط وطوال الرأس، مع بروز ظاهر فى الفك، والانف عريض وأفطس، والشفتان غليظتان ومقلوبتان للخارج، والشعر قصير مفلفل يشبه الصوف، والأكتاف عريضة، وخصورهم نحلية، والكليتان مقوستان، والسواعد مستطيلة والاطراف السفلى نامية (طويلة)، وسمانة الساق غير نامية، وأقدامهم منبسطة، وتكثر بينهم فصيلة الدم B (جين I^B) ، وتتزايد تكرار نمط هيموجلوبين الخلية المنجلية (Hgb.S) بينهم (خريطة ١).

C يغلب على القوقازيين الاصلاء فى أفريقيا إنتمائهم الى سلالة البحر المتوسط الجنوبية التى أطلق عليهم إليوت سميث Elliot - Smith السلالة البنية، والتى هى فى الأرجح أصل الفروع القوقازية العديدة حيث يقول سيرجى Sergi, G [١٠] أنها نشأت فى الصحراء الكبرى فى شمالى أفريقيا ومنها إنتقلت الى أوربا شمالا والى آسيا شرقا.

ويحمل القوقازيون صفة الإعتدال العامة فى معظم السمات الطبيعية الأنثروبومترية سواء القياسية أو الوصفة، وبدون ما تفصيلات كثيرة[١١] نجد أنهم أيضا أكثر السلالات تباينا، نظرا لإنتشارهم الواسع أصلا (قبل الكشوف الجغرافية ١٤٩٢ وما بعدها) فى الشمال والشرق ، ثم بعد ذلك فى معظم

أرجاء القارة خاصة نصفها الجنوبى حيث كان إلاستعمار والاستيطان الأوربى القوقازى الذى وضع أمامه فى إزاحة بشرية بالغة القسوة، الشعوب الأفريقية الوطنية من بوشمن وهوتنتوت وبانتو الجنوب.

هذا وبينما ينتمى حاميو الشمال ومنهم المصريون والطوارق وغيرهما وأيضا حاميو الشرق ومنهم البجاة والتيجرى والأمهرة وغيرها، ينتميان الى السلالة البنية السابق ذكرها، نجد أن العناصر الأوربية التى هاجرت الى القارة خلال فترة الاستعمار الاوربى تنتمى الى كل من سلالات غر ب ووسط وشمال وجنوب أوربا فقد جاء منها البريطانيون والفرنسيون والبلجيك، وكذا الألمان، وأيضا البرتغال والأسبان والطليان حيث نزل وإختلط كل منهم مع بعض الشعوب الأفريقية مما ظهرت معه سلالات جديدة مختلطة؛ كان منهم البوير، والملونون فى جمهورية جنوب أفريقيا، أما الاسيويون هناك فهؤلا أساسا أحضرهم البريطانيون من شبه القارة الهندية فهم قوقازيون ولكن من السلالة البنية

N أما الكونجوليون أو الزنوج الحقيقيون True Negro (كما أسماهم سليجمان) أو القح (كما أسماهم محمد عوض محمد) فهم الزنوج الذين يعيشون فى السودان الغربى فى غرب القارة الأفريقية، فى النطاق الجغرافى الذى يمتد من ساحل خليج غينيا جنوبا الى الصحراء الكبرى الأفريقية شمالا وأحيانا يتوغل فيها على شكل أسافين، وبذلك نجد نطاق فاصل أطلق عليه خط الزنوج يفصل أوطان هؤلاء الزنوج جنوبا، عمن سواهم من القوقازيين شمالا وشرقا. هذا الخط يبدأ من مصب نهر السنغال فى غرب أفريقيا ويسير مع مجرى السنغال حتى نحو منتصفه ثم يتجه شرقا الى منحنى نهر النيجر الى الجنوب من تمبكتو ثم الى جنوب بحيرة تشاد ثم نحو جنوب الشرق الى نهر بحر العرب ويتبعه بالقرب من خط عرض ٩ شمالا وعندما يقترب من جبال

النوبا يتجه شمالا ليدور حولها ويتجه شرقا حتى يعبر النيل الابيض (خط عرض ١٢ شمالا) ويمتد عبر أرض الجزيرة فى سودان وادى النيل فى اتجاه غربى شرقى حتى يبلغ سفوح الهضبة الإثيوبية وهناك يتجه نحو الجنوب فى اتجاه رأسى تقريبا حتى يصل الى المحيط الهندى بالقرب من نهاية نهر تانا[١٢]

هذا وتتعدد وتختلف لغات قبائل هذه السلالة الزنجية بعضها عن بعض بحيث يصعب التفاهم بين بطون وعشائر هذه القبائل نظرا للتباين الكبير لغويا فيما بينها.

أما عن السمات الطبيعية فتتشابه التى حد كبير بين كل أقسامها وقبائلها وتتركز أساسا فى : القامة الطويلة (١٧٣ سم) ـ الرأس طويلة وضيقة (المعامل حول ٧٥) ـ الانف عريضة (> ٩٠) ـ الجبهة منتفخة ـ الفك بارز ـ الشفاه عريضة ومقلوبة ـ لون البشرة غامق ولامعة سوداء وبينة ـ شكل الشعر مجعد ولولبى ولونه أسود، وهكذا تحمل المجموعة السمات الزنجية المتطرفة المعروفة عن الزنوج خاصة الإرتفاع الكعبى Sphenion Height الكبير.

M المنجوليون، هم أصحاب البشر ة الصفراء أساسا بدرجاتها المختلفة، وبخصوص القارة الأفريقية نجد أن السلالة المنجولية الجنوبية خاصة من الملايوهى التى وفدت الى جزر شرق أفريقيا خاصة جزيرة مدغشقر منذ قرون تاريخية بعيدة، مما ترك أثر بيولوجية واضحة فى السلالات (الجين بول Genepool) المحلية.

هذا ومن أهم السمات البيولوجية المنجولية السائدة والتى تنتقل بالوراثة: الرأس العريض ـ الوجه العريض والمسطح ـ الشعر المسترسل ـ الثنية المغولية Epicanthic Fold على جفن العين، وهذه الأخيرة أهم السمات التى كثيرا

ما نجدها على شعوب وقبائل ملاجاسى الحالية، بل إنها توجد بدرجات مختلفة عند المجموعة الكيبوانية مما يمثل نقطة بحث جديرة بالدراسة.

ولكن ما بالنا نبدأ بدراسة السلالات، ذلك لإن الإهتمام أخذ يتزايد بالدراسات الانثروبولوجية فى الآونة الأخيرة نتيجة للصراعات التى أخذت تظهر مع مشكلات العرقيات والأقليات فى مختلف العادات خاصة فى دول ومجتمعات العالم الثالث ، ما يتطلب الإهتمام والتعمق فى هذا الفرع من فروع المعرفة الانثروبولوجية، والذى يمكن ان يساهم مساهمة إيجابية فى حل المشكلات الانسانية وتعميق مفهومها. هذا وغنى عن البيان ولكن واجب الذكر، آن التصنيف وان كان سمة كونية عامة، مشاهدة فى كافة الكائنات (حية / وغير) ، ولعل أوضحها المشاهد فى التصنيف الجنسى بين الذكورة والانوثة، وهكذا، ولكن المهم والجدير بالاشارة اليه، بل والإشادة به، هو أن أى التصنيف فى الحقيقة، لا يحمل فى ذاته أية دلالة على التميز أو الدونية، فقد حسم ذلك فيما يتعلق بالسلالات البشرية بعد البحوث والدراسات التى أجريت برعاية هيئة الامم المتحدة عام ١٩٥٠ كما ذكرنا، وكان هذا هو ما قالته النصوص الصحيحة للكتب الدينية السماوية. وعليه فأنه لا مكان ولا مكانة لإى نظرة متعالية لسلالة أو لجماعة بشرية على أخري، إلا بمقدار ما تقدمه من خير عام ممثلا فى ثقافة وحضارة فكرية وتكنولوجية، تفيد النوع الإنساني والجنسى البشرى، وترقى به فى مدارج التقدم والرفعة والرخاء العام غير المشوب بالمن والأذي.

الشعوب الأفريقية

تتركز أهمية دراسة موضوع تصنيف الشعوب الأفريقية فى أن التصنيف هو أساس الدراسة العلمية لكافة مجالات المعرفة، فبه وعن طريقه تبدأ الدراسة العلمية لحل أى معضلة، أما موضوع الشعوب الأفريقية، فربما تتضح أهمية دراستها اذا أوضحنا أن النظم السياسية والحكومات فى القارة خلال العقد الاخير من القرن العشرين شهدت وتشاهد الكثير من المشكلات التى أوهنت من قواها، تتشاو فى ذلك جل إن لم يكن كل دول القارة، مما جعل البعض يتساءل هل هى نهاية الدولة فى أفريقيا؟ أقول أن الدولة قد ضعفت فى أفريقيا؟ لا شك ، وليس أمامها من طريق لاستعادة كيانها إلا بايقاظ الإنتماء، الانتماء الذى يبدأ من الاسرة فالعائلة فالعشيرة فالقبيلة ، ومن هنا كانت أهمية وضع أسس لتصنيف الشعوب والسلالات الأفريقية، علما أن الجميع يجمعهم وحدة الإنسانية وأخوة الإنتماء وإشراقات المستقبل.

لذا كان واجبا على الأنثروبولوچى الأفريقى أن يعمل على تعميق مفاهيم الثقافة المحلية والقبلية، ويجب أن يكون ذلك فى إطار القومية السياسية، بحيث لا تتعارض معها ولا تسبب لها أى مشكلات محلية أو إثنية، ذلك أن مجال عمل وهدف الأنثروبولوچى الذى كان يهدف أثناء الفترة الإستعمارية الى تيسير قيادة القبائل والشعوب الوطنية وإخضاعها لحكم المستعمر، هذا الهدف ، قد تغير حاليا ، وأصبح يتركز فى الحرص على تنفيذ مشروعات التنمية المحلية الشاملة بالإستعانة بكل الأنساق الثقافية والإجتماعية الوطنية ، وهو ما اصطلح على تسميته أنثروبولوجية التنمية، وهذه لا يمكن أن تؤتى ثمارها إلا بعد معرفة جيدة ومتجددة بالشعوب والقبائل محل الإهتمام وهذا يتطلب ـ مع ما يتطلبه ـ

معرفة عمق ومدى العلاقة التى بين هذه الشعوب؛ وتأتى هذه الدراسة الرقمية لتخدم ذلك الموضوع.

هذا ويأتى الجدول الثاني، وهو الخاص بالمجموعات الثقافية، ليقسم ويصنف المجموعات السلالية التى وردت فى الجدول الأول ، والجديربالذكر أن الأسس التى إتبعت فى هذا الخط الثانى للتصنيف، بالاضافة الى إعتمادها على الفروق والتباينات البيولوچية، فإنها إعتمدت أيضا على توزيعاتها الجغرافية الإيكولوجية التى تركزت أثرها على سماتها الثقافية وأنساقها الإجتماعية.

The Tabe No 2 الجدول الثانى

The Cultures المجموعات الثقافية

A		**Gapoid**	الكيبـوانيـــــون
	B	Bushmen	البوشمـن
	H	Hottentot	الهوتنتوت
	P	Pygmy (Negrillo)	الاقـــزام
B		**Bantu**	البانتـــــــو
	E	Easten Bantu	بانتـوالشـرق
	W	Western Bantu	بانتوالغـــرب
	L	Interlacustrin Bantu	بانتوالبحيرات
	C	Central Bantu	بانتو الوسـط
	S	Southern Bantu	بانتوالجنـوب
C		**Caucasoid**	القوقازيـــون
	A	Arabs	العـــرب
	B	Baggara	البقـــارة
	C	Cushites	الكوشيـون
	E	Ethiopians	الإثيوبيـــون
	R	Barber	البـربـــر
	T	Tuareg	الطـــوارق
	U	Europian	الأوربيـــون
	S	Asian	الآسيويون
	X	Mixed	مخلطــون
N		**Gongoid (Negoid (الزنوج)**	الكونجوليـــــون
	T	True Negro	الزنوج الخلص (الحقيقيون)
	H	Half (Nile) Hamites	زنوج حاميـــون
	N	Nilotes	زونجالنيـــــل
	F	Fringe Negro	زنوج متناثــرون

المنجوليـــــون	Mongoloid (Mixed with خليط مع)	M
مالاجاشي	Malagasy	M
الخور الأخرى (الشرقية)	Other Isls. (Eastem)	O

هذا وان كانت المجموعة السلالية الأولى (الكيبوانية) والأقزام تتباين كثيرا فى صفاتها الأنثروبولوچية العامة، فان المجموعة الثانية (البانتو) تتشابه فى صفات أنثروبولوچية عديدة ، بينما تتباين كثيرا المجموعة الثالثة (القوقازيون)فيما بين أقسامها الأنثروبولوچية المختلفة، وكذا المجموعة الأخيرة الى حد ما، وذلك كما توضحه المصادر المتخصصة الموسعة، مما يقصر عنه الذكر فى هذا المكان، ونأمل أن تتاح الفرصة له مستقبلا فى دراسة أكثررحابة.

الجمــاعات القبليـــة

قام جورج بيتر مردوك Murdock, G.P. (١٩٥٩)[١٣] بتقسم ناس أفريقيا على أساس نشاطهم الإقتصادى ثم على نوع هذا النشاط، ثم على نوع الكائن الحى الذى يعتمد عليه فى هذاالنشاط، فنجد أنه أولا: يقسم أهالى القارة (حيث إقتصرت دراسته على الأهالى ولم تمتد الى كل الناس الذين يقطنونها) بين كل من الصيادين ـ الرعاة ـ الزراع، ثم ما بين رعاه الابل (الشمال والشرق) وبين رعاة الماشية (الوسط والشرق والجنوب)، ثم ما بين زراع الزراعات السودانية (فى الغرب السوداني) وبين الزراعة الصحراوية الجافة (فى الشمال) وبين زراع الزراعات الاندونيسية (فى غرب القارة ومدغشقر).

وعليه فان تقسيم ودراسة مردوك ثقافية وحضارية أساسا ولكنها تتخذ الحرفة وليس اللغة كأساس أول للتصنيف ثم يلى ذلك التوزيع الجغرافى (المكانى ـ الايكولوجي) قبل أن يصل الى مستوى التجمع القبلى فالقبيلة، لذلك فهذا التقسيم «المردوكي» يفيد، وقد أفادنا فعلا ـ مع غيره بطبيعة الحال ـ عند وضعنا للمستوى أو الجدول الثالث (الجماعاتالقبلية).

والجدير بالذكر أن البشر كثيرا ما يزاولون أكثر من حرفة وأكثر من نمط لها فى وقت واحد، فالراعي لا يقتصر على الرعى بل يزاول أيضا الزراعة ـ اذا ما سمحت الظروف الجغرافية والإيكولوجية بذلك ـ وينطبق ذلك كذلك على نوع الحيوان المرعى والنبات المزروع ، وهذه الحقيقة المشاهدة الآن لم تكن كذلك فى العصور الخوالى أى عندما كانت الحضارة البشرية فى بواكير أزمانها.

هذا وفيما يلى محاولة لتصنيف وترقيم الجماعات القبلية فى أفريقيا معتمدين فيها على خطى التصنيف الاول والثانى السابق ذكرهما.

The Table No. 3 الجـدول الثالث
The Tribes الجماعات القبلية

A		Capoid [١٤]	الكيبوانيون
B		Bushmen	البوشمن
1		Ikung	إيكونج
	1	Ikung	إيكونج
	2	Zhu / Oase	زهو أواس
	3	Au / On	أو ان
	4	Kwangari	كوانجارى
2		n/vsan	نجوسان
3		/Aua	ايـو
	1	/Auni	اينى
	2	Kikusi	إيكيوسى
	3	Kakia	كاكيا
4		Khomani	كهومانى
	1	Khomani	كهومانى
	2	//n ke	انجيكى
5		Kalahari	كالاهارى
6		(Others)	أخرى ؟
	1	Namib	ناميب
	2	Nossab	نوسوب
	3	(Kattea كاتيا) Limpopa	ليمبوبو
	4	Zimbabwe	زمبابوى

A B 7

5	Natal	ناتال
6	Burhmanland	بوشمانلاند
7	Hadza	هادزا
	Hottentot (١٥)	الهوتنتوت
1	Khoi	مجموعة كهوى
1	Nama	ناما
1	(Namakwa ناموكوا) Naman	نامان
2	Kakuya	كاكويا
3	Heikom	هيكوم
4	Saan	سآن
2	Ikorana	إكورانا
3	Grikwa	جريكوا
2	Nhauru	مجموعة نهايورو
1	Nhaurun	نهايوريون
3	Kwe	مجموعة كوى
1	Demisa	دميسا
1	Demisane	دميسان
2	Tshumakwe Shuakwe	تشيوماكوى-شيراكوى
1	Tshumakwe	تشيوماكوى
2	Shuakwe	شيواكوى
4	Tshu	مجموعة تشو
1	Hiotshuarie	هيوتشيووايو
1	Hiotshuari	هيوتشيوارى

A H 7			
	2	Haitshuwau	هايتشيوايو
	1	Haitshuari	هايتشيوارى
	5	Korana	كورانا
	6	Namaca	ناماكا
	7	Scattered group	المجموعة المتناثرة
	1	Haratin	الحراثون
	2	Dawuada (Duwwud)	الدواوودا
	3	Sandawe	السانداوى
	4	Nyaturu	نياتورو
	5	Tatogo	تاتوجو
	6	Koyk	كوييك
A P		(١٦)Pygmy (Negrilla)	الأقــزام
	1	Binga (Babeny-Babinga-yadinga)	بينجا
	1	Beku	بكو
	2	Bonga (Balanga)	بونجا
	3	Jelli (Boyaeli-Bayele)	جللى
	4	Koa (Akoa-Bakoa	كوا
	5	Kola (Bakola)	كولا
	6	Koba (Bakouya)	كويا
	7	Rimba (Barimba)	ريمبا
	8	Yaga (Bayaka)	ياجا

A P

	English	Arabic
2	Central Twa	تـوا الوسط
3	Gesera (Bagesera)	جيسيرا
4	Mbuti (Bambuti-Wambuti)	مبوتى
1	Akka	أكا
2	Bakanga	باكانجا
3	Batwa	باتوا
4	Efe	إيفى
B	Bantu	البانتو
E	Eastern Bantu	بانتو الشرق
1	Nontheast Coas - al Bantu	بانتـو السـاحل الشمال الشرقى(١٧)
1	Zigula cluster	مجموعة زيجيولا
1	Bondei	بوندبى
2	Kwere	كويرى
3	Luguru	ليوجيوريو
4	Nguru	نجيوريو
5	Zigula	زيجيولا
2	Nika Cluster	مجموعة نيكا
1	Digo	ديجو
2	Duruma	ديوريوما
3	Giryama	جيرياما
4	Gosha	جوشا
5	Pokomo	بوكومو
6	Shebelle	شيبيلى

B E 1

3		Swahili cluster	مجموعة سواحلى
		Bajun	باچيون
		Commorians	القمريون
		Hadinu	هاديمو
		Pemba	پمبا
		Segeju	سيجيچيو
		Zaramo	زارامو
2		Kenya High land B.	بانتو مرتفعات كينيا[١٨]
	1	Chaga	شاجا
	2	Kamba	كامبا
	3	Kikuyu	كيكويو
	4	Kipsgis	كيسيجى
	5	Maru	ميرو
	6	Pare	پارى
	7	Shambala	شامبالا
	8	Teita	تيتا
3		Tanganyika Bantu	بانتـــو تنجانيقا
	1	Rift cluster	مجموعة الأخدود
	1	Gogo	جرجو
	2	Iramba	إيرامبا

B E

	3	Mbugwe مبيوجوى
	4	Rangi رانجى
	5	Turu تيوريو
2		Ntamwazi Cluster مجموعة نياموزى
	1	Bende بندى
	2	Kimbu كيمبيو
	3	Konango كونونجو
	4	Nyamezi نياموزى
	5	Sukuma سيوكيوما
	6	Sumbwa سيومبوا
3		Rukwa Cluster مجموعة ريوكوا
	1	Fipa فيپا
	2	Iwa إيوا
	3	Lambya لامبيا
	4	Pimbwe پيمبوى
	5	Safwa سافوا
4		Rufiji Cluster مجموعة ريوفيچى
	1	Bena بينا
	2	Hehe هيهى
	3	Matumbi ماتيومبى

B E 4

4	Mbunga	مبونجا
5	Ndaba	نداما
6	Pogora	پوجورو
7	Sagara	ساجارا
8	Sangu	سانجيو
5	Nyasa Cluster	مجموعة نياسا
1	Kinga	كينجا
2	Kisi	كيسى
3	Matenga	ماتينجو
4	Nyakyusa	نياكيوسا

B W		Western Bantu	بانتو الغرب
1		(٢٠) Northwestern Bantu	بانتو الشمال الغربى
1		Northen cluster	المجموعة الشمالية
	1	Bubi	بيوبى
	2	Duala	ديوالا
	3	Koko	كوكو
	4	Kossi	كوسى
	5	Kpe	كبى
	6	Kundu	كيونديو
	7	Ngumba	نجيومبا
	8	Puku	پيوكيو
	9	Seke	سيكى
2		Southern Cluster	المجموعة الجنوبية
	1	Duma	ديوما
	2	Lumbo	ليومبو
	3	Mpongwe	مبونجوى
	4	Ovimbundu	أوڤيمبوندو
	5	Rotse	روتسى
	6	Shogo	شوجو
	7	Teke	تيكى
2 0		(٢١) Equatorial Bantu	بانتو الاستوائية
	1	Amba	أمبا
	2	Babwa	بابوا

B W 2 0

3	Bangi	بانجی
4	Bati	باتی
5	Binza	بینزا
6	Bira	بیرا
7	Bomitaba	بومیتابا
8	Budja	بیودجا
9	Budu	بیودیو
1 0	Dzem	دزیم
1 1	Fang	فانج
1 2	Kaka	کاکا
1 3	Kalai	کالای
1 4	Koto	کوتا
1 5	Kumu	کیومیو
1 6	Lengala	لینجولا
1 7	Lika	لیکا
1 8	Lokele	لوکیلی
1 9	Maka	ماکا
2 0	Mbesa	مبیسا
2 1	Mituku	میتیوکیو
2 2	Ndaka	نداکا
2 3	Ndoko	ندوکو
2 4	Ngala	نجالا
2 5	Nyari	نیاری

Code	No.	English	Arabic
B W 2 0			
	2 6	Pande	باندى
	2 7	Poto	بوتو
	2 8	Rega	ريجا
	2 9	Sanga	سانجا
	3 0	Soko	سوكو
	3 1	Songola	سونجولا
	3 2	Topoke	توبوكى
B L		Interlacustrine Bantu	بانتو البحيرات
1		Ruanda Cluster	مجموعة ريواندا
	1	Bashi	باشى
	2	Chiga	شيجا
	3	Ha	ها
	4	Hunde	هيوندى
	5	Konjo	كونجو
	6	Nkole	نكولى
	7	Ruanda	ريواندا
	8	Rundi	ريوندى
2		Uganda Cluster	مجموعة يوجاندا
	1	Ganda	جاندا
	2	Haya	هايا
	3	Kerewe	كيريوى
	4	Nyora	نيورو
	5	Soga	سوجا

B L			
	6	Toro	تورو
	7	Zinza	زينزا
	3	East Nyanza Cluster	مجموعة شرق نيانزا
	1	Gisu	جيسيو
	2	Gusii	جيوسيى
	3	Kara	كارا
	4	Shashi	شاشى
	5	Songa	سونجو
	6	Wanga	وانجا
B C		Central Bantu	بانتو الوسط
	1	Kongo Cluster	مجموعة الكونجو
	1	Kongo	كونجو
	2	Kunyi	كيونيى
	3	Sundi	سوندى
	4	Vili	ڤيليى
	5	Yombe	يومبى
	2	Kimbundu Cluster	مجموعة كيمبيونديو
	1	Hola	هولو
	2	Kimbundu	كيمبيونديو
	3	KIrama	كيساما
	4	Lupola	ليوپولو
	5	Mbangala	مبانچالا
	6	Sele	سيلى

B C

3	Kwango Cluster	مجموعة كوانجو
1	Kwese	كويسى
2	Luwa	ليووا
3	Mbala	مبالا
4	Ngongo	نجونجو
5	Pende	پندى
6	Suku	سيوكيو
7	Yaka	ياكا
4	Kasai Cluster	مجموعة كاساى
1	Bunda	بيوندا
2	Dzing	دزينج
3	Kuba	كيوبا
4	Lele	ليلى
5	Sakata	ساكاتا
6	Yanzi	يانزى
5	Lunda Cluster	مجموعة ليوندا
1	Chokwe	شوكوى
2	Luchazi	ليوشازى
3	Luimbe	ليويمبى
4	Luvale	ليوڤالى
5	Mbunda	مبيوندا
6	Mbwela	مبويلا
7	Ndembu	ندبمبيو
8	Songo	سونجو

	Bemba Cluster	مجموعة بيمبا
B C 6		
1	Auski	أيوشى
2	Bemba	بمبا
3	Bisa	بيسا
4	Buye	بيويى
5	Holoholo	هولوهولو
6	Kaonde	كاوندى
7	Lala	لا لا
8	Lamba	لامبا
9	Luapula	ليوابيولا
1 0	Lungu	ليونجيو
1 1	Senga	سينجا
1 2	Shila	شيلا
1 3	Tabwa	تابوا
1 4	Unga	يونجا
7	Maravi Cluster	مجموعة مارافى
1	Chewa	شوا
2	Chuaba	شيوابو
3	Kunda	كيوندا
4	Nsenga	نسينجا
5	Nyanja	نيانچا
6	Nyasa	نياسا
7	Sena	سينا
8	Tumbuka	تيومبيوكا

B C 7

	9	Zimba	زيمبا
8		Yao Cluster	مجموعة ياو
	1	Lomwe	لوموى
	2	Makonde	ماكوندى
	3	Makua	ماكيوا
	4	Mwera	مويرا
	5	Ngindo	نجيندو
	6	Yao	ياو
9		(٢٤) Mango Cluster	مجموعة مونجو
	1	Bosaka	بوساكا
	2	Ikonde	إكوندا
	3	Kela	كيلا
	4	Kutshu	كيوتشو
	5	Mbole	مبولى
	6	Mongo	مونجو
	7	Ngandu	نجانديو
	8	Ngombe	نجومبى
	9	Nkundo	نكيوندو
	1 0	Songomeno	سونجو منو
	1 1	Tetela	تتيلا
1 0		Luba Cluster	مجموعة ليوبا
	1	Luba	ليوبا
	2	Lulua	ليوليوا

B C			
	3	Lunda	ليوندا
	4	Mbagani	مباجانى
	5	Songe	سونجى
	6	Yeke	ييكى
B S		Southern Bantu	بانتو الجنوب
1		Middle Zamberi (٢٥)	وسط الزمبيرى
	1	Ila	إيلا
	2	Koba	كوبا
	3	Lenje	لينيجى
	4	Lozi	لوزى
	5	Lukolwe	ليوكولوى
	6	Mashasha	ماشاشا
	7	Mashi	ماشى
	8	Mbukushu	مبيوكيوشيو
	9	Nkoya	نكويا
	1 0	Subia	سيوبيا
	1 1	Tonga	تونجا
	1 2	Totela	توتيلا
2		Southwest (٢٦)	الجنوب الغربى
	1	Ambo	أمبو
	2	Hereo	هيريرو
	3	Kwangare	كوانجارى
	4	Mbundu	مبيونديو

B S 2

		5	Ndombe	ندومبى
		6	Ngonyelu	نجونيليو
		7	Ngumbi	نجيومبى
		8	Nyaneka	نيانكا
3			(٢٧) Shona, Thonga	شونا، ثونجا
	1		Shona Cluster	مجموعة شونا
		1	Karanga	كارنجا
		2	Korekore	كوريكورى
		3	Manyika	مانييكا
		4	Ndau	ندايو
		5	Tawara	تاوارا
		6	Zezuru	زيزورو
	2		Thonga Cluster	مجموعة ثونجا
		1	Chopi	شوبى
		2	Hlengwe	هلينجيوى
		3	Ronga	رونجا
		4	Thonga	ثونجا
4			(٢٨) Nguni	نجيونى
	1		Nguni Cluster	مجموعة نجيونى
		1	Pondo	پوندو
		2	Swazi	سوازى
		3	Tembu	تمبيو
		4	Xosa	اكسوزا
		5	Zulu	زولو

B S 4 2	Ndebele Cluster	مجموعة نديبيلى
1	Laka	لاكا
2	Manala	مانالا
3	Ndebele	نديبيلى
3	Ngoni Cluster	مجموعة نجونى
1	Gomani	جومانى
2	Magwangara	ماجوانجارا
3	Mambera	مومبيرا
4	Mpezeni	مبيزينى
5	(٢٩) Satho	سوثو
1	Hurutshe	هيوريوتش
2	Kgalagadi	كجالاجادى
3	Kgatla	كجاتلا
4	Kwena	كوينا
5	Lovedu	لوڤيديو
6	Ngwaketse	نجواكينسى
7	Ngwato	نجواتو
8	Pedi	پدى
9	Rolong	رولونج
1 0	Sotho	سوثو
1 1	Tawana	تاوانا
1 2	Tlhaping	تلهاپينج
1 3	Tloharu	تلهاريو
1 4	Tlokwa	تلوكوا
1 5	Venda	ڤيندا

C	Caucasaid	القوقازانيون
A	Arabs[٣١]	العرب
0 1	Algerians	الجزائريون
2	Arad	أراد
3	Bahariya	بحرية
4	Berabish	برابيش
5	Chaamba	شأمبا
6	Cyrenaicans	البرقيون
7	Dakhla	داخلة
8	Delim	دليم
9	Dui-Menia	ديو - منينا
1 0	Egyptions	المصريون
1 1	Fezzan	فزان
1 2	Gafsa	قفصة
1 3	Gil	جيل
1 4	Hamama	حامامة
1 5	Hamyan	حاميان
1 6	Homran	حُمران
1 7	Imragen	ايمراجن
1 8	Jebala	چبالا
1 9	Jerid	چويد
2 0	Kharga	خارجة
2 1	Kufra	كفرة
2 2	Kunta	كنتا

C A 0

2 3	Laguat	لاجوات
2 4	Maaza	معازة
2 5	Moraccans	المغاربة
	Nail	نايل
2 6	Rashaida	الرشايدة
2 7	Regeibat	رجيبات
2 8	Riyad	رياض
2 9	Ruarha	ريوارها
3 0	Saadi	سعادى
3 1	Sanusi	سَنوسى
3 2	Sahel	ساحل
3 3	Sidi	سيدى
3 4	Sirticans	السيرتيون
3 5	Soliman	سليمان
3 6	Suafa	سوافا
3 7	Tajakat	تاچاكات
3 8	Trarza	ترارزا
3 9	Tripolitanians	الطرابلسيون
4 0	Tunisians	التونيسيون
4 1	Yahi	ياهى
4 2	Zenaga	زانجا
4 3	Ziban	زيبان

C B	Baggara [٣٢]	البقارة
1	Batahin	بطاحين
2	Bederia	بديرية
3	Dekakire	دكاكير
4	Fertit	فرتيت
5	Fezara	فزارة
6	Gaaliin	جعليين
7	Gimma	الجمع
8	Habbania	هبانية
9	Hamar	الحمر
1 0	Hassania	الحسانية
1 1	Hawazma	حوازمة
1 2	Hemat	همات
1 3	Homar	حُمر
1 4	Kababish	كابابيش
1 5	Kerarish	كواريش
1 6	Mahamid	محاميد
1 7	Messiria	مسيرته
1 8	Rufaa	رفاعة
1 9	Ruzikat	رزيقات
2 0	Selim	سليم
2 1	Shaikia	شايقية
2 2	Shukria	شكرية
2 3	Shuwa	شوأ
2 4	Tungur	تونجور

C C			Cushites (٣٣)	الكوشيون
	1		Burungi	بورونج
	2		Goraa	جوروا
	3		Iragw	ابراجى
	4		Mbugu	مبيوجيو
C E			Ethiopians	الاثيوبيون
	1		Semitic	الساميون
	1		Amhara	أمهرا
	2		Gurage	جوراج
	3		Harari	هراريون
	4		Tigrinya	تيجرينيون
	2		Hametic (Eastern	الحاميون (شرقيون
	1		Afar	عفر
	2		Beja (٣٤)	بچا
		1	Ababda	عبابدة
		2	Amarar	أمارأر
		3	Amer	عامر
		4	Bisharin	بشارية
		5	Bogo	بوجو
		6	Habab	هاباب
		7	Hadendawa	هاندوة
	3		Danakil	دناكل
	4		Esa	عيسى
	5		Galla (Oromo (٣٥)	جالا (أورومو

C E 2

1	Arusi	عروسی
2	Baraetta	باراريتا
3	Boran	بوران
4	Ittu	ایتیو
5	Macha	ماشا
6	Rendile	ريندیل
7	Tulama	تولاما
8	Wallage	والاجا
9	Wallo	والو
6	Kemant	كيمانت
7	Saha	ساهو
8	(٣٦)Sidama	سیدامو
1	Bako	باكو
2	Gibe	جیبی
3	Gimira	جيميرا
4	Janjero	چانچیرو
5	Kafa	كافا
6	Maji	ماچی
7	Ometo	أوميتو
9	(٣٧) Somali	الصومال
1	Daroud	دارود
2	Dejil	دیچیل
3	Deir	دیر

C E 2 9

4	Geri	جيرى
5	Hawiya	هاويا
6	Ishaak	اسحق
7	Mijertein	ميچييرتين
8	Ogaden	أوجادين
9	Rahanwin	رهانوين
1 0	Sab	سابا

C H		Northern Hametic	الحاميون الشماليون
1		Berbers	البربر
	1	Atta	أتتا
	2	Beraber	برابر
	3	Drawa	دراوا
	4	Duaish	ديوايش
	5	Figig	فيجيج
	6	Filala	فيلالا
	7	Gadames	جادامس
	8	Guanche	جوانش
	9	Jala	جالو
	1 0	Jarba	چربة
	1 1	Jofra	چوفرا
	1 2	Kabyle	كابيلى
	1 3	Matmata	ماتماتا
	1 4	Menasser	ميناصير
	1 5	Mzal	مزاب
	1 6	Nefusa	نفوسة
	1 7	Rif	ريف
	1 8	Shawia	شاويا
	1 9	Shluk	شلوه
	2 0	Siwa	سيوه
	2 1	Tasumsa	تاسومسا
	2 2	Tekna	تيكنا

C H 1		
2 3	Tuareg	طوارق
2 4	Tuat	توات
2 5	Vdalan	يودالان
2 6	Vregu	يوريجو
2 7	Warain	واراين
2 8	Wargala	وارجالا
2 9	Zekara	زيكارا

2	Tuareg[٣٩]	الطوارق
1	Ahaggeren	أحجار
2	Antessar	أنتصار
3	Asben	أسبين
4	Aulliminden	أيوليميندن
5	Azjer	أزچير
6	Ifora	ايفورا
7	Udalan	يودالان
C U	Europians	الأوربيون
1	British	بريطانيون
2	Frensh	فرنسيون
3	Spain	أسبان
4	Portogies	برتغاليون
5	Italians	إيطاليون
6	Belg	بلچيك

C U		
7	Greek	يونانيون
8	(Others)	آخرون
C A	Asiatics (S.C.India	الأسيويون (شبة القارة الهندية)
1	Indians	هنود
2	Pakistanians	باكستانيون
3	Bangladeshians	بانجلاديشيون
4	Srilankanians	سيريلانكيون
5	Nepallians	نيباليون
6	Bhutannians	بهوتانيون
C X	Mixed	مخلطون
1	Africaners	أفريكانرز
2	Colored	ملونون
N	Congaid	الزنوج
T	True Negro	الزنوج الحقيقيون
1	Sudanic Agriculture	نطاق الزراعة الأفريقية
1	Nuclear Mande(٤٠)	الماندى الخلص
1	Bambara	بامبارا
2	Bozo	بوزو
3	Dialonke	ديالونكى
4	Kagaro	كاجوربو
5	Kasonke	كاسونكى
6	Konyanke	كونيانكى

N T 1 1

7	Koranko	كوارنكو
8	Malinke	مالينكى
9	Nano	نونو
1 0	Soninke	سونينكى
1 1	Susu	سيوسيو
1 2	Yalunka	ياليونكا
2	Valtaic Peoples (٤١)	أهالى الفولتا
1	Senufo Cluster	مجموعة سنوفو
1	Guin	جيرين
2	Karaboro	كارابورو
3	Komono	كومونو
4	Minianka	مينيانكا
5	Nafana	نانانا
6	Senufa	سنيوفو
7	Wara	وارا
2 2	Habe Cluster	مجموعة هابى
1	Babo	بوبو
2	Deforo	ديفورو
3	Dogon	دوجون
2 3	Labi Cluster	مجموعة لوبى
1	Dian	ديان

N T 1 2 3

2	Dorosie	دوروسى
3	Kulango	كولانجو
4	Lobi	لوبى
5	Tusyan	تيوسيان
2 4	Grusi Cluster	مجموعة جروسى
1	Builsa	بيويلسا
2	Dagari	داجارى
3	Degha	ديجها
4	Grunski	جرونشى
5	Lilse	ليلسى
6	Nunuma	نيونيوما
7	Vagala	ڤاجالا
2 5	Mole Cluster	مجموعة مولى
1	Birifar	بيريفور
2	Dagomba	داجومبا
3	Gurensi	جيورينسى
4	Mamprusi	مامبروسى
5	Mossi	موسى
6	Naudeba	ناءوديبا
7	Wala	والا

N T 1 2 6	Gurma Cluster مجموعة جيورما
1	Basari باسارى
2	Gurma جيورما
3	Konkomba كونكوبا
4	Moba موبا
2 7	Tem Cluster مجموعة تيم
1	Kabre كابرى
2	Tem تيم
8	Bargu Cluster مجموعة بارجيو
1	Bargu بارجيو
2	Kilinga كيلينجا
3	Somba سومبا
9	Intrusive Peoples ناس مقحومين
1	Busa بيوسا
2	Busansi بيوسانسى
3	Chakossi شاكوسى
4	Dafi دافى
5	Diula ديبولا
6	Gan جان
7	Ligbi ليجبى

Code	Language	Arabic
N T 1 2 9		
8	Samo	سامو
9	Sia	سيا
1 0	Tienga	تينجا
1 3 0	Plataou Ningeriar [1]	نيجيريو الهضبة
1	Bantoid Peorles	اشباه البانتو
1	Afusare	أفوساري
2	Basa	باسا
3	Batu	باتيو
4	Birom	بيروم
5	Borrom	بروم
6	Butawa	بيوتاوا
7	Chawai	شاواي
8	Dakakari	داكاكاري
9	Galim	جاليم
1 0	Gure	جيوري
1 1	Jarawa	چاراوا
1 2	Jerawa	چيراوا
1 3	Jibu	چيبيو
1 4	Jukun	چيوكيون
1 5	Kadara	كادارا
1 6	Kamberi	كامبري
1 7	Kamuku	كاميوكيو
1 8	Katab	كاتاب

N T 1 3 0

1 9	Kentu	كينتو
2 0	Kurama	كيراما
2 1	Mada	مادا
2 2	Mama	ماما
2 3	Mambila	مامبيلا
2 4	Mbula	مبيولا
2 5	Ndoro	ندورو
2 6	Reshe	ريشى
2 7	Tigon	تيجون
2 8	Tiv	تيف
2 9	Yergum	يرجيوم
3 0	Yeskwa	يسكوا
3 1	Zuande	زيواندى
3 2	Zumper	زيومبر
1	Chadic Peaples	التشاديون
1	Angas	أنجاس
2	Bachama	باشاما
3	Bata	باتا
4	Bura	بيورا
5	Dera	درا
6	Gerawa	جراوا
7	Gisiga	جيسيجا
8	Gude	جيودى

NT 131

	9	Gwandara	جواندارا
	10	Hona	هونا
	11	Kapsiki	كابسيكى
	12	Margi	مارجى
	13	Matakam	ماتاكام
	14	Podokwo	بودوكوا
	15	Tangale	تاناجالى
	16	Tuburi	تيوبيورى
	17	Wakura	واكيورا
	18	Warjawa	وارجاوا
	19	Wurkum	ويوركيوم
2		Eastern Nigritic Peoples	ناس شرق نيجيريا
	1	Chamba	شامبا
	2	Daka	داكا
	3	Jen	جيين
	4	Kam	كام
	5	Longuda	لونجيودا
	6	Mumuye	ميوميوى
	7	Vere	ڤيرى
	8	Yungur	ييونجيور
	9	Kwa Peaples	ناس كوا
	10	Gbari	جبارى
	11	Koro	كورو

N T 2

Saharan Negroes زنوج نطاق الصحراء

1 Berti برتى

2 Bideyat بيديات

3 Bulgeda بولجيدا

4 Daza دازا

5 Kawar كاوار

6 Kreda كريدا

7 Teda تيدا

8 Zaghawa زاغاوة

N T 3 Yam Belt Agricuture نطاق زراعة اليام(٤٤)

1 (٤٥) Kru Mande كريو، ماندى

1 Kru Tribes قبائل كرو

1 Bakwe باكوى

2 Bassa باسا

3 Bete بيتى

4 Dida ديدا

5 Grebo جريبو

6 Kran كران

7 Kru كريو

8 Sapo سابو

9 Wobe ووبى

2 Atlentic T. قبائل الأطلنطى

1 Bulom بيرلوم

N T 3 1

2		Gola	جولا
3		Kissi	كيسى
4		Limba	ليمبا
5		Sherbro	شيربرو
6		Temne	تيمنى
3		Mande T.	قبائل الماندى
1		Dan	دان
2		Gagu	جاجيو
3		Gbande	جاباندى
4		Guro	جيورو
5		Kono	كونو
6		Kpelle	كبيلى
7		Loko	لوكو
8		Mende	مندى
9		Ngere	نجيرى
1 0		Toma	توما
1 1		Vai	ڤاى
2		Senegambians(٤٦)	السنجامبيون
1		Baga	باجا
2		Balante	بالانتى
3		Banyun	بانييون
4		Biafada	بيافادا
5		Byago	بيچورجو

N T 3 2

6		Diola	ديولا
7		Landum	لانديوم
8		Nalu	ناليو
9		Pepel	بيپيل
1 0		Serer	سيرير
1 1		Tenda	تيندا
1 2		Wolof	ولوف
3		(٤٧) Twi	التيوى
1		Ewe Cluster	مجموعة إيوى
	1	Adangme	ادانجمى
	2	Ewe	ايوى
	3	Fon	فون
	4	Ga	جا
	5	Gun	جيون
	6	Popo	پوپو
2		C. Togo C.	مجموعة توجو الوسطى
	1	Adele	اديلى
	2	Akposo	اكپوسو
	3	Atyuti	اتيوتى
	4	Avatime	اڤاتيم
	5	Basila	باسيلا
	6	Buem	بيوم
	7	Kebu	كيبيو

8	Krachi	كراشى
9	Tribu	تريبيو
N T 3 3 3	Akan Cluster	مجموعة اكان
1	Akyem	اكيم
2	Anyi	انيى
3	Ashanti	اشانتى
4	Attie	اتيى
5	Baule	بايولى
6	Brong	برونج
7	Fanti	فانتى
8	Guang	جيوانج
4	Lagoon Cluster	مجموعة لاجون
1	Abe	ابى
2	Ajukru	اجيوكريو
3	Alagya	الاجيا
4	Ari	ارى
5	Assini	اسينى
6	Avikam	افيكام
7	Ebrie	ابرى
8	Mekybo	مكيبو
4	(٤٨) Sauthern Nigerians	النيجيريون الجنوبيون
1	Bantoid Cluster	اشباه البانتو
1	Anyang	انيانج

N T 3 4 1

	2	Baki	بوكى
	3	Ekoi	إيكوى
	4	Ibibio	ابيبيو
	5	Mbembe	ميمبى
	6	Ododopy	اوبوبو
	7	Orri	اورى
	8	Tako	ياكو
2		Idoma Cluster	مجموعة ايدوما
	1	Afo	افو
	2	Arago	اراجو
	3	Egede	ايجيدى
	4	Gili	جيلى
	5	Idoma	ايدوما
	6	Igala	ايجالا
	7	Iyala	ايالا
3		Nupe Cluster	مجموعة نيوبى
	1	Igbira	ايبيرا
	2	Nge	نجى
	3	Nupe	نيوبى
4		Central Cluster	المجموعة الوسطى
	1	Edo	اييدو
	2	Ibo	ايبو
	3	Ijaw	ايجاو

N T 3 4 4

	4	Isoko	ايسكو
	5	Itsekiri	ايتسكيرى
	6	Kukuruku	كوكوروكو
5		Yoruba Cluster	مجموعة يوروبا
	1	Ana	انا
	2	Bunu	بيونو
	3	Egba	ايجبا
	4	Ekiti	ايكيتى
	5	Ife	ايفى
	6	Ijebu	ايجبيو
	7	Yoruba	يوروبا
5		(٤٩) Cameroon Highlanders	مرتفعات الكاميرون
	1	Bamileke	باميلكى
	2	Fia	فييا
	3	Fungom	فيونجوم
	4	Fut	فيوث
	5	Kom	كوم
	6	Li	لى
	7	Mum	ميوم
	8	Ndob	ندوب

N T 3 5

9	Nen	نن
1 0	Nraw	نساو
1 1	Nsungli	نسينجلي
1 2	Tikar	تيكار
1 3	Widekum	ويديكوم
1 4	Wum	يوم
6	Eastern Nigritic Peoples (٥٠)	الزنوج الشرقيون
1	Adamawa Cluster	مجموعة اداماوا
1	Dama	داما
2	Dari	داري
3	Duru	دورو
4	Fali	فالي
5	Kepere	كيبري
6	Kotopo	كوتوبو
7	Laka	لاكا
8	Masa	ماسا
9	Mbere	مبيري
1 0	Mbum	مبيوم
1 1	Mundang	ميوندانج
1 2	Namshi	نامشي

N T 3 6 2

	Equatorial Cluster	الكتلة الاستوائية
1	Abarambo	ابارامبو
2	Azande	ازاندي
3	Babukur	بابوكور
4	Banda	باندا
5	Bangandu	بانجاندو
6	Banza	بانزا
7	Banziri	بانزيري
8	Baya	بايا
9	Bofi	بوفي
10	Bondjo	بوندجو
11	Bwaka	بواكا
12	Gobu	جوبو
13	Idio	إيديو
14	Ikasa	إيكاسا
15	Kare	كاري
16	Mandja	ماندجا
17	Mundu	موندو
18	Ndogo	ندوجو
19	Ngbandi	نجباندي
20	Nzakara	نزاكارا
21	Wute	ويوتي
22	Yakoma	ياكوما
23	Yangere	يانجيري

N T 3 7 — ناس السودان الأوسط Central Sudanic Peoples(٥١)

1		Sara Cluster	مجموعة سارا
	1	Gula	جيولا
	2	Kara	كارا
	3	Kreish	كريشى
	4	Nduka	نديوكا
	5	Ngama	نجاما
	6	Sara	سارا
2		Madi Cluster	مجموعة مادى
	1	Bongo	بونجو
	2	Lendu	ليندبو
	3	Logo	لوجو
	4	Lugbara	ليوجبارا
	5	Madi	مادى
	6	Mittu	ميتيو
	7	Moru	موريو
3		Mangbetu Cluster	مجموعة مانجبيتيو
	1	Badjo	بادجو
	2	Bangba	بانجا
	3	Lese	ليسى
	4	Makere	ماكيرى
	5	Mamvu	مامفيو
	6	Mangbetu	مانجبيتيو
	7	Mayogo	مايوجو

N T 3 7 3

8	Mbae	مباى
9	Medje	ميدچى
1 0	Ngbele	نجبيلى
1 1	Popai	پوپوى
1 2	Rumbi	ريومبى

N H			Half (Nilo) Hamits	زنوج حاميون
1			Northern Group	المجموعة الشمالية
	1		(٥٢)Bari Cluster	مجموعة بارى
		1	Bari	بارى
		2	Fajulu	فاچيوليو
		3	Kuku	كيوكيو
		4	Lotuko	لوتوكو
		5	Mondari	موندارى
2			Central Group	المجموعة الوسطى
	1		(٥٣)Karamojong Cluster	مجموعة كاراموچونج
		1	Jie	چيى
		2	Karemajong	كارمرچونج
		3	Tesa	تيسو
		4	Topotha	توپوثا
		5	Turkana	توركانا
N H 3			Southern Group	المجموعة الجنوبية
	1		(٥٤)Nandi Cluster	مجموعةناندى
		1	Keyu	كييو

N H 3			
	2	Kipsigi	كيبسيجى
	3	Nandi	ناندى
	4	Sabei	سابى
	5	Suk	سيوك
	6	Tatoga	تاتوجا
2		(٥٥)Masai Cluster	مجموعة ماساى
	1	Arusha	أروشا
	2	Masai	ماساى
	3	Samburu	سامبورو
N N		Nilotes	زنوج النيل
1		(٥٦) Beir Cluster	مجموعة بيير
	1	Didinga	ديدينجا
	2	Murle	ميورلى
	3	Nyangiya	نيانجييا
	4	Suri	سيورى
2		(٥٧) Dinka Cluster	مجموعة دينكا
	1	Dinka	دينكا
	2	Jur	جيور
	3	Nuer	نوير
	4	Padang	پادانج
	5	Pari	پارى

N N 2

3		Luo Cluster	مجموعة ليو
	1	Acholi	اتشولى
	2	Alur	الور
	3	Labwor	لابوور
	4	Lango	لانجو
	5	Luo	ليو
4		(٥٨) Prenilotes	المجموعة القديمة
	1	Anuok	أنواك
	2	Barea	باريا
	3	Berta	برتا
	4	Gule	جيولى
	5	Gumuz	جيوميوز
	6	Ingassana	انجاسانا
	7	Koma	كوما
	8	Kunama	كيوناما
	9	Mao	ماو
	1 0	Masongo	ماسونجو
	1 1	Meban	ميبان
	1 2	Shilluk	شلك

N	F		
		Fringe Negro (٥٩)	زنوج متناثرون
1		Darfur Province	إقليم دارفور
	1	Berti	برتى
	2	Dagu	داجو
	3	Fur	فور
	4	Kimr	كيمر
	5	Sila	سيلا
	6	Tama	تاما
2		Wadai Province	إقليم واداى
	1	Maba	مابا
	2	Masalit	ماساليت
	3	Merarit	مراريت
	4	Mimi	ميمى
	5	Mubi	ميوبى
	6	Rungo	ريونجا
3		Bagirmi Province	إقليم باجرمى
	1	Bagirmi	باجرمى
	2	Bua	بيوا
	3	Fanyan	فانيان
	4	Gaberi	جابرى
	5	Kenga	كينجا
	6	Kun	كيون
	7	Lisi	ليزى
	8	Musgu	ميوسجيو

N F 3

9	Sokoro	سوكورو
1 0	Somrai	سومراى
4	Bornu Province	إقليم بورنو
1	Auyokawa	ايوكاوا
2	Bede	بدى
3	Beriberi	بريبرى
4	Bolewa	بوليوا
5	Buduma	بودوما
6	kanemlu	كانيمليو
7	Kanuri	كانورى
8	Karkare	كاريكارى
9	Kotoko	كوتوكو
1 0	Koyam	كويام
1 1	Mandara	ماندارا
1 2	Manga	مانجا
1 3	Mober	موبر
1 4	Ngizim	نجيزيم
1 5	Tera	تيرا
5	Hausa Province	إقليم هوسا
1	Adarawa	اداراوا
2	Hausa	هوسا
3	Kurfei	كورفى
4	Maguzawa	ماجوزاوا
5	Mauri	مايورى

N F 5

		English	Arabic
	6	Tazarawa	تازاراوا
6		Songhai Province	إقليم السونجاى
	1	Dendi	دندى
	2	Songhai	سونجاى
	3	Zerma	زرما
7		(٦٠) Nuba Region	إقليم النوبا
	1	Katla	كاتلا
	2	Koalib	كواليب
	3	Tagali	تاجالى
	4	Talodi	تالودى
	5	Tumtum	تيومتيوم
	6	Temein	تميين
8		Nubian Region	إقليم النوبة
	1	Kunuz	الكنوز
	2	Auliquat	العليقات
	3	Fediedjh	الفدجة
	4	Sokot	السكوت
	5	Mahas	المحسس
	6	Danagla	الدناقلة
9		Western Ereteia	غرب إريتريا
	1	Barea	البريا
	2	Kunama	الكوناما

N F 1 0	Fulani (٦١)	الفولانى
1	Adamawa	اداماوا
2	Bauchi	بايوشى
3	Fouta Djalon	فوتاچالون
4	Fouta Toro	فوتاتورو
5	Kita	كيتا
6	Liptako	ليتاكو
7	Maslina	ماسينا
8	Senegal Valley	وادى السنغال
9	Sokoto	سوكوتو

M	Mongoloid	المنجوليون
M	Malagasy (٦٢)	الملاجاشيون
1	Western Coastal Planes	سهول الساحل الغربى
1	Antandroy	انتاندروى
2	Bara	بارا
3	Mahafaly	ماهافالى
4	Sakalava	ساكالافا
2	Eastern Coastal Plane	السهل الساحلى الشرقى
1	Antaisaka	انتايساكا
2	Betsimisaraka	بيتسيميساراكا
3	Inter Plateau	الهضبة الداخلية
1	Betsileo	بيتسيليو
2	Merina	ميرينا

M M 4	Eastern Sloops	حافة المنحدرات الشرقية
1	Sihanaka	سيهاناكا
2	Tanala	تانالا
3	Tsimihety	تسيميهيتى
I	Other Isles.	الجزر الأخرى
1	Comorians	القمريون
2	Others	غيرهم (٦٣)

هذا ولعل من الاستفسارات الهامة الداعية للتساؤل، هو تعدد وكثرة القبائل فى أفريقيا وأيضا فى القارات الأخرى - كلما قربنا من خط الإستواء، فهل هذا مرتبط بالمشاهدة الثابتة المماثلة عن الأنواع الإحيائية الأخرى (النباتات والحيوانات) ؟ لقد فسرت الظاهرة الأخيرة إلى حد ما - إيكولوجيا، ولكن التساول المطروح أنثروبولوچيا و إثنولوچيا، مازال يحتاج إلى تعليل، وأعتقد أن هذا الموضوع يحتاج إلى المزيد من البحث المتعمق، وهو مجال يمكن أن يعمل فيه شباب البحث العلمى المخلصين من الأفارقة.

هذا وقد أصبح معيار تقدم المجتمعات والدول والأمم ليس فى بريق العواصم وفخامة وضخامة المبانى والقدرة والسطوة العسكرية والحربية وليس أيضا فى ما يظهر من مظاهر الديمقراطية والشورى والمشاركة فى إتخاذ القرارات، ولكن المعيار الحقيقى يتجلى فى مستوى إستقرار وسعادة ورفاهية الإنسان الفرد والمجتمع، من خلال ما يحظى به من خدمات صحية وتعليمية وتموينية غذائية وتمويلية نقدية، تسمح له بفائض يكون له حرية توظيفه إقتصاديا فى عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية فهذا هو معيار وأساس الإنتماء القومى والوطنى الحقيقى.

فإذا ما تم هذا من خلال نظم إجتماعية قبلية، أو نظم إجتماعية حديثة حضرية، فمرحبا به فهو المطلوب والمأمول، وعليه فإن النظم القبلية إذا ما نجحت وحققت الإنتماء، تستحق التدعيم والتشجيع والمؤازرة، ومن هنا فإن معيار مقارنة نظم القبائل فى أفريقيا وفى غيرها؛ يجب ألا يتعدى هذه النقطة كثيراً ولكن هذا موضوع تفصيلى، يأتى مجاله ومكانه فى دراسة أخرى أكثر وأعمق وأدق تفصيلا، كما نأمل أن تتم قريبا.

خاتمة

هذا العمل، العلمى فى مجال الجغرافيا الانثروبواثنية، محاولة بالأرقام للوصول الى إيجاد علاقة ترابط بين السلالات والشعوب الأفريقية ...، "بسم الله الرحمن الرحيم" "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير". (قرآن كريم-سورةالحجرات-١٣). هذه الآية تدعو الى التعارف والتقارب والتآخى والتراحم بين كل البشر والأناسى على إختلاف ألوانهم (أعراقهم) وألسنتهم ومذاهبهم (ثقافاتهم)، وهذا هو الهدف من محاولة معرفة درجات القربى وأبعاد التشابهات والإختلافات بين سكان وأهالى القارة الأفريقية، والغرض من هذا خلق تجمعات أنثروبولوچية متقاربة الحضارات والثقافات كى يسود التفاهم بينها، هذا التفاهم الذى يعمل على إذابة المشكلات ووضع الحلول المناسبة المبنية على وحدة التعاون والتكامل أو الإتحاد، وليكن لنا فى الإتحاد الأوربى، ورغم التباين الحضارى والثقافى القديم والجارى بين شعوبها، خير مثال على إمكانية تحقيق هذا الأمل الممكن بين شعوب القارة الأفريقية.

هذا ويجدر ايراد الملاحظات التالية على التصنيف والترقيم المقترح:-

١ - التقسيم الموضح فى هذه الجداول الثلاثة تقسيم سلالى بالدرجة الأولى حتى وإن تضمن فى بعض الأحيان خاصة فى الجدول الثالث تقسيما قائما على بعض الأسس الثقافية كاللغة أو الحرفة والسلوك الاجتماعى أو غيرها، وذلك إتفاقا مع تقسيم جورج مردوك كما ذكرنا، وهو الذى إتخذ نمط الحياة الاقتصادية أساسا لتقسيم الجماعات القبلية.

٢ - وكان التقسيم الذى أخذنا به أهو الذى اعتمده مردوك، متخذا النشاط الاقتصادى والحرفة أساسا فى التفرقة بين الجماعات العرقية والسلالية فإذا كان التقسيم البيولوجى (السلالى) هو خط التقسيم الاول (الجدول

الأول) واذا كان التقسيم الثقافى واللغوى أساساً هو خط التقسيم الثانى (الجدول الثانى) فان نوع ونمط الحياة اليومية هو أساسا خط التقسيم الثالث (الجدول الثالث)، ويندرج تحت هذا الخط الأخير الفروق الفرعية من نوع محصول الزراعة بين القبائل الزراعية أو نوع حيوان المرعى بين القبائل الرعوية، فكل هذه الفروق روعيت وأدخلت فى الجدول الثالث بفروعه وأقسامه.

٣ - إتبع الباحث فى الترقيم نظاما مستحدثا مركبا من التصنيف المستعمل فى مكتبة الكونجرس الأمريكي LC C ونظام تصنيف ديوى العشرى DD C (21 ed.) مستخدما -الى حد كبير- ذات الرموز، مع المرونة فى إختيار أنسب الحروف الدالة.

٤ - يلاحظ المتعمق صاحب النظرة الفاحصة، أن تنوع التقسيمات السلالية والعرقية والقبلية تتفاوت درجة تفرعه وتعمقه من مجموعة عرقية الى أخرى، وربما داخل المجموعة السلالية الواحدة، لدرجة أنه يصل التقسيم أحيانا الى المستوى السادس وربما السابع (خاصة بين الزنوج الخلص فى غرب أفريقيا من أصحاب حضارة الزراعة سواء الأفريقية أو الأسيوية، بينما تضحل (من shallo) فى جماعات أخرى، والسبب يرجع الى المصادر المتاحة والتى إعتمدنا عليها لإنجاز هذا العمل فى وقت محدد لينشر فى وريقات محدودة، لذا فإن هذا العمل يتطلب فرصة أخرى كى تصدر له طبعة ثانية (تصنيف الكونجرس صدرت له أكثر من طبعة بينما صدرت لتصنيف ديوى واحد وعشرين طبعة حتى الآن).

٥ - تكاد تصل التغطية الى أكثر من ٩٥٪ من الجماعات القبلية لذا نقترح على من لايجد إسم قبيلة يبحث عنها، أن يبحث عن الاسم الشائع حيث يجدها تحته، هذا وكنا نأمل أن ننشر كشاف Index بالقبائل للاستدلال على سلالاتها ومجموعاتها الثقافية ولكن ضيق المكان بالاضافة الى

النمط الشكلى للمادة المنشورة ألا وهو المقال العلمى، لم يساعدا على ذلك.

٦ - لقد تم تناسى الحدود السياسية بين الدول الأفريقية، تناسيا كاملا بحيث كان توزيع المجموعات السلالية والتجمعات الثقافية والجماعات القبلية دون إعتبار للحدود السياسية التى هى غالبا ماتقسم وتفرق بين أقسام وبطون هذه المجموعات والتجمعات والجماعات فى كل أنحاء القارة، ولكن وعى الشعوب قلل من حدة المشكلة، كما أن واقعية النظرة الغالبة بين الحكومات ساعد على ذلك مما حدى بمنظمة الوحدة الأفريقية باقرار وضع الحدود السياسية الموروثة من المرحلة الإستعمارية.

٧ - لاشك أن القيمة النفعية البراجماتية لهذا التصنيف يعرفها من يبحث فى العلاقات الأنثروبولوجية العامة بين الجماعات العرقية، سواء العلاقات الثقافية أو الإيكولوجية أو الإجتماعية بشكل عام، وهى التى تهدف الى التركيز على جوانب التشابه والتماثل والتكامل بين الجماعات القبلية المختلفة، وذلك حتى يسهل الوصول الى نقاط التلاقى تلك التى تيسر حل المشكلات التى قد تظهر بين الدول المختلفة اذ أنها فى إجمالها يبدؤها الانسان ولايحلها إلا الإنسان.

كانت الظروف العرقية والثقافية المعقدة فى أفريقيا بأعتبارهاالأكثر تعقيدا فى العالم، محل إهتمام ونظر أمامنا عند إعداد هذا التصنيف وقد تم تخير التجمعات الثقافية المجمعة للجماعات القبلية وتسميتها على أساس الاهتمامات الحالية السياسية والإقتصادية والثقافية فى القارة ومدى أهميتها الجارية.

وقد أختلف الباحثون الأكاديميون فى وضع طريقة لكتابة الأسماء وفى تحديد المجموعات العرقية وتحديد التجمعات الثقافية وتحديد المجموعات اللغوية وتحديد علاقات النسب بل وفى كثير من المظاهر الأخرى، فالمجموعات الموضحة

هنا يمكن بسهولة مهاجمتها ولكن من الصعب القيام بإعداد بديل لها، وذلك لانها أعدت بعنايه بعد الاطلاع على دراسات المعهد الأفريقى الدولى فى لندن خلال دراساته المنشورة بالانجليزية والفرنسية عن الدراسات المسحية الاثنولوجية.

The Ethnological Survey of the International African Institute.

وأيضا دراسة جورج بيتر مردوك G. P. Murdock وغيره من الأنثروبولوجيين وكذلك الخريطة المعنونه:-

The Times Map of the Tribes, Peoples and Nations of Modern Africa. Complied by Ray Lewis and Yvonne Foy.

Edinburgh, John Bartholomew & Son,

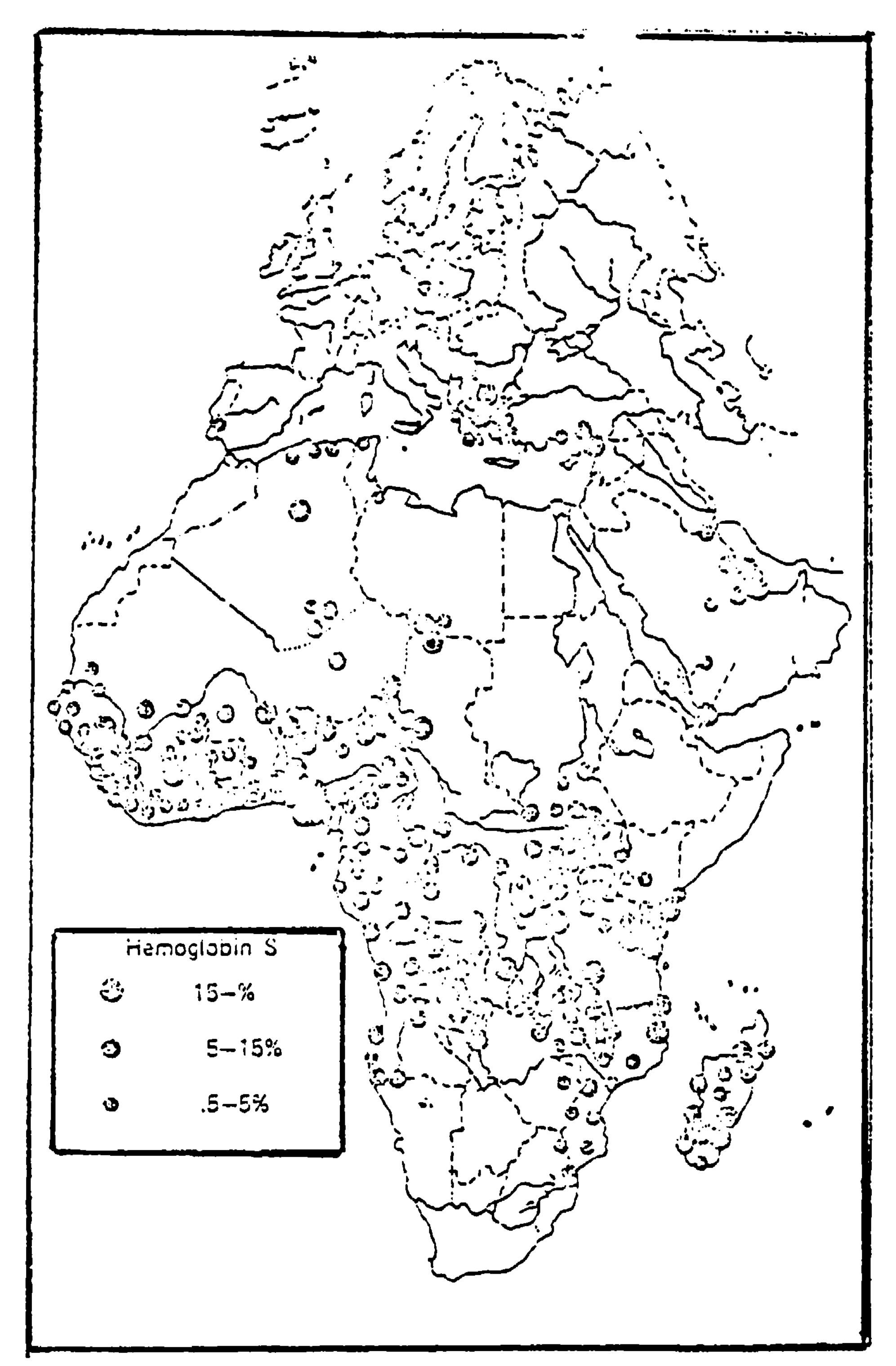
N.O. (ISBN 0 7230 0088 3)

وأيضا الخريطة المماثلة والمنشورة فى داخل الأطلس الذى نشرته أكاديمية العلوم بالإتحاد السوفيتى، معهد الأثنوجرافيا (ميكلوخ - ماكلاى) الادارة العليا للجيوديسيا والخرائط وزارة الجيولوجيا والحفاظ على الثروة الطبيعية، موسكو ١٩٦٠.

وخاتمة المقولات وأهم النتائج البرجماتية من هذه الدراسة، هو التدليل بالوقائع الإمبيريقية على تداخل التوزيع القبلى والعشائرى فى كل أرجاء القارة الأفريقية، تداخلها فى وبين أكثر من وحدة سياسية، مما أصبحت معه ظاهرة جغرافية وأنثروبولوجية ودولية عرفت فى العالم أجمع عن أفريقيا، أفريقيا الأرض والإنسان، وأفريقيا الجغرافيا والأنثروبولوجيا والسياسة والقانون، مما يضحد أية دعاوى، قد تدعيها أحيانا ولأسباب خاصة بعض الأنظمة والحكومات الأفريقية بعضها ضد البعض، ويحفل التاريخ الأفريقى الحديث والمعاصر والجارى بل وسيحفل التاريخ المستقبلى بمثل هذه الدعاوى، التى تدعى الحق فى الأرض استنادا الى حركة موسمية أنثروبولوجية.

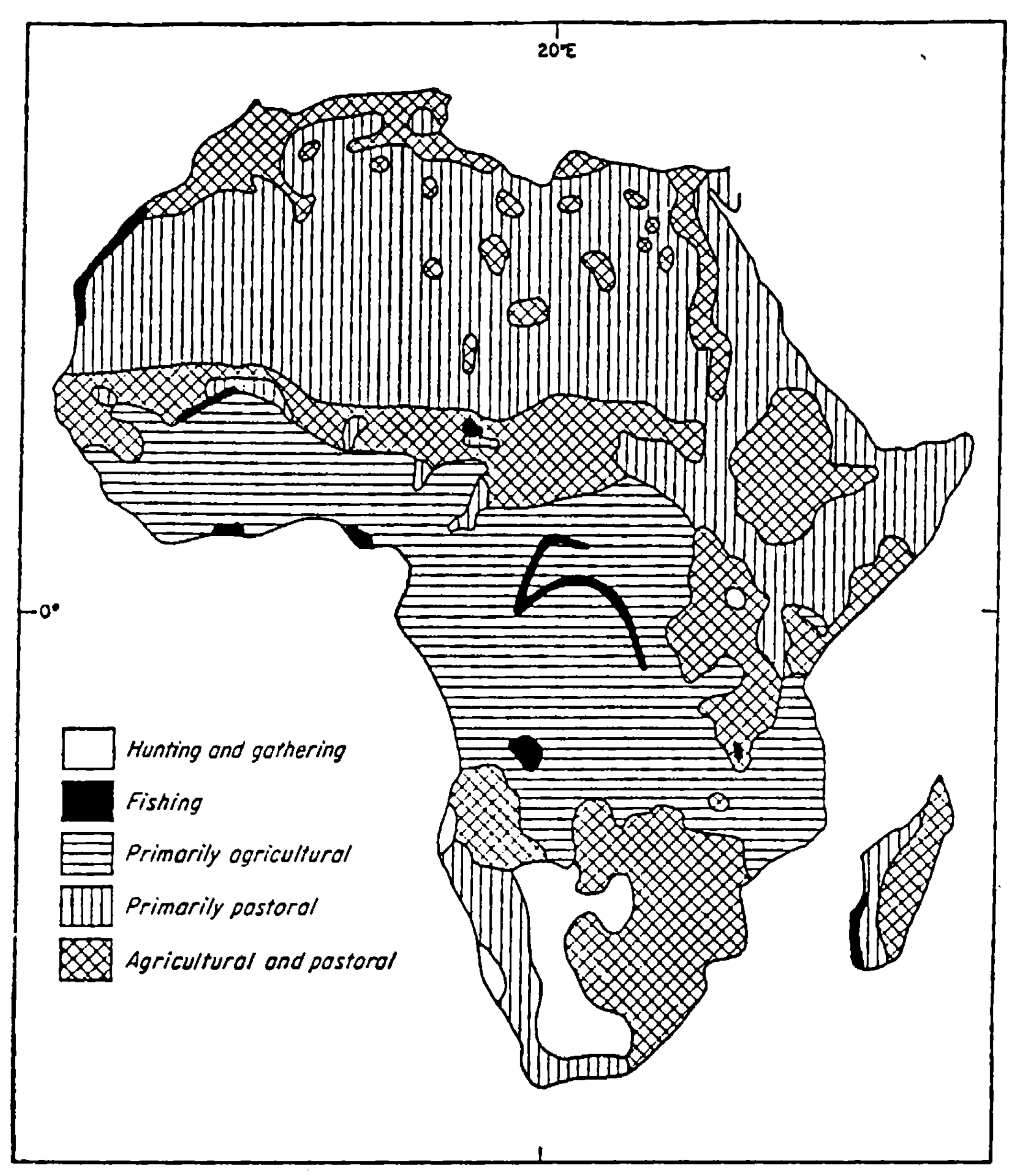
ولما كـان الإنسـان الأفـريقى فى الأغلب الأعم يتـصف بأن أحـواله الأنثروبولوجية حدية السمات، حيث أن أقتصاده مثقل بالديون وأعباء خدماتها كما أن بيئة معيشته ملوثة وموبوءة ومجتمعاته مثقلة بأنواع وصنوف التخلف، التخلف البشرى التقليدية من تزايد معدلات الأمية بأنواعها وتدنى مستوى الدخل القومى والفردى، وبه أعلى معدلات تزايد السكان، وأعلى معدلات الوفيات خاصة بين الأطفال (وهذا يعكس الحالة السيئة للخدمات الطبية) وأدنى نصيب للفرد من الخدمات الأساسية (لاحظ التذبذب الشديد والمتكرر بين الأعلى والأدنى وان كانت كلها سلبيات مظلمة ظالمة للإنسان) وهذه هى سمات ثقافة الفقر.

فـأين المفر، إنه يتركز فى زيادة الوعى الإنسـانى، وعى الإنسـان بالإنسانية وفى التطبيق بأن يعاود الإنسان الأفريقى ثقته فى ذاته وفى ثقافته التقليدية مهما كانت بسيطة، ولاتبهره ثقافة الآخرين وتفقده الوعى، وعليه أن يتعلم بهدوء وبإستمرار وبعمق، وأن يعمل على إعادة توازنه وثقته في قدراته الإنسانية وموارد قارته الكبيرة، وأن يستثمرها ولعل فى نماذج مجتمعات جنوب شرق آسيا خير دليل، فمن هنا نبدأ، إعادة بناء الإنسان الأفريقى رغم تباين سلالاته وثقافاته ونظمه وأنساقه الاجتماعية، وأن يستمر ويتدعم التعاون بين الشعوب والقبائل فى سلام.



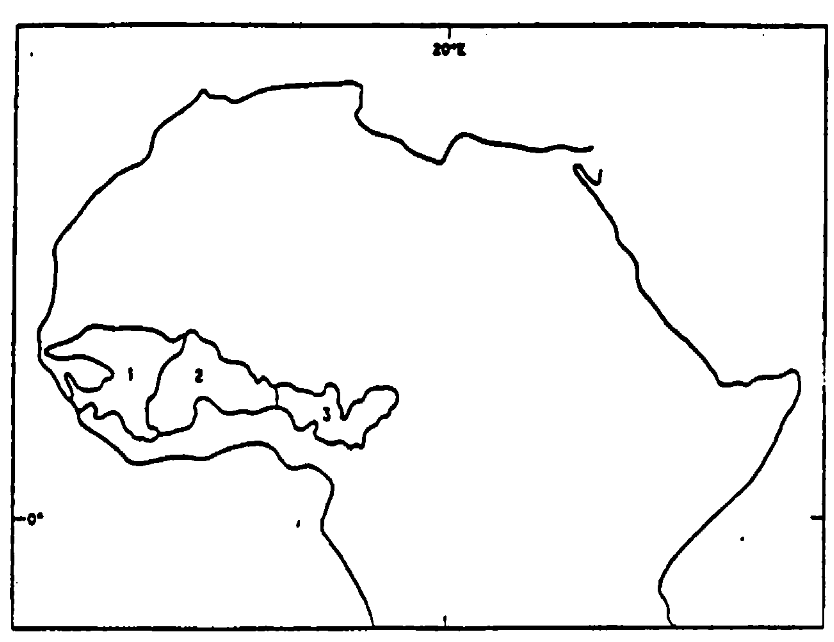
Percentage incidence of individuals with hemoglobin S in the populations of Africa, Europe, and Southwest Asia.

توزيع الخلية المنجلية فى أفريقيا



Distribution of Types of Subsistence Economy (عن مردوك)

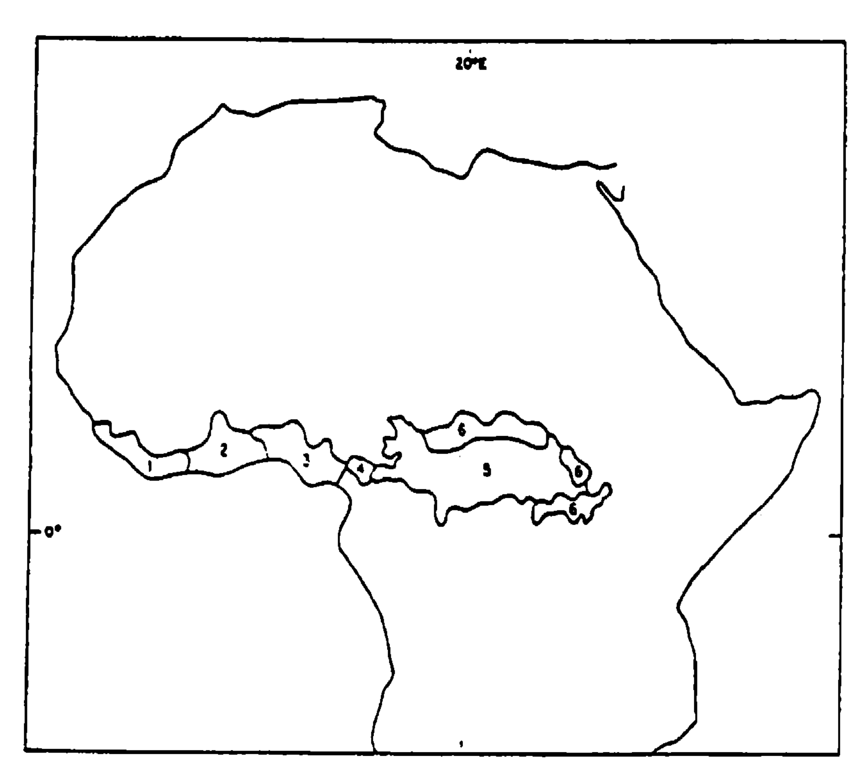
توزيع اقتصاد المعيشة



. Culture Provinces of the Western Sudan (1—Nuclear Mande, 2—Voltaic peoples, 3—Plateau Nigerians)

مجموعات قبائل السودان الغربى

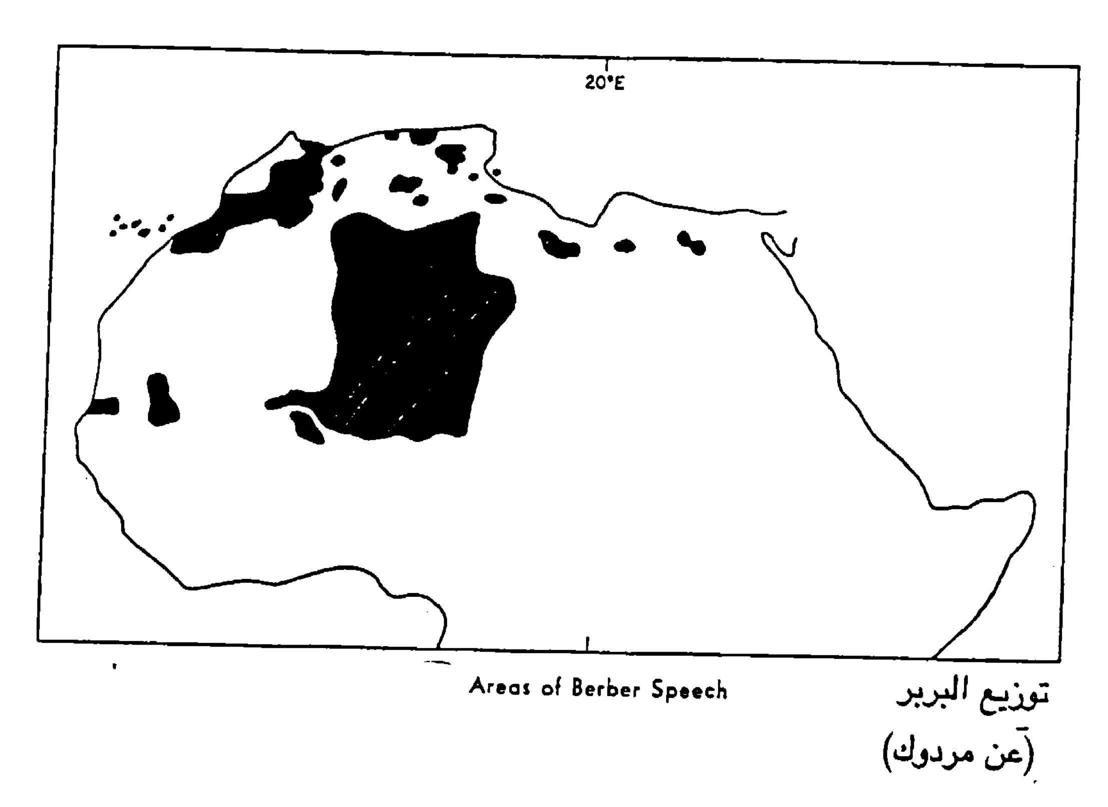
(عن مردوك)



Culture Provinces of the Yam Belt (1—Kru and Peripheral Mande, 2—Twi, 3—Southern Nigerians, 4—Cameroon Highlanders, 5—Eastern Nigritic Peoples, 6—Central Sudanic Peoples) →

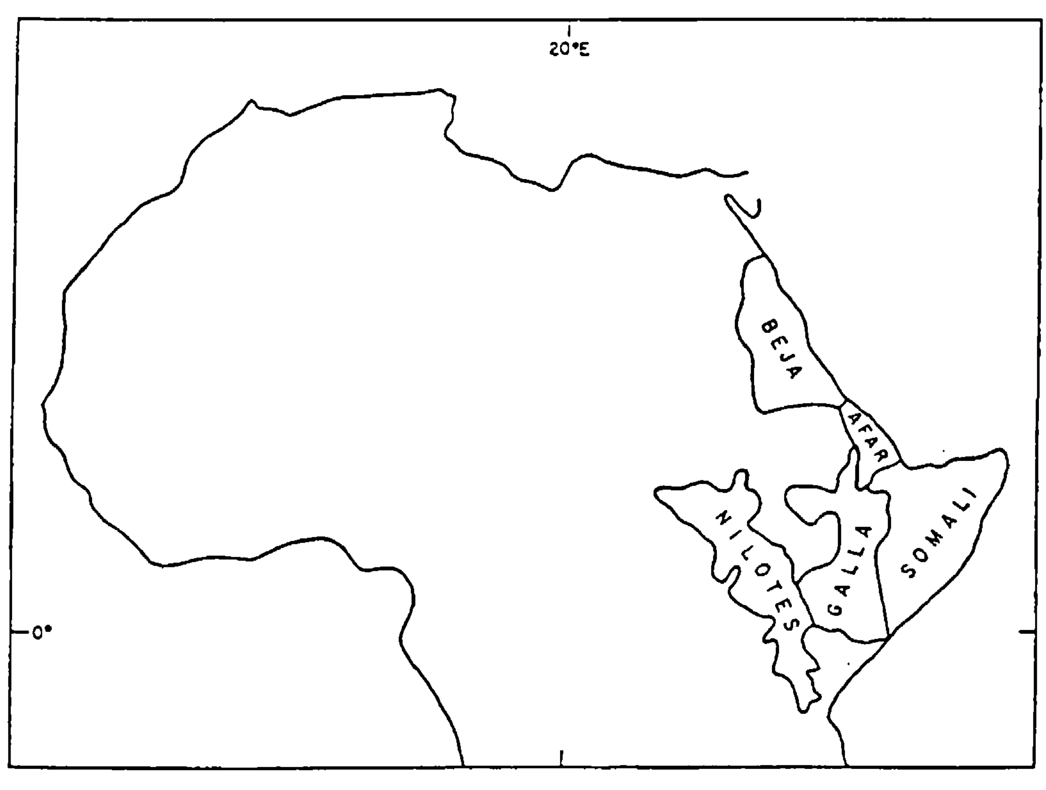
مجموعات قبائل نطاق اليام

(عن مردوك)



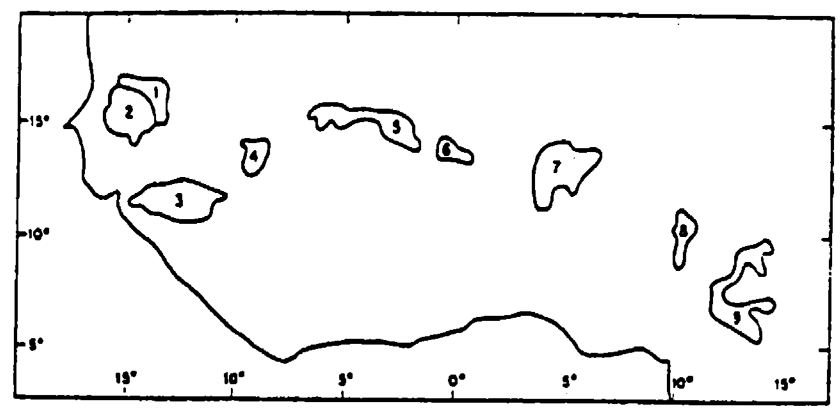
Areas of Berber Speech

توزيع البربر
(عن مردوك)



East African Pastoralists

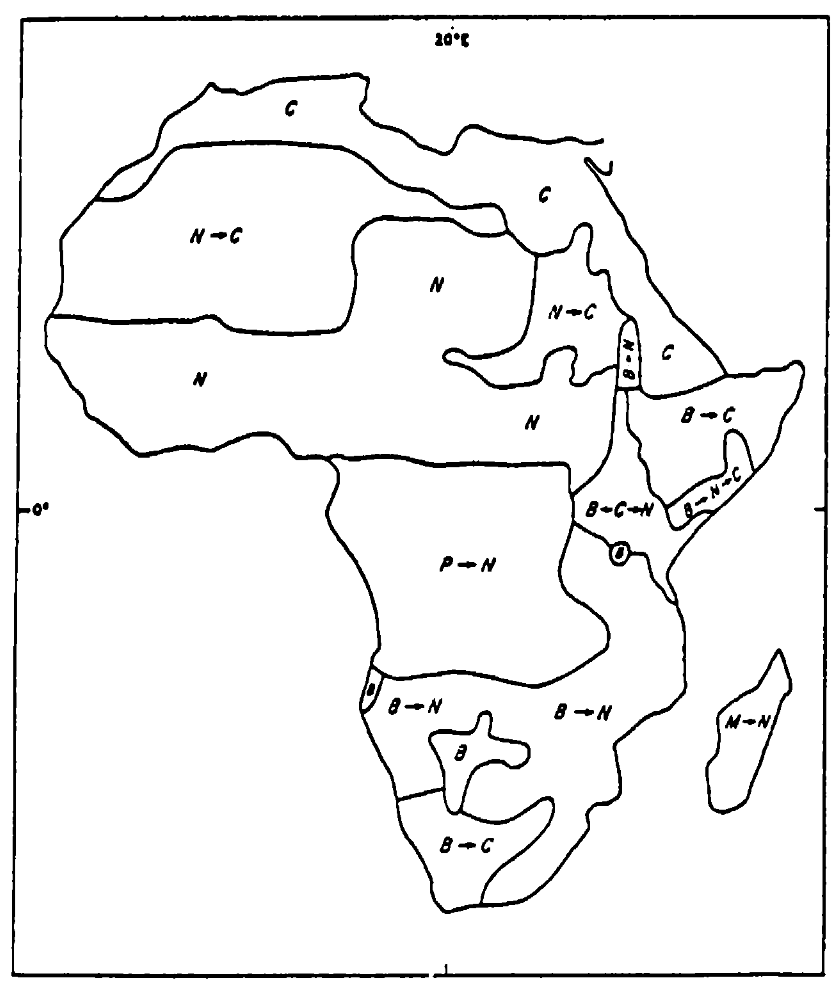
رعاة شرق القارة
(عن مردوك)



. Major Concentrations of Fulani (1—Senegal Valley, 2—Fouta Toro, 3—Fouta Djalon, 4—Kita, 5—Masina, 6—Liptako, 7—Sokoto, 8—Bauchi, 9—Adamawa)

توزيع الفولانى

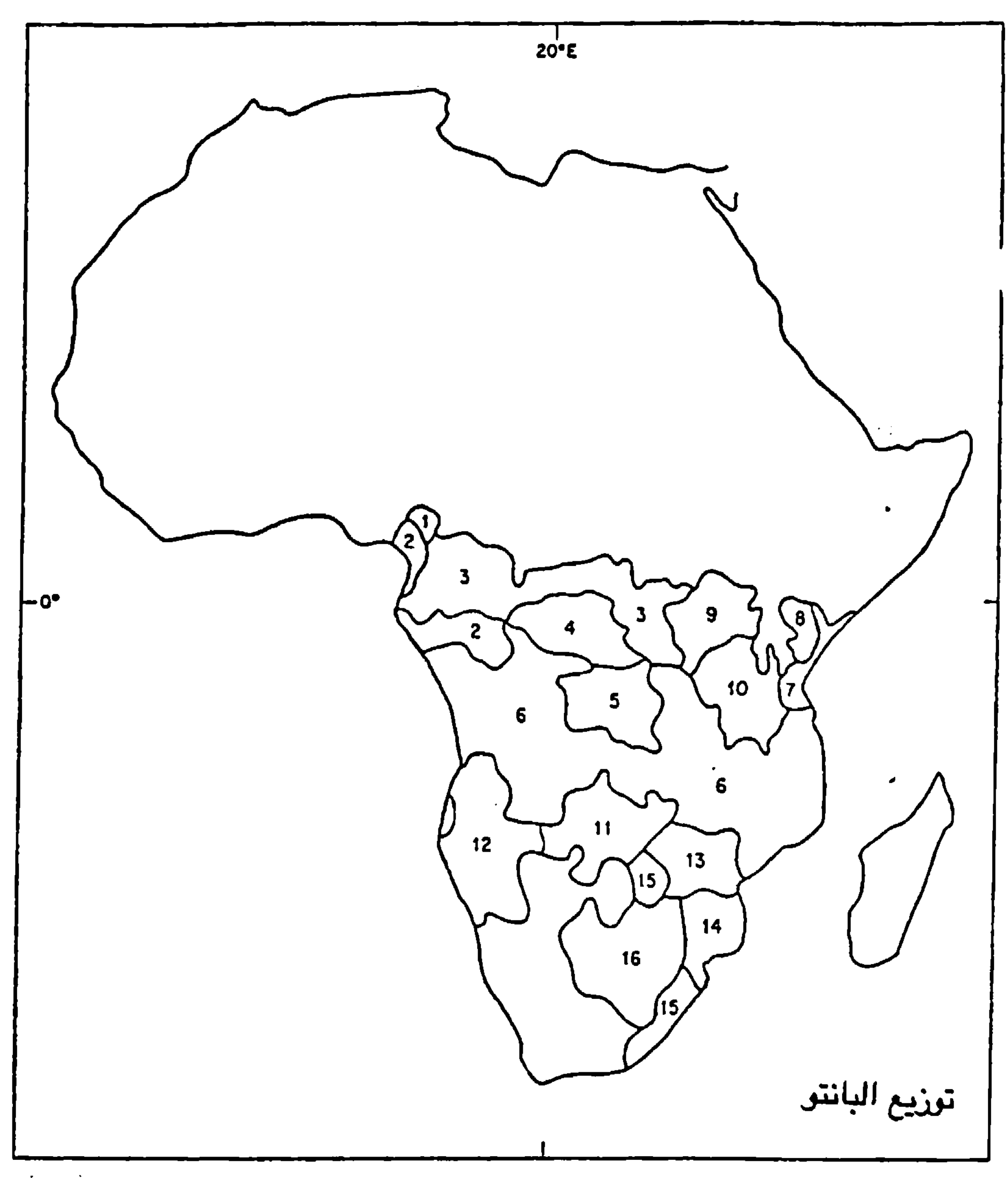
(عن مردوك)



Distribution of Races in Africa (B—Bushmanoid, C—Caucasoid, M—Mongoloid, N—Negroid, P—Pygmoid, → Displaced by)

تتابع توزيع سلالات أمريقيا

(عن مردوك)



Culture Provinces of Bantu Africa (1–Cameroon Highlanders, 2–Northwestern Bantu, 3–Equatorial Bantu, 4–Mongo, 5–Luba, 6–Central Bantu, 7–Northeast Coastal Bantu, 8–Kenya Highland Bantu, 9–Interlacustrine Bantu, 10–Tanganyika Bantu, 11–Middle Zambesi Bantu, 12–Southwestern Bantu, 13–Shona, 14–Thonga, 15–Nguni, 16–Sotho)

(عن مردوك)

الحواشى .

١ - فاروق عبد الجواد شويقة: مقدمة فى الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية. القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٤،ص٢٨

٢ - فاروق عبد الجواد شويقة: أفريقيا وحوض النيل.ط٢.القاهرة، دار روتابرنت، ١٩٨٦، ص٧٦

٣ - راجع بحث حضارات انسان ماقبل التاريخ فى افريقيا (بالاشتراك) فى مجلد الجغرافيا من هذة الموسوعة.

٤ - فاروق عبد الجواد شويقة: الجغرافيا الانثروبولوجية. القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٨٨، ص١٠

٥ - وهى: الكيبوانية Capoid -القوقازية Caucasoid -الزنوج Congoid المنجولية Mongaloid الاستراليون Australoid.

(Coon, C.S.; The Origin of Races. London, Johathan Cape,1963)

٦ - راجع: فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية. مجلة الدراسات الأفريقية، ع٦، ١٩٧٧،ص١١١-٢٠٨

٧ - راجع: فاروق عبد الجواد شويقة: الأقزام الأفريقيون. مجلة الدراسات الأفريقية،ع٥ . ١٩٧٦،ص١٠١

٨ - محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الأفريقية. القاهرة، الدراسات المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٥، ص ٢٥.

(9) Piddington, R. : Ah Introduction to social anthropology. 2 nd. ed, Edinburgy, Oliver & Boyed, 1963, P. 34.

(10) Sergi, G. The Mediterranean Race; a study of the Origin of european peoples. London, 1901, p. 237

(١١) يمكن الرجوع لها فى المصادر المتخصصة مثل :

فاروق عبد الجواد شويقة : الأنثروبومتريا. القاهرة، مكتبة النهضة العربية، ١٩٨١.

(١٢) محمد عوض : مصدر سابق، ص ٢٤

(13) Murdock, G.P. : Africa; its peoples and their culture history. New york, Mgraw Hill, 1959.

(١٤) فاروق عبد الجواد شويقة: المجموعة الكيبوانية؛ دراسة فى الأنثروبولوجيا الجغرافية. **مجلة الدراسات الأفريقية**: العدد السادس، ١٩٧٧، ص ١١-٢٠٨

(١٥) التقسيم طبقا للغات واللهجات (المصدر السابق)

(١٦) فاروق عبد الجواد شويقة: الأقزام الأفريقيون. **مجلة الدراسات الأفريقية**. العدد الخامس، ١٩٧٦، ص ١-١٠١

(17) Murdock, G.P.: Africa, p. 306-313

(18) Ibid, p. 342-347

(19) Ibid, p.357-364

(20) Muradock, G.P.: Cit., p. 271-278

(21) Ibid, p. 278-284

(22) Murdack, P.G., op. cit, p. 347-357

(23) Murdack, P.G., op. cit, p. 290-306

(24) Ibid,p. 284-290

(25) Murdock, P.G., oP. cit, P. 364-369

(26) Ibid, P. 369-374

(27) Ibid, p. 374-380

(28) Murdack, P.G., op. cit, p.380-385

(29) Ibid, p. 386 -388

(٣٠) لايوجد عرب خلص، إذ أن الجميع قد إختلط بدرجة ما، منذ دخوله القارة بالأهالى الأصليين، لذا فهذا الإسم يستعمل للدلالة على ن يعرف اللغة العربية الى درجة ما، هنا فى أفريقيا.

(31) Murdack. P.G., op. cit, p. 392-405

(32) Murdack, P.G., op. cit, p. 410-412

(33) Murdack, P.G., op. cit, p. 193-196

(34) Murdack, P.G., op. cit, p. 314-318

(35) Ibid, p. 323-327

(36) Murdack, P.G., op. cit, p. 187-192

(37) Ibid, p. 318-323

(38) Murdack, P.G., op. cit, p. 111-124

(39) Murdack, P.G., op. cit, p. 405-409

(40) Murdack, P.G., op. cit, p. 64-77

(41) Ibid, p. 77-88

(42) Murdack, P.G., op. cit, p. 89-100

(43) Murdack, P.G., op. cit, p. 124-133

(٤٤) اليام Yam من المحاصيل الأسيوية (الأندونيسية) الوافدة على القارة الأفريقية.

(45) Murdack, P.G., op. cit, p.259-264

(46) Ibid, p. 265-270

(47) Ibid, p. 252-259

(48) Ibid, p. 242-251

(49) Ibid, p. 238-242

(50) Ibid, p. 230-238

(51) Ibid, p. 222-230

(52) Murdack, P.G., op. cit, p. 330

(53) Loc. Cit.

(54) Ibid, p. 331

(55) Loc. Cit

(56) Murdack, P.G., op. cit, p. 328

(57) Ibid, p. 329

(58) Ibid, p. 170-180

(59) Murdack, P.G., op. cit, p. 133-148

(60) Murdack, P.G., op. cit, p. 164-169

(61) Murdack, P.G., op. cit, p. 413

(62) Murdack, P.G., op. cit, p. 212-221

(٦٣) خاصة موريتيوس Mauritius ، ريونيون Reunion

ببليوجرافية مختارة

1 - Briggs, L.C.: Tribes of the Sahara. Cambridge Mass., Harvard Univ Press. 1960.

2 - Coon, C.S.: The Races of Europe. 3 rd . New York, American Co. 1945

3 - Douglas Mary & Kaberry : Phylbis M. (eds.): Man in Africa. London, Travistok Publication. 1969.

٤ - فاروق عبد الجواد شويقة : الأقزام الأفريقيون، دراسة إثنواكلوجية. **مجلة الدراسات الأفريقية**، ١٩٧٦، ص ١-١٠١

٥ - ——————— : المجموعة الكيبوانية الأفريقية، **مجلة الدراسات الأفريقية** ٦، ١٩٧٧، ص١١١-٢٠٨

٦ - ——————— : الواتو تسى، عمالقة أفريقيا، دراسة إثنوسسيوبيولوجية، **مجلة الدراسات الأفريقية**، ع ٧، ١٩٧٨، ص٦٥-١٢٨

٧ - ——————— : دراسات إيكولوجية فى أفريقيا وحوض النيل ط ٢، أ ٢، القاهرة، دار روتابرنت، ١٩٨١.

8 - Grove, A.T. :Africa South of the Sahara. 2 nd. ed. London, Oxford Univ. Press, 1970.

9 - Molnar, Stehen; Human Variation ; races, types, and ethrnic groups, Englewood Cliffs, N J., Prentice Halls 1992.

10 - Murdock, G.P. : Africa; Its Peoples and Their Culture History. New York, McGraw Hill, 1959.

11 - Sergi. G. : The Mediterranean Race; a study of the origin of the european people. London, Scott, 1901.

الجزء السادس

مساهمة معهد الدراسات الأفريقية
فى مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية
فى مصر الحاضر والمستقبل

أ.د. فاروق عبد الجواد شويقة
إستاذ الأنثروبولجيا الطبيعية الإيكولوجية
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
جامعة القاهرة

١٩٩٧

مقدمة

يعتبر البحث فى الأنثروبولوجيا الطبيعية من أعرق البحوث فى الأنثروبولوجيا العامة، إذ أنها تتناول دراسة البناء المادى للإنسان فهى تبحث فى تطور العائلة البشرية وكذا العوامل البيئية المؤثرة فى تطورها.

ونظرا لاتساع مجال دراسة الانثروبولوجيا الطبيعية فقد تعددت تخصصات علمائها، فبعضهم يهتم بمشكلات التطور البيولوجى وما يتصل به من عناصر وعوامل وراثية، والبعض الآخر يتخصص فى التشريح المقارن، وآخرون يدرسون السلالات البشرية من حيث الصفات الأنثروبومترية والأنثروبوسكوبية وتوزيعاتها الجغرافية وما يتصل بها من تأثيرات بيئية، كما أن هناك من يهتم بدراسة عصور ماقبل التاريخ.

لذلك كان إرتباط الانثروبولوجيا الطبيعية بمجالات علمية ومعرفية عديدة من الأمور الطبيعية بل والحتمية، فهى ذات صلة قوية بفروع العلوم الطبية الاساسية من تشريح وفسيولوجيا وكيمياء حيوية الى علوم طبية إكلينيكية خاصة الباثولوجيا والطب الشرعى، وأيضا بعلوم الجيولوجيا والجغرافيا والحيوان وغيرها كثير، وهى فى ذات الوقت تعطى نتائج بحوثها ودراستها الى علوم عدة خاصة التاريخ والاثار واللغات والاديان، ولسياسة والاقتصاد، والاجتماع، بل والى فروع الأنثروبولوجيا الاخرى، لذا قيل بحق أن دراسة الانثروبولوجيا العامة خاصة لمجتمعات العالم النامى أو عالم الجنوب ومنها أفريقيا لاتتم إلا إذا بدأت بدراسة كافية ووافية وشافية فى الانثروبولوجيا الطبيعية.

لذلك نجد أن المشتغلين فيها جاءوا من تخصصات علمية أصولية وأساسية عديدة ومتباينة، فكان منهم عالم الحيوان (فلير .Fleur, H.J) والطبيب (سليجمان .Seligman, CS) والجغرافى (.Butzer, K) بل ورجل الدين (دارون .Darwin, C) والفيلسوف (دى شاردان .De Chardin,P.T)

وغيرهم كثيرون فى الشرق والغرب، وقد حضر معظمهم الى مصر وأجروا فيها بعضا من دراساتهم كما إنطلقوا منها للبحث الميدانى فى أفريقيا وغيرها من قارات العالم، إذ أن مصر (الأرض والناس) تعد من أغنى البيئات عطاء وألهاما للبحوث الأنثروبولجية.(١).

دخول الانثروبولوجيا الطبيعية مصر

لما كانت الأنثروبولوجيا الطبيعية هى العلم الذى به يبدأ الإنسان معرفة نفسه، ومن هنا يبدأ فى معرفة الآخرين، والمعرفة والمعارف الأخرى، فالأنثروبولوجيا الطبيعية بذلك تمثل الشق المعملى والعلمى من العلوم والدراسات الأنثروبولوجيا التى تمثل من دونها، مجموعة علوم نظرية فكرية لاتجد إلا المعمل من سبيل، لذا كان حريا أن يزاولها أصحاب الدراسات والعلوم المعملية أكثر من غيرهم فكان أن اشتغل فيها وبها أطباء التشريح وكانت كلية طب قصر العينى منذ إنشائها كمدرسة (١٨٧٠) وتتابع مدرسيها ومديريها منذ كلوت بك وإهتمامهم بالعلوم الطبية والفنية المعاونة ومنها التشريح والفسيولوجيا والكيمياء وكذلك الطب الشرعى والباثولوجى وهى التى تعد الفروع الأساسية حاليا فى الأنثروبولجيا الطبيعية، كل هذا كان حافزا قويا كى يهتم مدرسوها وأساتذها بذلك التخصص الجديد، فكان أن عين إليوت سميث Elliot Smith عام ١٨٩٢ كأول إستاذ انجليزى للتشريح ومن بعده جورجى صبحى ثم أحمد محمد البطراوى وزغلول يونس مهران ومحمد فوزى جاب الله ومحمد قطب وغيرهم، كما قدم مجال الكيمياء الحيوية الاكلينيكية والهستولوجيا فكانت بحوث محمد أحمد سليمان وابراهيم ابو النجا الجزار وعبد الفتاح محمد طيرة وغيرهم ممن كانوا على صلة وعلاقة بنشاط معهد الدراسات السودانية (الأفريقية حاليا).

وكان منذ إنشاء قسم طب الاسنان بمدرسة قصر العينى (١٩١٧) أن بدء الإهتمام بالدراسات الطبية والفنية الأساسية للفم والأسنان، وكان أن ظهرت مجموعة من الباحثين المهتمين بدراسة أنثروبولوجيا الأسنان فكان أن ظهرت مدرسة جديدة يتزعمها على عبد العزيز النفيلى وصحبه.

وكان معهد الدراسات السودانية (حاليا معهد البحوث والدراسات الأفريقية) متصلا بهذا التيار من مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية، وكان هذا بفضل الفكر المستنير الذى حمل لواءه محمد عوض محمد (منشئ المعهد) حيث أدخل تدريس الأنثروبولوجيا داخل إطار الجغرافيا، جريا مع الفكر البريطانى (فليــر .Fleur, H.J) وأتباعه فى مصر محمد متولى، عباس عمار وجمال حمدان ومحمد السيد غلاب.

والجدير بالذكر أن جرافتون إليوت سميث Grafton Elliot-Smith (١٨٧١-١٩٣٨) السابق ذكره لم يكن من أعلام الأنثروبولوجيا الطبيعية فقط بل وأيضا الثقافية فالى جانب مساهماته فى الدراسات الأنثروبومترية الخاصة بالعظام التى كانت تكتشف فى الحفائر الأثرية خاصة فى مصر أثناء عمله إستاذا للتشريح فى كلية طب قصر العينى، مما ساعده على نشر كتابه:

-Human History. London, Jonathan Cape, 1929.

-The Search for Man's Ancestors.London,Watts & Co. 1931.

فهو أيضا صاحب نظرية إنتشار الثقافة الإنسانية القائلة بأن الحضارة المصرية القديمة هى المنبع والمصدر الرئيسى لكل الحضارات العالمية، ليس فقط الأفريقية كما يقول أنتاديوب ولكن الى كل أنحاء العالم حتى جزر بولينيزيا .

ومع ذلك فأنه مما يثير الشجن والدهشة والإستفهام أنه هو الذى بدء فى نشر فتنة الرأى القائل بأن بناة الاهرام كانوا من بين أقوام عراض الرؤوس وفدوا الى مصر، وهو الرأى الذى فندته بعد ذلك الدراسات الأنثروبومترية

المتعمقة اللاحقة (فوزية حسين - على محب شعبان-عزة سرى الدين).

وكان دوجلاس درى Durry إستاذ التشريح (١٩٤٣) فى طب قصر العينى هو من سار على درب إليوت سميث من إهتمامه بالدراسات الأنثروبولوجية حيث كان يركز دائماً فى شرحه لدروسه، أن وقفة الانسان المنتصب قد تسببت فى تغيير شكل عظام الحوض، كما كان يجرى قياسات أنثروبومترية على عظام الجماجم وكان يعلم ويغرس فى تلاميذه حب البحث العلمى والإهتمام به(٢). وهو ذلك الباحث الذى قدم دراسات تحليلية دقيقة عن المخلفات البشرية التى عثر عليها فى جنوبى القارة الأفريقية.

وكان يوسف حسن الاعسر الإستاذ بكلية الطب قصر العينى وأيضا أحمد محمد البطراوى إستاذ التشريح فى ذات الكلية والذى كان معاونا لإليوت سميث أول رئيس لقسم التشريح فى كلية طب القصر العينى وصاحب البحوث الرائدة على المخلفات البشرية للنوبيين عندما شرع فى بناء سد أسوان فى نهاية القرن ١٩ وأوائل ق.٢٠(١٨٩٨-١٩٠٢) وأيضا عند إجراء التعلية الأولى عام ١٩١٢، وكان على هداه ماقام به أحمد البطراوى عند إجراء التعلية الثانية (١٩٣٣) حيث نشر المصدر الأساسى المعنون.

Report on the Human Remains. Cairo, 1935.

وجاء بعد هؤلاء جيل آخر تال، كان من البيولوجيين أيضا ومن الأطباء كذلك كان منهم زغلول يونس مهران وعلى عبد العزيز النفيلى ومحمد فوزى جاب الله وفوزية حسين حلمى وغيرهم، كان أهم مايميز هؤلاء هو إهتمامهم بدراسة التكوين التشريحى والفسيولوجى والباثولوجى للإنسان المصرى، سواء من الأحياء المعاصرين، أو من جثث الموتى وعظامهم وكانوا يكتفون بهذه الدراسة فقط.

لذلك لم يكن غريبا عليهم أن يعتبروا الجانب الطبيعى من الأنثروبولوجيا هو الجانب البيولوجى فقط، متناسين الأثر الكبير للبيئة الطبيعية والثقافية فى تكوين الإنسان، كما لم يهتموا كبير الإهتمام بالأثر الثقافى للإنسان على

المجتمع، هذا الجانب هو ما كان محل إهتمام الأنثروبولوجيين الطبيعيين، ممن كانوا متخصصين فى الجغرافيا أولا وبالتحديد حيث تخصصوا فى مجال الأنثرولوجيا الطبيعية الإيكولوجية كما سيأتى بيانه.

كما قدم أحمد البطراوى والذى كان أول من درس بالمعهد (فى العام الجامعى ١٩٤٩/٤٨) الأنثروبولوجيا الطبيعية مع زميله محمد أحمد سليمان إستاذ الطب الشرعى فى طب قصر العينى أيضا وهو الذى تولى تدريس مجموعات الدم وكل ما يتعلق بالجوانب غير العظيمة فى تكوين جسم الإنسان تاركا الهيكل العظمى للبطراوى، الذى قدم الكثير من البحوث والدراسات الأنثروبولوجية عن إنسان النوبة القديم والذى نشر بعد ذلك (١٩٥٨) كتاب: الجنس البشرى فى معرض الأحياء، القاهرة، مكتبة نهضة مصر (سلسلة الالف كتاب-الاولى-رقم ١٦٢).

وهناك مساهمة عبد الفتاح محمد طيرة الاستاذ فى طب القصر العينى فى مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية اذ نجده يهتم بموضوع خلق الإنسان وإستقراء وإستنباط الفكر الربانى من خلال النصوص القرآنية ومحاولة إفهام وإقناع من له قلب من البشر الى قدرة خلق الله للإنسان وذلك من خلال دراسة عمليات خلق الإنسان فى أطوار ثلاث هى: طور التمهيد، طور الحمل والتصوير الجنينى، ثم طور الوجود الأرضى، وقدم قام بدراسة الطور الاول فى كتاب عنوانه خلق الانسان، دراسة علمية قرانية الجزء الاول من سلالة من طين (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨، ايض، ٥٤٠ص) وقد تبعه بالجزء الثانى عام ١٩٩٦، قد أفلح من زكاها.

هذا ويعد الجزء الأول-هذا الكتاب الذى نشر من هذه السلسلة (١٩٩٦) بأبوابه الاربعة عشر وفصوله الخمسين من أشمل وأدق ماكتب باللغة العربية فى موضوع خلق الإنسان من المواد الأولية المكونة للارضى وعلاقته بالكائنات الحية الأخرى، وظهور السلالة من الطين وإنضاجها، وعلاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية

على تباين أشكالها.

أما الجزء الثانى الذى صدر قبل وفاة مؤلفه (يوم ١٥ فبراير ١٩٩٧) فيحوى ثمانية عشو بابا تتضمن ثمانية وخمسين فصلا تتضمن دراسة عميقة مختلطة لجسم ونفس وتكوين الإنسان وعلاقاتها بالإيمان والقرآن والأمراض والبيئة وغيرها من العناصر التى تشكل الإنسان.

وأما محمد فوزى جاب الله إستاذ ورئيس قسم التشريح فى كلية طب قصر العينى (١٩٩٤) فقد كان إمتدادا فى المعهد لمدرسة البطراوى حيث أعد رسالة بعنوان:-

An Anthropological Study of Egyptian in Ancient and in Recent Times. 1970.

كما تولى تدريس الأنثروبولوجيا الطبيعية فى المعهد مدة طويلة، كما أشرف على رسالة كاتب هذا المقال للدكتوراه، فكان نعم العالم النزية الصادق الأمين وقد شارك فى الإشراف أيضا وفى مناقشة كثير من الرسائل العلمية فى الأنثروبولجيا الطبيعية فى المعهد حيث يثرى ويعمق فكر المشتغلين فى المجال فى داخل وخارج المعهد، وهو بجدارة يمثل مَعْلَما واضحا فى المدرسة المصرية من خلال إسهاماته العلمية فى الجامعات المصرية والأفريقية (الليبية، والنيجيرية) وإسهاماته فى الجمعية الأنثروبولوجية البيولوجية المصرية وفى ماينشره من مقالات وبحوث خاصة كتابه المعنون: التطور وأصل الإنسان من منظور إسلامى (١٩٩٢).

الانثروبولوجيا الطبيعية فى المعهد:

صاحب إنشاء المعهد عام ١٩٤٧ الإهتمام بالدراسات الأنثروبولجية إذ كانت بداية الإهتمام بالأنثروبولجيا الطبيعية فى المعهد واضحة حيث تضمن مرسوم إنشاء المعهد تخصيص كرسى للجغرافيا والأنثروبولوجيا، فكان أول كرسى لها

فى الجامعات المصرية والعربية، رغم أن الإهتمام بها كان موجوداً فى مصر خلال تخصصات أخرى خاصة التشريح بكلية الطب كما سبق القول.

هذا وكان جل الإهتمام إن لم يكن كله، مركزاً فى الأنثروبولوجيا الطبيعية حيث كان يتولى تدريسها -كما سبق القول- إستاذين من كلية الطب (أحمد البطراوى ومحمد سليمان) مع محمد عوض محمد الذى كان مهتما بالجوانب الأنثروبولجية الإيكولوجية (ثقافات السلالات والشعوب الأفريقية وصفا وتحليلا).

وعندما إتسع مجال الدراسة بالمعهد (١٩٥٥) كى يغطى كل القارة الأفريقية إستمر الإهتمام بدراسة موضوع ثقافات السلالات والشعوب الأفريقية، كما إضيفت اليه دراسة الأمراض المتوطنة فى أفريقيا وهو موضوع أساسى للأنثروبولوجيا الطبيعية الفسيولوجية والباثولوجية(٣).

وعلية فإن المعهد كان من أوائل-إن لم يكن الأول فعلا- المؤسسات العلمية المصرية والعربية التى إهتمت بدراسة وبتدريس وبالبحث فى مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية بفروعها المختلفة من أنثروبولوجية إيكولوجية ومورفولوجية وباثولوجية وغيرها.

وكان نشاط وعلمية محمد عوض محمد ومدرسته الأنثروبولوجية ممثلة فى محمد رياض وكوثر عبد الرسول بالتحديد، أثره فى إمتداد الفكر الأنثروبولوجى لمدارس وسط أوربا والفكر الألمانى بالتحديد ذلك الفكر الذى حمل لواءه فردريك راتزل .Ratzel,F فكان أن حرص محمد عوض محمد على تزويد مكتبة المعهد فى سنوات إنشائه الاولى بأمهات المصادر الرئيسية فى الأنثروبولوجيا الطبيعية وكان منها الكتاب التالى:-

Mqrtin, Rudolf and Saller, Karl: Lehrbuch Der Anthropologie, in Systematischer darstellung mit besonderer beruchsich-tigung der anthropologirchen methoden.Stuttgart, Gustav Fischer Verlag, vol. 1957, vol. II, 1959.

وقد حاول كاتب هذه الدراسة عندما إطلع عام ١٩٧٩ فى مكتبة Haddon (أهم وأعرق مكتبة أنثروبولوجية فى بريطانيا فى جامعة كامبردج) على المجلد الثالث لهذا السفر القيم وهو الذى صدر عام ١٩٦٢ عن ذات الناشر، حاول تزويد مكتبة المعهد به، ولكن حالت- حتى الآن- الإجراءات البيروقراطية غير الواعية داخل وخارج المعهد دون تحقيق ذلك.

ويعد كتاب الشعوب والسلالات الأفريقية الذى ألفه محمد عوض محمد حتى الآن من المصادر الرئيسية فى مجال الأنثروبولجيا الأفريقية والأنثروبولجيا العامة لشعوب القارة الأفريقية حيث يعطى صورة عامة مختصرة لها، كما كانت فى الستينيات من هذا القرن العشرين.

وقد صدر الكتاب فى يونيو ١٩٦٥م عن الدار المصرية للتأليف والترجمة مماثلا للكتاب الاول فى سلسلة دراسات أفريقية وهو يتعدى الخمسين صفحة بعد الثلاثمائة، ورغم إعتماد الكتاب أساسا على كتاب Seligman, C.G:Races of Africa الا أن الكتاب قد تضمن خبرة وعلم المؤلف وقراءاته العديدة فى المجال، وقد ظهر ذلك بوضوح فى الجزء المخصص للبانتو، وأيضا فى الجزء المخصص للسلالات القوقازية وماتبعه من فصول حتى الفصل الأخير (السابع عشر) الخاص بموضوع سكان الصحراء.

أما كتاب السودان الشمالى، سكانه وقبائله وهو من تأليف محمد عوض محمد أيضا (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١م) فرغم أعتماده الرئيسى على كتاب Mac Michael. H.: A History of the Arabs in the sudan, 1922. الا أنه دعمه بدراسات أخرى كثيرة خاصة تلك التى نشرها ضباط الادارة المحلية البريطانيون الذين خدموا حكومة السودان، والذين نشروا أعمالهم (وهى بحق قيمة وان كانت تدخل حاليا فى مجال الأنثروبولجيا التاريخية) فى الدورية السودانية Sudan Notes & Records. (SNR) فى أعداد متتابعة منها.

هذا الكتاب يعد الكتاب الرئيسى لدراسة الشعوب والقبائل السودانية القاطنة شمال خط عرض ١٢ شمالا (خط الزنوج) فهذا الكتاب بذلك يغطى جزء هاما وكبيرا من التاريخ الأنثروبولوجى لمعظم سكان وأهالى سودان وادى النيل، تاركا القسم الجنوبى (الزنجى) لدراسات أخرى قيمة لعل من أهمها ما قام به Seligman فى كتابه Pagan Tribes of the Nilotic Sudan

فهذين الكتابين يعدان معلمين من المعالم الرئيسية فى الأنثروبولوجيا الأفريقية المكتوبة بالعربية فقد كانا شأنهما شأن كتب محمد عوض محمد الجغرافية الأخرى خاصة كتاب سكان هذا الكوكب وكتاب نهر النيل، من المصادر الكلاسيكية الهامة فى الجغرافية والأنثروبولوجيا الأفريقية.

أما محمد رياض أحمد رياض الذى كان معيدا بالمعهد (١٩٥١) فقد ابتعث للحصول على الدكتوراه من ڤيينا متتبعا خطوات محمد عوض محمد فى الاهتمام بدراسة الشعوب والقبائل الأفريقية فكان أن درس بعض قبائل شمال وجنوب السودان (المحس والشلك) وكان إنتاجه العلمى الكثير والقيم يزخر بالعديد من البحوث الأنثروبولجية رغم مواصلة عمله بعد تركه للمعهد (١٩٥٧) فى النطاق الجغرافى وذات القول يقال عن كوثر محمود عبد الرسول.

ويجب التنويه هنا بكتاب محمد رياض المعنون "الانسان: دراسة فى النوع والحضارة" الذى نشرته دار النهضة العربية فى بيروت عام ١٩٧٤م (ط٢) ليعد من أعمق وأشمل ما كتبه الجغرافيون فى مجال الأنثروبولجيا العامة والإثنولوجيا.

فهذا الكتاب الذى تتجاوز عدد صفحات الست مئة ينقسم الى قسمين كبيرين يسبقهما مدخل يدرس مفهوم وميدان الدراسات الأنثروبولجية وعلاقاتها بالعلوم الأخرى، أما القسم الأول فقد جاء فى خمسة فصول تدرس الموضوعات التالية: نوع السلالة وتطور نوع الإنسان- تصنيف السلالات-الإنسان الحضرى نوعا وحضارة-السلالات المعاصرة-الإضطهاد العنصرى.

ويأتى القسم الثانى بعد ذلك بعنوان "دراسات فى الحضارة الانسانية مشتملا على تسعة فصول تحمل العناوين التالية: الحضارة، مفهومها وميدانها-الأنواع الرئيسية للحضارة-بعض مشكلات التنظير الإنثولوجى-المدارس الأنثروبولوجية-اللغة والأنثرولوجية-الحضارة المادية-الأنثروبولوجيا الاقتصادية-التنظيم الاجتماعى-الديانة والسحر والفنون.

وأختتم الكتاب بقائمة بيبليوجرافية تضمنت الكثير من المصادر والمراجع الأنثروبولجية بعدة لغات، وأعقبها معجم للمصطلحات لأهم ما ورد وذكر فى الكتاب، والحقيقة أننى لاأجد ماينقص هذا الكتاب إلا فصل عن الوراثة البشرية وتطبيقاتها ثم كشاف Index فى نهايته.

ومع ذلك فاننا نجد أن محمد رياض قد قدم عملا أنثروبولجيا شاملا يصعب إنكاره أو تناسيه مما يدل على رسوخ القدم فى المجال، كيف لا وهو المتخصص (دكتوراه) فى الأنثروبولوجيا من فيينا ١٩٥٦ بعد أن كان قد درسها فى قسم الجغرافيا وفى المعهد على أيد محمد عوض محمد وعباس عمار وأحمد البطراوى ومحمد أحمد سليمان، مع زملائه محمد صبحى عبد الحكيم وكوثر عبد الرسول واجلال السباعى واحمد صالح الزاهد من الجغرافيين الذين شقوا طريقهم فى الحياة فى مجالات شتى كلها علمية.

وكاتب هذا المقال هو التالى والثانى لإساتذته الأوائل ويبدو أنه سيكون الأخير، وتلك خسارة ليست له ولا عليه ولكن على العلم والقسم والمعهد والتاريخ والجغرافيا والأنثروبولجيا.

هذا ويمثل محمد السيد غلاب جيلا تاليا بعد إبراهيم رزقانه وسليمان حزين ومحمد متولى الذين درسوا وبحثوا كل فيما يعنيه من فروع الأنثروبولوجيا الطبيعية (السلالات-ماقبل التاريخ-الأنثروبومتريا) وكان كتابه تطور الجنس البشرى (١٩٥٤) بطبعاته المتتابعة (١٩٥٤و١٩٥٦و١٩٦٣و١٩٧٣) علامة واضحة فى تاريخ مساهمة الجغرافيين فى مجال الأنثروبولجيا الطبيعية.

كما يعد كتاب البيئة والمجتمع من أوائل الكتب المتميزة فى دراسة العلاق بين البيئة والإنسان ذلك الموضوع القديم والجديد والمتجدد بإستمرار والذى يدخل فى مجال الجغرافيا والأنثروبولجيا على حد السواء يتجلى ذلك بوضوح من العنوان الفرعى لهذا الكتاب وهو: تطور التفكير فى العلاقة بين البيئة والمجتمع، وقد تضمن الكتاب عدة موضوعات كان منها: المجتمعات البسيطة والمتقدمة دراسة السكان، جغرافية العمران والمدن وقد صدر هذا الكتاب فى طبعته الاولى فى سبتمبر ١٩٥٥، وفى الثانية يونيو ١٩٦٠ أما الطبعة الثالثة (يوليو١٩٦٣) فقد كانت موسعة بعض الشئ بما حوته من إضافات للباب الثانى عن المجتمعات الامريكية والى الباب الثالث فى دراسة المدن وقد صاحب ذلك (١٩٥٧) صدور ترجمة محمد السيد غلاب لكتاب لوسيان فيڤر الارض والتطور البشرى عن النسخة الإنجليزية، ثم صدور طبعة عام ١٩٧٣ الجامعة لمجلدى ترجمة هذا الكتاب فى طبعتها الأولى وهى قيمة لمتصل الجغرافية والتاريخ وعلم الاجتماع والتى تتجمع فى موضوع الإيكولوجيا البشرية من وجهة نظر الأنثروبولوجيا(٤).

والحقيقة أن موضوع الإيكولوجيا البشرية يعد من الموضوعات الرئيسية الهامة التى تدخل فى مجال الأنثروبولوجيا(GN) وفى مجال الجغرافيا (Gc) على حد سواء بالإضافة الى بعض المجالات العلمية والعملية (QH540)(٥) لذلك لم يكن غريبا أن يكون مجال دراسة مثل هذه المواضيع داخلا فى كل من هذين المجالين وأكثر، وعلى أساس ذلك سجلت ونوقشت رسائل علمية كثيرة للدكتوراه منحت لطلاب بحث وصلوا حاليا الى مرتبة الإستاذية العلمية وليست الوظيفة، بشهادة أكثر من لجنة علمية دائمة وكانت قراراتها إيجابية من أول جولة.

والمقصود هنا أن المشتغلين بالإيكولوجيا البشرية فى المعهد منذ كان، أو ممن دخلوا فيها بعد ذلك كانت لهم ومازالوا واسهامات مؤثرة نافعة فى كل

مجالات الحياة اليومية فى زمن السلم وفى زمن الحرب على السواء»

أما مساهمة غلاب اللاحقة عندما إستوى فى مجلسه فى المعهد»... فقد تحققت فى قيامه بتدريس موضوع تطور الإنسان خلال عصر ماقبل التاريخ، فى المعهد وفى كليات الآداب والبنات والآثار كما قام بترجمة كتابين هامين فى المجال هما السلالات البشرية الحالية (نشر الأنجلو المصرية ١٩٧٥) والتطور والسجل الحفرى (نشر الأنجلو أيضا عام ١٩٨١) وبذلك نجد أن غلابا كانت له إهتمامات بالانثروبولوجيا والجغرافيا معا، رغم تفضيله الرداء الأخير دائما وحتى الآن ولا غرو فشأنه شأن الكثيرين من الجغرافيين بل والإجتماعيين أيضا، إذ انه يبدو أن عباءة الأنثروبولوجيا لا تدفئ ولا تسمن ولا تغنى من جوع، فى الشرق العربى المعاصر المعروف بظروفه.

اما كاتب هذه السطور فمنذ إشتغاله فى المجال الاكاديمى بالأنثروبولجيا الطبيعية وحصوله على الدكتوراة عام ١٩٧٤ فى أحد فروعها وهو المجال الإيكولوجى كتب ونشر أكثر من ثلاثين كتابا وبحثا جلها فى مجال الأنثروبولجيا الطبيعية بمختلف فروعها خاصة المجال الإيكولوجى عن طريق الأنثروبولوجيا خاصة بالتطبيق على القارة الأفريقية.

وسنقصر الذكر هنا على الكتب العلمية التى نشرها وهى:-

١ - الأنثروبومتريا. القاهرة، ١٩٨١

٢ - الأنثروبولوجيا الطبيعية والسلالات البشرية، القاهرة، ١٩٨٢ (١٩٨٦)

٣ - أفريقيا وحوض النيل.ط٢ .القاهرة،١٩٨٦

٤ - الجغرافيا الأنثروبولجية. القاهرة،١٩٨٨

هذا وقد سار كاتب هذه السطور أيضا على منوال المدرسة الأنثروبولوجية الطبيعية المصرية من البيولوجيين والجغرافيين حيث قام بدراسات وبحوث ميدانية نشر نتائجها فى مقالات -بالاضافة الى الكتب السابق ذكرها-نذكر منها على سبيل المثال:

Side Light of Prehistoric Man and his Civilization in North East Africa. **African Studies Review**, vol.8 1979 ,p.I-56

Abnormal Haemoglobin in Middle East and Some Nile Basin Countries. **Bulletin of Cairo Univ. in Khartoum,** vol. 9. 1987,p.1-34

والملاحظ بعامة على الجغرافيين ممن ساهموا فى مجال الأنثروبولجيا الطبيعية بإستثناء كاتب هذه السطور أن هذا المجال من الانثروبولجيا لم يستغرقهم بل كان تركيزهم الأساسى على الجغرافيا، أكثر ودائما، وهم فى ذلك يشبهون سائر أساتذة الأنثروبولجيا بكل فروعها تقريبا الذين لم يقطعوا صلتهم بتخصصاتهم الأساسية الاولى، بل مازالوا يعملون فيها، ويعتمدون عليها كثيرا خاصة اذا ما عملوا خارج الوطن.

والملاحظة الأخرى أن الجغرافيين من الأنثروبولوجيين يركزون إهتمامهم على الدراسات الأنثروبومترية والأنثروبولجية الإيكولوجية خاصة مع ظهور إتجاه جديد نحو الإهتمام بالجغرافية الطبية (أو أنثرولوجية الأمراض) وهو إتجاه تطبيقى أمبيريقى برجماتى نعفى للجغرافيا والأنثروبولجيا على السواء.

وكان مؤلف هذا العمل هو أول من كتب باللغة العربية من الأنثروبولوجيين والجغرافيين فى الديموجرافيا البيولوجية (فى:الجغرافية الانثروبولجية. القاهرة، دار الفكر العربى،١٩٨٨، ص١٩٠-٢٠٤) وهو موضوع يعتبر من المواضيع العلمية البينية والمعتقد أن التعمق فى هذا الموضوع هام وواجب؛ كى يساهم إسهاما بناء فى موضوعات أمبيريقية إجتماعية عديدة، تتعدى كثيرا تنظيم الاسرة وضبط إيقاع ونمو المجتمع.

رأى المدرسة المصرية
فى تقسيمات الانثروبولوجيا الطبيعية العامة

يعتقد كاتب هذا العمل أن الأنثروبولوجيا الطبيعية العامة يمكن أن تنقسم الى فرعين كبيرين هما أنثروبولوجية ماقبل التاريخ ـ والأنثروبولوجيا الإيكوبيولوجية، وتنقسم أنثروبولوجية ما قبل التاريخ الى فرعين هما التطور البيولوجى للإنسان، وحضارات ماقبل التاريخ، كما تنقسم الانثروبولوجيا الإيكوبيولوجية الى ثلاث تخصصات فرعية هى: الأنثروبومتريا-الأنثروبولوجيا النفسية-الأنثروبولوجيا الروحية والأخلاقية.

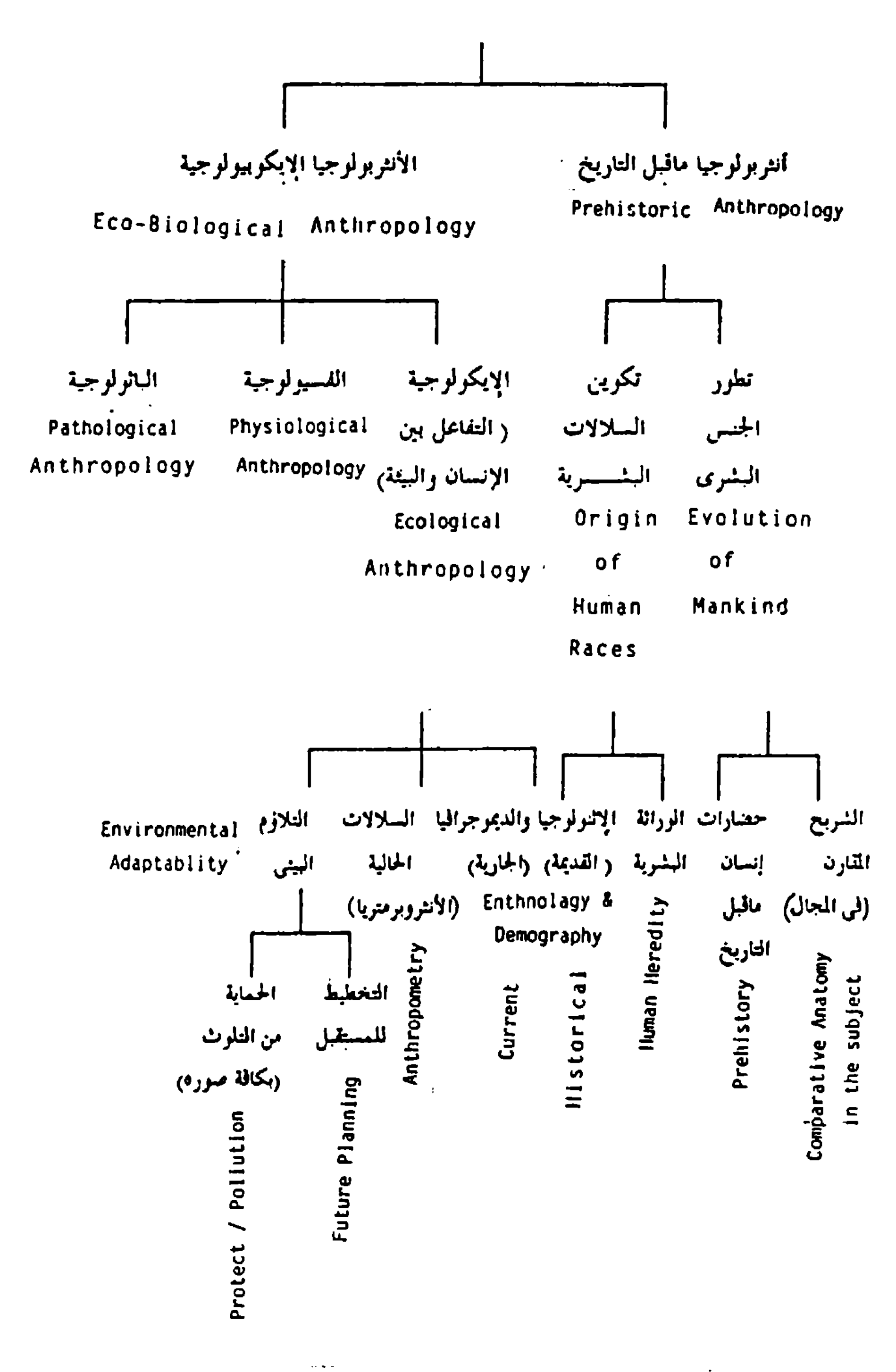
هذا وينقسم موضوع الأنثروبومتريا الى الأنثروبومتريا الإيكولوجية، والأنثروبولوجيا الفسيولوجية والأنثروبولوجيا الباثولوجية. وتهتم الأنثروبومتريا الإيكوبيولوجية بدراسة الفروق القياسية التى تظهر بين السلالات المختلفة، وهى تلك التى نشأت فى الأصل فى بيئات معينة، ثم أنتشرت لتعيش اليوم فى بيئات أخرى، متباينة منتشرة على طول العالم وعرضه.

هذا ويهتم كاتب هذا العمل حاليا بالدراسات والبحوث المتعلقة بالإنسان بالإضافة الى الدراسات الأنثروبولوجية الطبيعية الإيكولوجية، فما الفرق بينهما؟.

الأنثروبولوجى أكاديميا هو كل من يعمل فى مجال الأنثروبولوجيا بالجامعات ومراكز البحوث، وواقعيا هو المهموم بأمور الإنسان وأفعاله، ومن منا جميعا من العامة أو من الخاصة من هو ليس مهموما بأمر الإنسان، إنهم جميع المثقفين بوجه الخصوص؛ خاصة، الخاصة، سواء الباحثين فى المجالات العلمية النظرية، أو المجالات العلمية العملية، إنهم جميعاً يعتبرون من الأنثروبولچيين. لذلك يجب أن يتسع مجال العمل الأكاديمى فى الأنثروبولوجيا كى يتضمن مجالات علمية جديدة مستقاه من شتى فروع ومجالات المعرفة الإنسانية وبطبيعة الحال يجب أن ينفتح المجال أمام منتسبيها الحاليين على وجه الخصوص، إذ أن لكلٍ دوره

ومجاله، ولتجمع الجميع الأنثروبولجيا العامة، وأيضا علم الإنسان الذى يهتم بالقيم الإنسانية والذى يدعو الى عودة الإنسانية الى الإنسان، بعد أن طحنه التكالب على ماديات الحياة فى الأنثروبولجيا الثقافية والاجتماعية.

فهذا هو الفرق-لمن طلب أن يعرف-بين علم الإنسان The Science of Man وبين الأنثروبولوجيا Anthropology، هو فرق فى الظاهر ضئيل ولكن فى الحقيقة؛ وبعد إمعان الفكر والتفكير، فرق كبير، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.



رأى المدرسة المصرية فى تقسيمات الانثروبولوجيا الطبيعية العامـــــة

هذا ولقد كان محب محمد شعبان أول جيولوجى يعمل ويتخصص فى مجال الأنثروبوجيا الطبيعية فى المعهد وأظن فى مصر (٦) حيث حصل على دبلوم وماجستير المعهد ثم تابع دراسته فى جامعه تورنتو وأعد رسالة بعنوان:

Paleodemography of a Pre-Roman Population from El Dakhleh. Egypt, evidence from the skeletal remains at site 31/435-D5-2.

وكان أيضا سعد عبد المنعم بركة أول أثرى يلتحق بالقسم كى يعمل فى ميدان أنثروبولوجية ماقبل التاريخ بشقيها الطبيعى والثقافى(٧) إلا أنه-لظروف خاصة به وبالقسم-تابع عمله فى الشق الثقافى فقط حيث أعد رساله للدكتوراه من المعهد وهى التى حملت عنوان:"الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى فى العصر الحجرى الحديث"(١٩٩٢).

هذا ولما كان موضوع الغذاء ومكوناته يدخل فى مجال إهتمام الأنثروبولجيا الطبيعية، فيمكن القول أن الكثير من نقاط البحث والحلول الخاصة لمشكلة الغذاء فى أفريقيا، والتى تقدم من خلال بحوث ودراسات قسم الموارد الطبيعية بالمعهد وهو المعنى أساسا بتنمية موارد البيئة الطبيعية وصيانتها فى القارة ومصر، لذا نجد أن بحوث هذا القسم ذات علاقة وصلة قوية بالأنثروبولوجيا الطبيعية، حيث أن الإنسان يتأثر مباشرة بالبيئة الطبيعية من خلال الغذاء (القادم من التربة أساسا) ومن خلال الهواء، وكليهما وغيرهما من موارد البيئة الطبيعية هى المسئولة عن بناء جسم الانسان طوال حياته خاصة فى مرحلة النمو.

ولما كانت المحصلة النهائية لنتائج بحوث ودراسات الأنثروبولوجيا الطبيعية تظهر فى جل بل كل مجالات الحياة، فإن معظم أقسام المعهد لاتبعد كثيرا عن مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية بمفهومه الواسع.

هذا وقد حاول قسم الأنثروبولوجيا بالمعهد منذ إنشائه عام ١٩٧٣، أن يستكمل تخصصات الأنثروبولوجيا الطبيعية الفرعية مع تخصص الدراسات الإيكولوجية إذ استعان بتخصصات البيولوجيا (علوم-طب) والآثار، على أن توضع خطة علمية يُلتزم بها عند التنفيذ.

وفى سبيل تعميق تخصصات الأنثروبولوجيا الطبيعية فى المعهد؛ يجرى حاليا بعد ما أن توافر المكان-تجهيز واعداد معمل ومتحف وقاعة بحث خاصة بدراسات وبحوث تطور الإنسان وتأقلمه البيولوجى فى أفريقيا، والأمل معقود فى تزايد التعاون مع التخصصات اللصيقة والقريبة فى كليات الطب والعلوم والمركز القومى للبحوث بالدقى.

ولما كانت الدراسات الأنثروبولوجية تتخصص فى كل ما يتعلق بالإنسان، لذلك كان المتخصصون فيها هم الأقرب الى أن يبحثوا ويَدرسوا ويُدرسوا المقررات المتعلقة بالإنسان وشعوبه وجماعاته ونشاطه وعلاقاته الثقافية والإجتماعية، وذلك فى الأقسام العلمية المختلفة فى داخل المعهد بل وفى الجامعة، وذلك بنص القانون، وقد سار الامر فى المعهد على هذا الوضع حتى العام ١٩٩٦/٩٥.

ولكن المحزن أن قسم الجغرافيا فى المعهد، قرر أن يستأثر بتدريس مقرر السلالات والشعوب والجماعات الأفريقية لطلابه، ويُبعد الأنثرولوجيين حتى ولوكانوا من الجغرافيين (قرار مجلس قسم الجغرافيا بالمعهد بتاريخ ١١ يوليو ١٩٩٦)، بحجة أن لديه كوادر تستطيع التدريس-رغم أن هذه الكوادر كانت موجودة منذ عشر سنوات متصلة من قبل-وعلى ذلك فإن الأمر الواضح البعيد عن كل هوى كان يقضى بأن يترك مقرر السلالات والشعوب والجماعات الافريقية فى قسم الجغرافيا كى يقوم بتدريسه قسم الأنثروبولوجيا بالمعهد كما كان منذ عشر سنوات، وكما هو الحال مع مقرر جغرافية أفريقية العامة فى قسم الأنثروبولوجيا، وهو المتروك أمر تدريسه الى قسم الجغرافيا بالمعهد، رغم

وجود متخصصين فى الجغرافيا داخل قسم الأنثروبولوجيا، ان هذا القرار والإصرار على تنفيذه، رغم عدم منطقيته ورغم تغير الظروف والأحوال، يقطع الصلة العلمية والبحثية بين أقسام المعهد وهى الدعوى التى كثيرا مايرددها أساتذة قسم الجغرافيا بالمعهد، إننى أشفق عليهم مما جاء فى السورة رقم ٨٣ من القرآن الكريم، هدى الله الجميع للحق وللعلم.

هذا واذا ماتتبعنا الرسائل العلمية التى أجيزت فى مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية فى المعهد (جدول١) نجد أنه منحت أربع درجات ماجستير ودرجتى دكتوراه منذ إنشاء القسم المتخصص (١٩٧٣) وحتى الآن.

جدول ١- يوضح عدد الرسائل العلمية المجازة لدرجتى الماجستير والدكتوراه فى الأنثروبولوجيا الطبيعية من المعهد ١٩٧٣-١٩٩٥(٨).

الفترة الزمنية	الماجستير		الدكتوراه		الجملة	
	ن	٪	ن	٪	ن	٪
٧١-١٩٨٠	١	٢٥	١	٥٠	٢	٥٠
٨١-١٩٩٠	١	٢٥	-	-	١	٢٥
٩١-١٩٩٥	١	٥٠	١	٥٠	٣	٧٥
	٤	١٠٠	٢	١٠٠	٦	١٠٠

والملاحظ أن تخصص المعهد الإقليمى، بالإضافة الى التخصص العلمى، مع توافر كليات. ومعاهد علمية أخرى فى جامعات مدينة القاهرة، تتوافر فيها التخصصات والكوادر التى تستطيع التسجيل والإشراف على الرسائل فى مجالات الأنثروبولوجيا الطبيعية، هو الذى حد نسبيا من عدد الرسائل المجازة من المعهد.

واذا تتبعنا الرسائل العلمية التى منحها قسم الأنثروبولوجيا فى كلية الآداب جامعة الاسكندرية وهو القسم الثانى والتالى من حيث الإنشاء فى مصر نجد البيان التالى (جدول٢)

جدول ٢- دراسة مقارنة عن عدد ونسبة رسائل الماجستير والدكتوراه المجازة فى الأنثروبولوجيا الطبيعية من كلية الآداب جامعة الاسكندرية (٩).

	الانثروبولوجيا الطبيعية		الانثروبولوجيا الأخرى		الجملة	
	الماجستير	الدكتوراة	الماجستير	الدكتوراة	م	د
٧٦–١٩٨٠			٨(١٠٠)	٧(١٠٠)	٨	٧
٨١–١٩٨٥	١(٧.٦٩٪)		١٢(٩٢.٣١)	٨(١٠٠)	١٣	٨
٨٦–١٩٩٠	٢(١٦.٦٧)		١٠(٨٣.٣٣)	٤(١٠٠)	١٢	٤
٩١–يوليو٩٢			٤(١٠٠)	٥(١٠٠)	٤	٥
	٣(٨.١١)		٣٤(٩١.٨٩)	٢٤(١٠٠)	٣٧	٢٤

هذا وسوف أترك الأرقام تتحدث بنفسها عن نفسها، تاركا التحليل والاستنتاج لفكر من يقرأ من خاصة الخاصة، الذين من أجلهم كتب هذا العمل، ولكن الواجب التنويه اليه، هو أنه ليس بالكم فقط يبنى العلم، ولكن بالكيف؛ (العمق العلمى النفعى) فعسى أن تحمل هذه الرسائل ماينفع الناس ويمكث فى الأرض.

أمـل المستقبـل

يبدو أن للأنثروبولجيا الطبيعية بعض الأمل فى أن تساهم في حل كثير من مشكلات الإنسان المعاصر، وذلك عن طريق توحيد المفاهيم بين الجماعات البشرية والإنسانية المتناحرة فى كثير من أرجاء العالم، خاصة فى القارة الافريقية.

ذلك أنه ثبت بما لايدع مجالاً للشك، أن كل الجنس البشرى منذ ظهوره على الأرض، وأن كل فصائل النوع الإنسانى الحالي والتى تنتشر سلالاته على وفى سائر قارات وبقاع العالم المعمور، كلها تنتمى الى نمط إحيائي واحد، أى أن الجميع يمثلون وعاءً جينياً واحداً يتم التزاوج المعقب بسهولة طبيعية بين أفراده من الجنسين الذكر والأنثى.

فإذا وعى الجميع ذلك خاصة القادة أصحاب القرار، وشعروا أن لافضل لأبيض ولا أحمر ولا لأصفر على أسود إلا بالتقوى، أى بما يقدمه من عمل أو علم نافع للمجتمع وللبشرية، إذ رسخت هذه الفكرة فى الشعور وفى اللاوعى الإنسانى، ساد الأمن والأمان والسلام، وتفرغ الإنسان الفرد والجماعات لبناء المستقبل المأمول فى تقدم البشرية.

وعليه فإن مجال الأنثروبولوجيا الطبيعية لايقتصر على البحوث والدراسات العلمية المعملية الميدانية الاحصائية فقط، بل يتعداها الى الجوانب الفلسفية والنفسية بهدف إعادة صياغة إنسان المستقبل، الذى لاتحكمه الأنانية الحيوانية فقط، بل يسمو الى القيم الإنسانية، فالى هذا الهدف يجب أن يسعى تخصص الانثروبولوجيا الطبيعية الإيكولوجية فى المعهد وفى مصر.

ولعل الموضوعات التى سيواجهها الباحث فى الأنثروبولجيا الطبيعية فى العقود القليلة القادمة، فى شرقنا العربى وفى قارتنا الأفريقية البكر المتنامية، هى محاولة إيجاد معادلة، أو صيغة توافق، بين المادية الواقعية الطاغية الساحقة

التى تجرف البشرية والإنسانية أمامها، وبين المثل والقيم الأخلاقية الإنسانية التى يتسامى بها الإنسان دونا عن نظائره من البشر وأشباه البشر، ممن يسيرون بين الناس؛ وعندى أن هذا لايتأتى إلا بتحكيم العقل، العقل الفطرى السليم، ذلك الذى كرم الله به الإنسان ورفعه بين ودون سائر مخلوقاته، فإذا كان ذلك؛ فسوف يسير إنسان العرب وأفريقيا المعنى الى الأمام قدما، والى عليين رفعه وعزة، الى حضارة القرن الحادى والعشرين المأمولة.

الحــــواشى

(1) Newberry, P.E., Egypt as A field for Antropological Research. **Britirh Association Report** 1923-1924,p.193

(٢) سمير حنا صادق: عصر العلم. القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٣،ص٨٢

(3) Morel, P.L'Anthpolologie Phsique, P.11

(٤) فاروق عبد الجواد شويقة: العلاقة بين الأنثروبولوجيا والجغرافيا -مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مج ٥٠، ع ١ مايو، ١٩٩٠، ١-٥١.

(5) Subject Headings Used in the Dictionary Catalogs of the Library of Congress 7 th. ed. Washington, Subject catalaging Division Precesing Department LC, 1966.,p. 368.

(٦) علما بأن هناك بعض الرواد من الجيولوجين مثل رشدى سعيد والبهى العيسوى كانت لهم إسهامات رائدة، خاصة الأول الذى كان إستاذا منتدبا بالمعهد فى فترة النشأة الاولى عندما كان المعهد يحمل أسم معهد الدراسات السودانية.

(٧) كزملائه فى كلية الآثار جامعة القاهرة.

(٨) من سجلات الادارة التعليمية بالمعهد.

(٩) جامعة الاسكندرية: بيبلوجرافيا رسائل الدبلوم-الماجستير-الدكتوراه التى أجيزت فى الفترة من ١٩٩٤٢ حتى ١٩٩٢ فى كلية الآداب جامعة الاسكندرية. ١٩٩٤، ص ٢٤٣-٢٥٦.

ببيلوجرافية مختارة

أحمد البطراوى: الجنس البشرى فى معرض الأحياء. القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٨

توفيق الحسينى عبده: الطعام والثقافة والسكان مجلة الدراسات الافريقية، ع١٦ . ١٩٩٤ ،ص٤١-٨٤

فاروق عبد الجواد شويقة: الأنثروبولجيا الطبيعية والسلالات البشرية، أ٢ القاهرة، دار روتابرنت،١٩٨٦ .

ـــــــــــــــــ : العلاقة بين الأنثروبولوجيا والجغرافيا، **مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة**، مج ٥٠ ،ع١ ،مايو ١٩٩٠ ،ص١-٥١ .

سعاد على شعبان: بحث أنثروبولوجى ميدانى لقرية العشى مركز الأقصر محافظة قنا. **مجلة الدراسات الافريقية.** العدد الرابع،١٩٧٥ ،ص٢٣٥-٢٧٢ .

سعد عبد المنعم بركة: الرسوم الصخرية بالصحراء الكبرى فى العصر الحجرى الحديث؛ دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية. رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى قسم الأنثروبولجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، ١٩٩٣ .

سلوى يوسف درويش: المرأة عند الباجندا بجمهورية أوغندا؛ دراسة فى الأنثروبولوجيا الأجتماعية. رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى قسم الانثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة،١٩٩٣ .

سليمان أحمد حزين: المصريون ودراسة تاريخهم الجنسى. **المجلة التاريخية المصرية**، المجلد الأول، ١٩٤٩ .

عادل على مصطفى: التحضر فى موريتانيا؛ دراسة فى الأنثروبولوجيا الحضرية لمدينة نواكشوط. رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى قسم الأنثروبولوجيا بكلية الاداب جامعة الاسكندرية،١٩٨٥ .

عبد العزيز راغب شاهين: الجمعيات السرية والضبط الاجتماعي في بعض مجتمعات غرب أفريقيا؛ دراسة في الأنثروبولوجيا السياسية، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى قسم الأنثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الافريقية، جامعة القاهرة، ١٩٨١.

عبد العزيز عبد القادر كامل: نحو تخطيط علمي لدراستنا الأفريقية. محاضرة ألقيت في الموسم الثقافي للجمعية الجغرافية المصرية عام ١٩٦٥، ص١-٩٦.

عـز الدين أحـمـد فـريد: The Population of Egypt; Some Aspcts of its Growth and Disrripution Cairo, 1974.

كوثر محمود عبد الرسول: الحضارات الأفريقية وفكرة الإنتشار الحضاري وطرقه في أفريقيا. حوليات كلية الاداب جامعة عين شمس، ١٩٧٠.

مـحب على شـعـبـان: Craniological Study of Reiser Collection (Giza, 4th. to 6th. Dynasty). Master of African Studies in, Phsical Anthropology Cairo Univ., 1978.

محمد أحمد سليمان: فئات الدم وعلاقاتها بدراسة السلالات البشرية. رسالة تدر س في معهد الدراسات الافريقية بجامعة القاهرة،١٩٥٤.

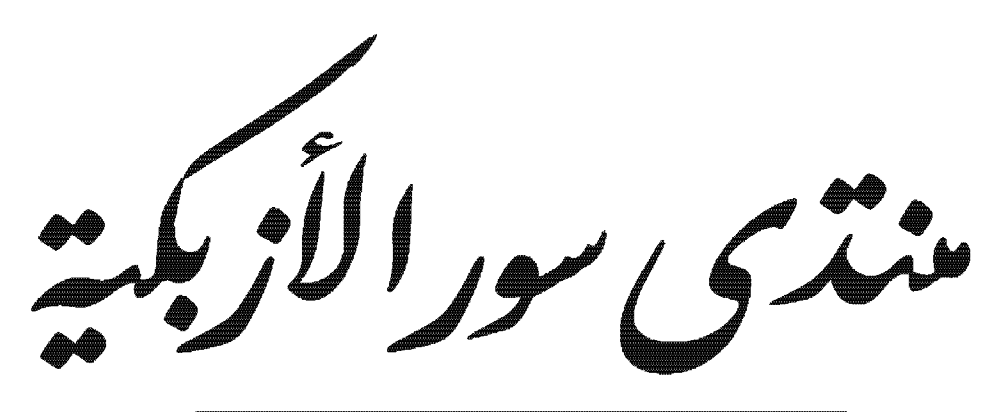
محـمـد رياض: الإنسان، دراسة في النوع والحضارة. ط٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٤.

محمد السيد غلاب: تطور الجنس البشرى ط٥ .القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية،١٩٧٤.

محمد عوض محمد: السودان الشمالي، سكانه وقبائله. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥.

مـحـمـد فـوزى جـاب الله: An Antropological Study of Egyption in Ancient and Recent Times. Ph. Disertation in Anatomy, Faculty of Medicin, Univ. of Cairo, 1970.

نـادية علـى بدوى: الفن عند قبيلة البجا، دراسة ميدانية في الانثروبولجيا الجمالية. رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى قسم الانثروبولوجيا بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة، ١٩٩٢.



دار مجدى محمود للطباعة والنشر

ت / ٥٨١٤١٩٤

رقم الايداع ٥٤٤٦ / ٩٧